إصدارات أنصار الإمام المهدي ﷷ / العدد (97)

العِجْـــل

الجزء الأول والثاني

المذنب المقصر
أحمد الحسن

طبعة محققة

الطبعة الثالثة

1431هـ - 2010م

لمعرفة المزيد حول دعوة السيد أحمد الحسن عليه السلام

يمكنكم الدخول إلى الموقع التالي :

www.almahdyoon.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم
أنصار الإمام المهدي (عليه السلام)

صوت مدوٍ وصرخة لابد أن تمر ا الدعوة الإلهية، صوت هدم وبناء، بيان وعمل، لابد أن يقوم داعية الله ا، يقوم بالهدم والتحرك ضد قوى الضلالة، لابد من نسف العجل؛ ولذا كانت الدعوة السرية لحركة أنصار الإمام المهدي (عليه السلام) - أعني حركة ناصر آل محمد ويمانيهم السيد أحمد الحسن (عليه السلام) - تتطلب منه العمل على تحطيم العجل؛ ليتسنى للمجتمع بعدها العودة إلى جادة الحق.

قال تعالى: **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ**[1].

ولذا بادر (عليه السلام) إلى كتابة كتاب العجل، ومن ثم كان أول إصدارات أنصار الإمام المهدي(عليه السلام)، وهو دعوة موجهة إلى هذا ا تمع المُعرض كل الإعراض عن محمد وآل محمد (عليهم السلام)، فما زال الرجل يدعوهم ليلاً و اراً، جهراً وإسراراً، حتى أعذر فيهم.

هذا وقد نشره السيد (عليه السلام) مخطوطاً في فترة الدعوة السرية بين طلبة النجف الأشرف؛ إذ رفض أصحاب المطابع طباعته؛ لما امتاز به من تحطيم العجل كيفما كان، وأينما حل، سواء في هذا الحكام الفراعنة الفجرة أو فقهاء الدين الخونة.

ويستطيع القارئ أن يلتمس الأمر العظيم في الكتاب - أي إنّ السيد مرسل من الإمام المهدي(عليه السلام) - من خلال الآية التي ساقها السيد في ختام المقدمة، حيث أورد التحصين ثم الآية القرآنية الكريمة، فقال:

(تحصنت بذي الملك والملكوت، واعتصمت بذي القدرة والجبروت، واستعنت بذي العزة واللاهوت، من كل ما أخاف وأحذر، ومحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي و محمد و علي والحسن ومحمد (عليهم السلام)، والحمد لله وحده).

1- البقرة: 256.

بسم الله الرحمن الرحيم **﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾** (1).

فيا من تدعون الولاية لعلي بن أبي طالب وأبنائه (عليهم السلام)، بم عرفتم حق علي بن أبي طالب؟!

أرجعوا لأنفسكم وانظروا في الأدلة التي تحتجون ا على غيركم من أبناء العامة؟! أليست هي بعينها التي رفعها السيد أحمد الحسن (عليه السلام).

إنّ للرجل حقاً عظيماً، انظروا الأحاديث التي تكلمت عنه، ومنها حديث الأصبغ بن نباته في حديثه مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، فعلي وهو علي شغلته هذه الشخصية حتى أخذت لبه، وأجال فيها ذهنه، أنصت للحديث وتدبره جيداً فإنك مسؤول عنه يوم القيامة.

قال الأصبغ بن نباته: أتيت أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) ذات يوم فوجدته مفكراً ينكت في الأرض، فقلت: (يا أمير المؤمنين تنكت في الأرض أرغبة منك فيها؟ فقال: **لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا ساعة قط، ولكن فكري في مولود يكون من ظهر الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، تكون له حيرة وغيبة، يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون**، فقلت: يا أمير المؤمنين فكم تكون تلك الحيرة والغيبة؟ قال: **ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنين**، فقلت: إنّ هذا لكائن؟ فقال: **نعم كما أنه مخلوق**، قلت: أدرك ذلك الزمان؟ فقال: **أنى لك يا أصبغ بذا الأمر، أولئك خيار هذه الأمة مع أبرار هذه العترة**، فقلت: ثم ماذا يكون بعد ذلك؟ قال: **يفعل الله ما يشاء، فإنّ له إرادات وغايات ونايات**) (2).

فعاودوا رشدكم وتفكّروا فإنّ تفكر ساعة خير من عبادة ألف عام.

فأين يراد بكم، بل أين تذهبون، كيف بكم غداً في ساحة العرض على الإمام المهدي (عليه السلام) في القيامة الصغرى، وما الجواب الذي تجيبونه به؟ كيف بكم عند الحسيب الرقيب يوم القيامة الكبرى، وما الحجة لديكم؟! أتقولون لم يصلكم حديث أهل البيت فيه! أم تقولون إ م لم يصفوه أو يسموه! أم إنه لم يدع إلى كتاب الله وسنة الأطهار من آل بيته (عليهم السلام) ! أم تقولون أنه لم يبلغ البلاغ التام ولم يخبر عن نفسه !

1- الشعراء: 10 - 15.

2- الكافي: ج1 ص338.

بم تعتذرون حينما يعيد عليكم ما قاله اليوم: (**ووالله لولا أنّ الله كتب على المؤمنين إنكار المنكر، ولولا أني اطلعت على كثير من الحقائق التي ملأت كبدي قيحاً، سواء من الحكام المفسدين أم من علماء السوء الفاسدين - ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ [1] - لألقيت حبلها على غاربها، ولما اخترت هذه المواجهة الدامية، مع ألوف مؤلفة مسلحة، بكل أنواع الأسلحة المادية والعسكرية والإعلامية**).

نعم فإنّ رسول الله ﷺ بلغ بأوصيائه إلى قيام الساعة، ولكن لابد من التمحيص. وكما قال سيدي ومولاي في هذا الكتاب: (**هذا والنبي ﷺ لم يترك المسلمين في حياته دون أن يوجههم إلى القيادة من بعده، وإلى الأوصياء من ولده ﴿ع﴾ حيث أمره الله سبحانه بذلك. ولكن لابد من الفتنه للتمحيص، ولابد من السامري، ولابد من العجل**).

وفي الختام أقول: إنّ هذا الكتاب صرخة بوجه الأمة أن عودي لرشدك وانتبهي لأمرك، وارجعي لكتاب الله وسنة نبيه لتحظي بعيشة السعداء وميتة الشهداء كما ضمن الرسول ﷺ لنا ذلك، ودعي فراعنة الزمان من حكام خونة وفقهاء فسقة فـ مع الأسف كثيرون يعدون أنفسهم علماء مع أنهم لا يحسنون تفسير سورتين من القرآن الكريم، على ما ورد عن آل محمد ﴿ع﴾. ولم يقرؤوا إلاّ اليسير من روايات المعصومين ﴿ع﴾ مقتصرين على بعض الروايات الفقهية في الغالب. فبماذا يعدون أنفسهم علماء، أبالمنطق الذي وضعه أرسطو قبل آلاف السنين، وربما يوجد من الملاحدة من هو أعلم به منا، أم با ادلات والإشكالات المنطقية وغيرها الخالية من ثمرة علمية أو عملية، ولا تعدوا كو ا ترفاً علمياً وضياعاً للوقت؟!! ألسنا نروي عن رسول الله ﷺ ما معناه: (**إنّ المرء يحاسب عن عمره فيما أفناه**) [2].

والحمد لله أولاً وأخراً، وظاهراً وباطناً

خادم الأنصار الأحقر

ضياء الزيدي

1- الكهف : 18.

2- أمالي الصدوق: ص93.

الإهـداء

إلى حملة كلمة لا إله إلا الله . . .

إلى من حملوا أكفانهم وساروا إلى الله . . .

إلى الأنبياء والمرسلين والأئمة عليهم السلام . . .

أيها السادة الكرام

هذا المسكين يهديكم السلام ويهديكم هذه البضاعة المزجاة

ويقول وقلبه مفعم بتوحيد الله والتسليم لكم

لقد مسنا وأهلنا الضر فتصدقوا علينا أن الله يجزي المتصدقين

أحمد الحسن

27 شوال 1421 هـ . ق

العجل

الجزء الأول

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، وصلى الله على محمد وآل محمد المعصومين، وصلى الله على مسك الختام نور الله وبقيته في أرضه (روحي فداه).

قال تعالى: **﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[1].

في قصص الأنبياء السابقين وأممهم التي اتبعتهم تارة واتبعت السامريين تارة أخرى، ونصرت الأنبياء مرة وخذلتهم ونصرت الطواغيت مرات، عبرة لمعتبر، وذكرى لمدكر.

فالبحث فيها ضروري، والمرور من خلالها إلى ما حصل بعد وفاة النبي ﷺ من تنحية الوصي عليه السلام والاستيلاء على السلطة - وما جره هذا الحدث على الأمة من مآسي، لا نزال نعاني منها إلى اليوم أشد العناء - يساعد على فهم ما حدث بعد وفاة النبي ﷺ سواء مع أمير المؤمنين عليه السلام، أم مع ولده المعصومين عليهم السلام الذين عانوا من الطواغيت المتسلطين على دفة الحكم بالقوة الغاشمة، كما عانوا الأمرين من السامريين أئمة الضلال، الذين حاولوا دائماً حرف الشريعة واستخفاف المسلمين.كما أنّ النظر إلى حالنا اليوم من خلال قصص الأنبياء السابقين وأممهم يساعد على قراءة المستقبل المرتقب فيه ظهور خاتم الأوصياء المهدي عليه السلام، وما سيلاقيه سواء من الطواغيت الذين سيستخفون المسلمين ويقاتلونه كالسفياني، أم من السامريين (علماء السوء غير العاملين).

ولهذا ارتأيت أنا المسكين قليل العمل كثير الزلل، أن أكتب هذا البحث لعله يكون واقية لبعض المؤمنين من التردي في الهاوية. فالوقاية خير من العلاج، بل إنّ الوقوف مع السفياني أو علماء السوء الذين سيقاتلون المهدي عليه السلام لا علاج له إلاّ شرب الحميم ومعالجة الأغلال في الجحيم. ولعله يكون حافزاً لبعض المؤمنين للعمل على تهيئة الأرضية الملائمة لإقامة دولة لا إله إلاّ الله على

1- الحديد : 13 - 15.

الأرض، دولة الإمام المهدي (عليه السلام)، والحق والعدل في وقت خيم فيه الظلم على كل بقعة في هذه الأرض. فالطاغوت الأمريكي يضيق الخناق يوماً بعد يوم على الشعوب المستضعفة، ويسير بأهل الأرض نحو الهاوية، والطواغيت المتسلطون على الشعوب الإسلامية إذا لم يكونوا عبيداً لهذا الطاغوت الذي لم يعرف له تاريخ الإنسانية على الأرض مثيلاً، فهم يشتركون معه بعبادة الشيطان، والشعوب الإسلامية التي هي أكثر الشعوب استضعافاً في العالم، تعاني الأمرين:

أولاً: من مطارق الطاغوت الأمريكي والطواغيت المتسلطين عليها.

وثانياً: من الطواغيت الموجودين داخل الإطار الإسلامي، - أعني بعض علماء الدين غير العاملين الذين يدعون تمثيل الإسلام - بل لعل بعضهم أستخف هذه الشعوب ووجد له كثيراً من الأتباع؛ ليعلمهم السكون والخضوع والاستسلام للطواغيت، وبالتالي القهر والجوع والذل.

فهي أذن حرب مستمرة في الخارج والداخل. عدو كافر يضرب باستمرار، ومنافق ينخر في الداخل، فرعون والسامري، بيلاطس وعلماء بني إسرائيل غير العاملين.

فمن جانب طاغوت يشن حرباً لا هوادة فيها ضد الدين: تلفزيون يعرض آيات من القرآن الكريم ثم بعد قليل أغاني ونساء شبه عاريات ومسلسلات الغرض منها تفكيك البنية الإسلامية للمجتمع، أو قل ما بقي من البنية الإسلامية للمجتمع أن تحلق اللحية وتطيل الشارب كما يفعل ا وس في العصور الغابرة، هذا هو الإسلام في نظر هؤلاء!! وكل من يقول لا إله إلاّ الله يقتل وتسبى نساؤه، و دم داره!! والطامة الكبرى أنّ بعضهم يدعون أنهم عرب، ويفعلون هذا باسم العروبة، وهم يعتدون على النساء وينتهكون الأعراض، وسجو م مليئة بالنساء والأطفال.

والحال أنّ العربي شريف، إذا عادى يعادي الرجال ولا يعتدي على النساء، فأي عروبة يدعون هؤلاء الغجر، بقايا المغول والتتر!! لقد سودوا وجه الإنسانية، وارتكبوا جرائم وفضائح يندى لها جبين فرعون ونمرود (لعنهم الله) صاحبي موسى وإبراهيم (عليهما السلام).

وفي الجانب الآخر السامري (العالم غير العامل) الذي يحاول حرف الشريعة، ولا يكلف نفسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله باللسان، بل واليد إن أمكن، متـناسياً أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ما معناه: (**لتأمرون بالمعروف ولتنهُن عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم ثم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم**) [1].

1- الكافي: ج5 ص56.

وهل يوجد أشر من الطواغيت المتسلطين على الأمة الإسلامية اليوم؟ إنّ النتائج موجودة فحتماً إنّ المقدمات كانت موجودة، ولا تزال إلى اليوم.

إذن فسبب التسلط الطاغوتي على ا تمعات الإسلامية اليوم هو: ترك هذه ا تمعات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وسبب ترك هذه ا تمعات لهذا الواجب هو: أنّ العلماء غير العاملين تاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (إذا فسد العالم فسد العالَم).

حتى ترسخت اليوم في نفوس كثير من المسلمين جذور الذل والخضوع والاستسلام للطاغوت، وحب الدنيا وحب الحياة، والخوف من الموت بشكل غير طبيعي. وأصبحوا يرون الحياة مع الذل خير من الموت مع العز، وهكذا ينكس الإنسان ويمسي يرى المقاييس مقلوبة، وهذا هو أقصى ما يريده الشيطان (لعنه الله)، أن تبقى الشعوب الإسلامية المستضعفة ساكنة بين المطرقة والسندان، أو قل بين فرعون والسامري، بين طاغوت يفسد ويقتل وينهب وعالم دين (غير عامل) لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وخلف الستار أصابع الطاغوت الأمريكي تحرك الخيوط يميناً وشمالاً، وهكذا لا يبقى من الإسلام إلاّ إسمه.

إنّ واجب العلماء اليوم هو التصدي لإصلاح الأمة الإسلامية، واجبهم هو حمل ثقل الرسالة التي تصدوا لحملها. أنتم يا طلبة العلوم الدينية، ويا علماء الإسلام - الشيعة والسنة - هـل تعتقدون أنّ كل ما أنتم مكلفون به هو تحصيل العلوم العقلية والنقلية دون العمل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ضمن تكليفكم الذي هو إصلاح الأمة وتبليغ وإنذار أبنائها، والجهاد في سبيل الله بالغالي والنفيس؟!

إذا كنتم تعتقدون هذا فالحق أقول لكم: إنكم مخطئون.

إنّ تحصيل العلوم العقلية والنقلية ليس بعسير، ولكن أن تعطي طعامك ثلاثة أيام لأسير وابن سبيل ومسكين وتطوي جائعاً. كما فعل الإمام علي (عليه السلام) هو الأمر العسير[1]. أن تعيش حياتك

1- أخرج القندوزي في ينابيع المودة: عن ابن عباس في قوله تعالى: (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**) الدهر: 7 - 8. قال: (مرض الحسن والحسين (رضي الله عنهما) فعادهما جدهما [رسول الله] (صلى الله عليه وآله وسلم) وعادهما بعض الصحابة، فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك [نذراً] . فقال على (رضي الله عنه): **إن برء ولداي مما بهما صمت لله ثلاثة أيام شكراً لله** . وقالت فاطمة (رضي الله عنها) مثل ذلك . وقالت جارية [لهم نوبية] يقال لها (فضه) مثل ذلك . وقال الصبيان: **نحن نصوم ثلاثة أيام** . فألبسهما الله العافية، وليس عندهم قليل ولا كثير، فانطلق على (رضي الله عنه) إلى رجل من اليهود يقال له شمعون بن حابا . فقال له: **هل تأتيني جزة من صوف تغزلها لك بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثة أصواع من شعير؟** قال : نعم، فأعطاه، ثم قامت فاطمة (رضي الله عنها) إلى صاح وطحنته واختبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد منهم قرص، وصلى علي (رضي الله عنه) مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المغرب ثم أتى فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا مسكين أطعموني شيئاً، فأعطوه

من أجل إسعاد الناس ورفع الحيف والظلم عنهم هو الأمر العسير، أن تعطي في سبيل الله كما أعطى الإمام الحسين (عليه السلام) هو الأمر العسير.

السلام عليك يا أبا عبد الله، بأبي أنت وأمي أعطيت كل شيء ولم تبقِ حتى الطفل الرضيع والنساء، لم تبقِ لمتخاذل حجة.

أيها السادة إذا اقتصرتم على تحصيل العلوم وعباداتكم، فأنتم بذلك تكونون قد أعطيتم للطواغيت كل ما يريدون، أن يحولونكم إلى عباد لا علماء، بل إنّ صفة العابد لا يمكن أن تخلع على العالم الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن منكر، هذا وإن المعنى الذي ورد عن المعصومين(عليهم السلام) أنّ العالم أفضل من سبعين عابد؛ وذلك لأنّ العالم همه خلاص الناس والعابد همه خلاص نفسه.

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (**الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد**)[1].

وقال تعالى: **﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾**[2]. لينذروا قومهم، لا ليناموا .. أو ينذروا فرداً أو فردين. فإذا كان همكم أيها السادة خلاص أنفسكم فلا تقولوا إننا طلبة علوم دينية أو علماء، ولا تلبسوا ملابسهم لتخدعوا الناس. لا تكونوا ذئاباً ترتدي جلود حملان، كما هو حال الكثيرين اليوم، فهذا ليس موضعاً لطلب الدنيا، وليس هذا موضعاً لتـنفيس الشهوات وقضاء الوطر، هذا موضع حمل ثقل رسالة الأنبياء والمعصومين (عليهم السلام) فكونوا على حذر، وإلاّ فهو خسران الدنيا والآخرة.

الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح. وفي الليلة الثانية أتاهم يتيم، فقال : أطعموني، فأعطوه الطعام. وفي الليلة الثالثة أتاهم أسير، فقال : أطعموني، فأعطوه. ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح، فلما أن كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم، أخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين (رضي الله عنهم) وأقبل نحو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصرهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انطلق إلى ابنته فاطمة (رضي الله عنها) فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلى وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: **واغوثاه! يا الله! أهل بيت محمد يموتون جوعاً؟!** فهبط جبرائيل (عليه السلام)، فأقرأه: (**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً**) إلى آخر السورة. ينابيع المودة لذوي القربى : ج1 ص279، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج2 ص403، تفسير ابن كثير : ج4 ص649، وغيرها.

1- الكافي : ج1 ص33.

2- التوبة : 122.

قال عيسى عليه السلام: (**مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم نهر، لا هي تشرب ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع**) [1].

في عام 1971 عندما كان السيد الخميني (رحمه الله) في النجف الأشرف وكان تلاميذه ينتظرون منه درساً في ذيب النفس، بدأ السيد بالقول: (إنني أشعر بأنّ التكليف أن أذكّر السادة في بعض المناسبات بما يتعلق بمصائب المسلمين ... ثم قال: والآن هل تريدونني أن أتحدث عن الأخلاق؟! إننا لن نكون مهذبين ما لم نفكر ذه الأحوال ولو كنا مهذبين لفكرنا بالأوضاع).

فللعلماء غير العاملين أقول: اعرضوا عملكم على سيرة الأنبياء والمرسلين، والحمد لله في القرآن الذي بين أيدينا اليوم ما يكفي من قصصهم عليهم السلام، وستجدون أنّ سيرتكم مخالفة لهم تماماً، فأما أن تسيروا بسيرة الأنبياء والمرسلين، و أما أن تتـنحوا عن هذا الطريق، فلا تكونوا قطّاع الطريق إلى الله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

وأقول لكم ما قاله عيسى عليه السلام لعلماء اليهود غير العاملين المتكبرين: (الويل لكم أنتم تغلقون ملكوت السماوات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون ولا تتركون الداخلين يدخلون) [2].

أفيقوا قبل أن تبسل نفس بما كسبت، وقبل أن يأتي يوم تقولون يا حسرتنا على ما فرطنا في جنب الله.

إنّ جذور الإسلام والمسلمين تتعرض اليوم للإبادة، ثم تريدونني أن أجلس وأتحدث عن ذيب النفس؟!

أفيقوا قبل أن يخرج سيف ابن فاطمة عليه السلام من غمده، وعندها ستـندمون على أفعالكم التي وضعتكم اليوم في الخندق المقابل له، أفيقوا واعترفوا بخطئكم الفاحش، فالعار أولى من دخول النار.

وفي ذات الوقت فإني أشد على يد العلماء العاملين ا اهدين الزاهدين في الدنيا، الذين يدلك ظاهرهم على باطنهم، والذين يعملون ليلاً و اراً لنشر كلمة: (لا إله إلاّ الله)، ونشر العدالة في ا تمع الإسلامي. ومع أنهم شرذمة قليلون كما قال الإمام الصادق عليه السلام [3].

1- فيض القدير: ج4 ص206، العلم والحكمة في الكتاب والسنة: ص446، موسوعة العقائد الإسلامية: ج2 ص486.

2- إنجيل متى: الاصحاح23 آية 13.

3- عن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (**يا أبا محمد إن عندنا والله سراً من سر الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وإن عندنا سراً من سر الله وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلغنا عن الله عز وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً، خلقوا من طينة خلق**

إلاّ أنّ الله سيبارك عملهم ويجعل فيه الخير الكثير إن شاء الله، فلا نوا ولا تنكلوا وأنتم الأعلون إن شاء الله، طوبى للمعروفين في السماء، ا هولين في الأرض مع كثرة عملهم وقلة ذات يدهم. أسأل الله أن يجعلني من خدمهم، وأن يحشرني في زمر م، مع كثرة جهلي وقلة علمي وقليل عملي بفضله ورحمته وعطائه الابتداء.

هذا وما أردت إلاّ الإصلاح ما استطعت، متوسلاً بالحي الذي لا يموت أن أكون ممن لا يخشون في الله لومة لائم، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب، هو وليي وهو يتولى الصالحين وأعوذ بالله من الخزي في الدنيا والآخرة.

تحصنت بذي الملك والملكوت، واعتصمت بذي القدرة والجبروت، واستعنت بذي العزة واللاهوت، من كل ما أخاف وأحذر، ومحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي و محمد و علي والحسن ومحمد عليهم السلام، والحمد لله وحده.

بسم الله الرحمن الرحيم **وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ** [1].

* * *

منها محمد وآله وذريته (عليهم السلام)، ومن نور خلق الله منه محمداً وذريته، وصنعهم بفضل رحمته التي صنع منها محمداً وذريته، فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه، فقبلوه و احتملوا ذلك [فبلغهم ذلك عنا فقبلوه واحتملوه] وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه، ثم قال: **إن الله خلق أقواماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم واشمأزوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردوه علينا ولم يحتملوه وكذبوا به وقالوا ساحر كذاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق، فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة، ليكون ذلك دفعا عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عبد الله في أرضه، فأمرنا بالكف عنهم والستر والكتمان، فاكتموا عمن أمر الله بالكف عنه، واستروا عمن أمر الله بالستر والكتمان عنه،** قال : ثم رفع يده وبكى وقال: **اللهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون فاجعل محيانا محياهم ومماتنا مماتهم، ولا تسلط عليهم عدواً لك فتفجعنا بهم، فإنك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبداً في أرضك وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما)** الكافي: ج1 ص402.

1- الشعراء : 10 - 15.

إبليس يتوعد

قال تعالى: **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** [1].

خلق الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) وأمر الملائكة بالسجود له، فكان هذا السجود اعترافاً عملياً بأفضلية آدم (عليه السلام) على الملائكة (عليهم السلام)، قدمته هذه الكيانات القدسية بما يناسب شأ ا وعالمها، ولم يكن هذا السجود لجسد آدم (عليه السلام)، إنما كان لروحه وحقيقته، بل كان من خلاله للحقيقة المحمدية والإنسان الكامل والحجاب الأقرب، ومن خلاله توجه إلى الحي الذي لا يموت، فلم يأمرهم سبحانه بالسجود إلاّ بعد أن يفيض الصورة المثالية على مادة آدم (عليه السلام) وينفخ فيه من روحه سبحانه، روي في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) ما معناه: (**إن الله خلق آدم على صورته**) [2]، أي إن آدم (عليه السلام) أو الإنسان قابل لتحصيل الكمالات الإلهية بأقصى ما يمكن للممكن، أو قل المخلوق وإن لم يصل آدم (صلى الله عليه وآله) إلى القاب قوسين أو أدنى، فقد وصل من ذريته المصطفى المصفّى محمد (صلى الله عليه وآله)، والتفت إبليس (لعنه الله) إلى شيء من هذه الحقيقة، لكنه تمرد ولم يسجد مع الملائكة وأخلد إلى الأرض، فنظر إلى مادة آدم (عليه السلام) التي خلق منها جسمه وقاسها بالطاقة أو النار التي خلق هو منها، فاستنبط أنّ الطاقة أشرف من المادة، وتغافل عن حقيقة آدم (عليه السلام) وقربه من الله. فسقط إبليس في الهاوية مع علمه الواسع وعبادته الطويلة؛ لأنه لم يكن عابداً مخلصا لله، بل كان عابداً مخلصاً لنفسه، وكان يطلب العلو والارتفاع بعبادته فحسب.

ومن هنا كان الامتحان بالسجود لآدم (عليه السلام) طامة كبرى بالنسبة له، وصاعقة سقطت على أم رأسه، وحسد آدم (عليه السلام)، فلو مثلته لعقلك لوجدته في ذلك الوقت يقول: أبعد كل هذه المدة في

1- ص : 71 - 85.

2- التوحيد للشيخ الصدوق: ص152، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : ج2 ص110، مسند أحمد: ج2 ص244، صحيح البخاري: ج7 ص125.

العبادة، يخلق الله عبداً خيراً مني حال خلقه وعند نطقه؟ فيعلو ويرتفع لتمسي الملائكة دون درجته. فكان هذا الحجاب يمنعه من النظر إلى حقيقة آدم، ويدفعه إلى البحث عن عذر لامتناعه عن السجود يقنع به نفسه، ويجادل به ربه.

ولم يكن رد الله سبحانه وتعالى عليه إلاّ بالطرد واللعن؛ لأنه من الذين جحدوا ا واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً [1]، قال تعالى: **تِلْكَ الدارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتقِينَ** [2].

فلم يكن إبليس (لعنه الله) جاهلاً يعلّم، ولا عاصياً يؤنب ويؤدب، بل كان عالماً متكبراً، وطاغياً متعالياً لا يرتدع، وانطوت نفسه على بغض لهذا المخلوق الجديد، وجعله السبب في طرده من رحمة الله واتخذه وذريته أعداء؛ ولهذا طلب الإنظار والإمهال إلى يوم البعث للحساب، ليضلهم عن الصراط المستقيم، ولكن الله سبحانه أمهله إلى يوم الوقت المعلوم فتوعد اللعين أن يحرف بني آدم عن صراط الله المستقيم: **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَن لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُم لَآتِيَنهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** [3].

ويوم الوقت المعلوم هو يوم قيام الإمام المهدي عليه السلام، حيث ورد في الحديث عن اسحق بن عمار قال: سألته - أي الإمام عليه السلام - عن إنظار الله تعالى إبليس وقتا معلوماً ذكره في كتابه، فقال: **قَالَ فَإِنكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ** [4]، قال عليه السلام: (**الوقت المعلوم يوم قيام القائم، فإذا بعثه الله كان في مسجد الكوفة، وجاء إبليس حتى يجثو على ركبتيه فيقول ويلاه من هذا اليوم، فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم منتهى أجله**) [5].

وفي الإنجيل أنّ الشيطان يقيد في الأغلال في القيامة الصغرى، أي في زمن قيام الإمام المهدي عليه السلام، جاء في رؤيا يوحنا: (... ثم رأيت ملاكاً نازلاً من السماء يحمل بيده مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة، فامسك التنين تلك الحيةَ القديمة أي إبليس أو الشيطان وقيده لألف سنة، ورماه

1- قال عزّ وجل: (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**) النمل : 14.

2- القصص : 83.

3- الأعراف : 16- 17.

4- الحجر : 37- 38.

5- منتخب الأنوار المضيئة : ص357، بحار الأنوار: ج52 ص376.

في الهاوية، وأقفلها عليه وختمها. فلا يضلل الأمم بعد حتى تتم الألف سنة، ولابد من إطلاقه بعد ذلك لوقت قليل) (1).

وعن السيد ابن طاووس (رحمه الله) قال: إني وجدت في صحف إدريس النبي عليه السلام عند ذكر سؤال إبليس وجواب الله له: (**قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال: لا، ولكنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فإنه يوم قضيت وحتمت أن أطهّر الأرض ذلك اليوم من الكفر والشرك والمعاصي. وانتخبتُ لذلك الوقت عباداً لي امتحنت قلوبهم للأيمان، وحشوتها بالورع والإخلاص واليقين، والتقوى والخشوع والصدق، والحلم والصبر والوقار، والتقى والزهد في الدنيا، والرغبة فيما عندي، وأجعلهم دعاة الشمس والقمر، وأستخلفهم في الأرض، وأمكن لهم دينهم الذي ارتضيته لهم ثم يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، يقيمون الصلاة لوقتها ويؤتون الزكاة لحينها، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وألقي في ذلك الزمان الأمانة على الأرض، فلا يضر شيء شيئاً ولا يخاف شيء من شيء، ثم تكون الهوام والمواشي بين الناس فلا يؤذي بعضهم بعضاً، وأنزع حمة كل ذي حمة من الهوام وغيرها، وأذهب سم كل ما يلدغ، وأنزل بركات من السماء والأرض وتزهر الأرض بحسن نباتها، وتخرج كل ثمارها وأنواع طيبها. وألقي الرأفة والرحمة بينهم فيتواسون ويقتسمون بالسوية فيستغني الفقير، ولا يعلو بعضهم بعضاً، ويرحم الكبير الصغير ويوقّر الصغير الكبير، ويدينون بالحق وبه يعدلون ويحكمون.**

أولئك أوليائي، اخترت لهم نبياً مصطفى، وأميناً مرتضى، فجعلته لهم نبياً ورسولاً، وجعلتهم له أولياء وأنصار. تلك أمة اخترتها لنبيّ المصطفى، وأميني المرتضى، ذلك وقت حجبته في علم غيبي ولابد أنه واقع. أبيدك يومئذٍ وخيلكَ ورجلكَ وجنودكَ أجمعين، فاذهب فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) (2).

هذه هي قصة إبليس العالم العابد الذي سقط في الهاوية، وأرداه تكبره في الحامية. وإن فيها لعبرة لمعتبر وذكرى لمدكر، وأين هم المعتبرون والمتذكرون؟!

1- الإصحاح: 20.

2- سعد السعود للسيد ابن طاووس: ص34، بحار الأنوار: ج52 ص385، إلزام الناصب: ج2 ص259، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج5 ص199.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (**فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذا أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم سني الآخرة، عن كبر ساعة واحدة. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصية؟ كلا، ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً إنّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد. وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة، في إباحة حمى حرمه على العالمين.**

فاحذروا عباد الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزكم بندائه، وأن يجلب عليكم بخيله ورجله. فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالنزع الشديد، ورماكم من مكان قريب. وقال: ﴿رَب بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَن لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [1]، ... واستعيذوا بالله من لواقح الكبر، كما تستعيذونه من طوارق الدهر.

فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه ... وكانوا أقواماً مستضعفين. وقد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره ... ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون (عليه السلام) على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي، فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه، ودوام عزه فقال: (ألا تعجبون من هذين، يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا ألقي عليهما أساورة من ذهب)، إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه ... الله الله في عاجل البغي، وآجل وخامة الظلم، وسوء عاقبة الكبر، فإنّها مصيدة إبليس العظمى، ومكيدته الكبرى التي تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة. فما تكدي أبداً، ولا تشوي أحداً، لا عالماً لعلمه، ولا مقلاً في طمره ... فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم، إلاّ لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التناهي ... ألا وقد قطعتم قيد الإسلام وعطلتم حدوده، وأمتم أحكامه ... وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم. سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الأبرار. عُمّار الليل ومنار النهار، متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل) [2].

1- الحجر : 49.

2- نهج البلاغة: الخطبة القاصعة، نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص183، بحار الأنوار: ج14 ص466.

الصراط المستقيم

قال تعالى: **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** [1].

هو الحق أو الطريق الذي يريد الله سبحانه من عباده سلوكه، أو هو الطريق الموصل إلى الحي القيوم سبحانه، وبعبارة أخرى هو الاعتقادات والأحكام الشرعية الصحيحة الصادرة منه سبحانه والواصلة لعبادة بواسطة أنبيائه ورسله و أوصيائهم عليهم السلام، ولا بد للعاقل من البحث عن الحق ليدفع عن نفسه العذاب وليتخذ إلى ربه المآب، سالكاً صراطه المستقيم، فالرضا بهذه الحياة المادية والاستغراق فيها أشد من الممات، بل هو شبه العدم، بل هو جهنم، قال تعالى: **يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** [2]، كما أن معرفة الحق والسير به وعليه وإليه هو الحياة الحقيقية؛ لأنّ في نهايته الوصول إلى عالم العقل والعودة إلى الحي الذي لا يموت، وهذه غاية فوق الجنة، قال تعالى: **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** [3].

قال تعالى: **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** [4]، فالعاقل لا يضيع حظه من السير على هذا الطريق، فإن وصل فبرحمة الله، وإلاّ فهو يتقلب في الجنان بفضل الله وبركة إجابة دعاء الحي الذي لا يموت: (أقبل) [5].

قال تعالى: **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** [6]، أي إنّ الله خلقكم رجاء أن تصلوا إلى عالم العقل كما وصل الأنبياء والأئمة عليهم السلام،

1- الشورى : 52 - 53.

2- العنكبوت : 54.

3- التوبة : 73.

4- السجدة : 17.

5- يشير عليه السلام بهذه الكلمة لما روي عن أهل البيت عليهم السلام، فقد روى الشيخ الكليني بسنده: عن أبي جعفر عليه السلام قال: (**لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر. ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب، وإياك أثيب**) الكاف : ج1 ص10. فالسعيد هو الذي لبى نداء الله عزّوجل وأقبل عندما أمره تعالى أن يقبل.

6- غافر : 67.

بل إنّ المطلوب الوصول إلى أعلى درجة في هذا العالم، وهي درجة المس بعالم اللاهوت أو درجة ألقاب قوسين أو أدنى. وصاحب هذا المقام المحمود من خلق لأجله الوجود (محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي نفسه). ومع أني اخترت الاختصار والإشارة، ولكن لا بأس من التوضيح قليلاً لعل الله يرزقني دعاء من يقرأ هذه الكلمات.

اعلموا أيها الأحبة من المؤمنين والمؤمنات إنّ المخلوق الأول هو العقل، وهو العالم الأول الروحاني وهو عالم كلي، الموجودات فيه مستغرقة بعضها في بعض ولا تنافي بينها. وأهله على درجات أعلاها المس بعالم اللاهوت سبحانه، وهي درجه خاصة بمحمد وعلي (عليهما السلام).

فمحمد (صلى الله عليه وآله) **دَنَا فَتَدَلَّى*فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** [1] وعلي (عليه السلام) نفسه، قال تعالى: **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** [2]، وعلي ممسوس بذات الله كما ورد عنه (صلى الله عليه وآله) [3]، ودو ما درجات، فهما (عليهما السلام) محيطان ويعلمان بكل من دو ما، ومن دو ما يعلم منهما بقدر درجته ولا يعرفهما أحد بتمام معرفتهما غير خالقهما، كما لا يعرف الله سبحانه أحد غيرهما بتمام معرفته الممكنة للإنسان.

ورد عن صاحب المقام المحمود (صلى الله عليه وآله) ما معناه: (**يا علي ما عرف الله إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلاّ الله وأنت، وما عرفك إلاّ الله وأنا**) [4].

أما العالم الثاني فهو عالم الملكوت، وهو عالم مثالي صوري، وهو عالم الأنفس شبيه بما يراه النائم. وذلك أن النائم غفل عن وجوده المادي فالتفت إلى وجوده الملكوتي، ولك أن تقول المثالي أو النفسي.

أما العالم الثالث فهو العالم المادي، وهو عالم شبيه بالعدم ليس له حظ من الوجود إلا قابليته للوجود، وهو آخر درجات التنـزل. فإذا أفيضت الصورة على المادة تكون الجسم، وهو أول درجات الصعود أو العودة، ثم إن الأجسام تنقسم بحسب درجا ا الوجودية إلى جماد ونبات وحيوان وإنسان، والإنسان إما يرتقي ويعود إلى مبدئه سبحانه، فيسبح في عالم العقل والقرب من الحي الذي لا يموت، وإما يزري بنفسه ويدبر عن ربه، فلا يرى إلاّ المادة التي لا تكاد تدرك أو

1- النجم : 8 - 9.

2- آل عمران : 61.

3- مناقب ابن شهر آشوب: ج3 ص31، المعجم الأوسط للطبراني: ج9 ص142، كنز العمال: ج11 ص621، بحار الانوار: ج39 ص313.

4- مختصر بصائر الدرجات: ص125، موسوعة الإمام علي (عليه السلام) في الكتاب والسنة: ج8 ص185، مشارق أنوار اليقين: ص172.

يحصل العلم ا إلا عند إفاضة الصورة المثالية عليها، وهكذا يصبح كالأنعام بل أضل سبيلاً؛ لأنه خلق ليقبل فأدبر، وخلق ليعقل فأبى إلا الجهل، وخلق ليحيا فأبى إلا الموت.

قال أبو عبد الله عليه السلام: (**إنّ الله عز وجل خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن** يمين **العرش من نوره، فقال أدبر فأدبر** ثم **قال له أقبل فأقبل. فقال الله تبارك وتعالى خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على** جميع **خلقي، قال:** ثم **خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً، فقال له أدبر فأدبر،** ثم **قال له أقبل فلم يقبل، فقال له استكبرت فلعنه ...**) [1].

أما العقل كل العقل فهو محمد صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام؛ لأنه نفسه كما في الآية وأنفسنا وأنفسكم [2]. وأما الجهل كل الجهل فهو الثاني ، وهو مبدأ التكبر، وهو الذي أضل إبليس وأرداه في الهاوية. قال إبليس (لعنه الله): **رَب بِمَا أَغْوَيْتَنِي** [3]، أي بالذي أغويتني به، أو بالنكرة التي تسببت بإغوائي. وهو في الآية النكرة الموصوفة؛ لأنه ظلماني لا هوية له، و (ما) التي تستعمل لـ (غير العاقل)؛ لأنه لا عقل له.

وهكذا فمن بني آدم عليه السلام من ارتقى بالعبادة والكمالات الأخلاقية، حتى وصل إلى القاب قوسين أو أدنى، فهو معلم الروحانيين والملائكة المقربين، وهو الإنسان الكامل أي محمد صلى الله عليه وآله، كما أن آدم عليه السلام علم الملائكة ما لم يكونوا يعلمون، قال أمير المؤمنين: (**خلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك السبع الشداد**) [4].

ومن بني آدم من أردى نفسه في الهاوية، فهو يسبح في بحر أجاج ظلمات بعضها فوق بعض، إذا اخرج يده لم يكد يراها، حتى أمسى ظلمانياً لا نور فيه، وجهلاً لا عقل معه، واضطراباً لا استقرار له، وخوفاً لا طمأنينة فيه، ولا سكينة تنـزل عليه. فلا يطمع في رحمة الله ويائس من روح الله مع أنّ إبليس (لعنه الله)، إذا قامت القيامة يطمع في رحمة الله كما ورد في الحديث، قال

1- الكافي: ج1 ص21، الخصال للصدوق: ص589، تحف العقول: ص401، بحار الأنوار: ج75 ص316.

2- يشير عليه السلام إلى قوله تعالى: (**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**) آل عمران : 61، ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله هو علي بن أبي طالب عليه السلام، والأبناء هما الحسن والحسين (عليهما السلام)، والنساء هي فاطمة (عليها السلام)، فراجع سبب نزول هذه الآية في تفسير مجمع البيان: ج2 ص 309 وغيره.

3- قال تعالى: (**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**) الحجر:39.

4- مناقب آل أبي طالب: ج1 ص327، عيون الحكم والمواعظ: ص304، بحار الأنوار: ج40 ص165، ميزان الحكمة: ج1 ص223.

تعالى: **﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** (1).

وهؤلاء يوحون لشياطين الجن زخرف القول بأنفسهم الخبيثة المستكبرة. فشياطين الجن من شياطين الأنس تأخذ ومنهم تتعلم، قال تعالى: **﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾** (2).

وقال الحروري :

وكنت فتى من جند إبليس فارتقى ... بي الأمر حتى صار إبليس من جندي

فلو مات قبلي كنت أحسن بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي (3).

وبقي شيء ... ولسائل أن يسأل، فالذي عند الكفرة أليس بعقل فهم يخترعون به الطائرة وأجهزة الاتصال المتطورة ؟!

والجواب: سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن الذي كان عند معاوية فقال (عليه السلام): **(تلك النكراء تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل)** (4). فكل إنسان له نصيب في عالم الملكوت، ونصيبه نفسه وهي صورة مثالية وظل للعقل، وهذا الظل هو قوة الإدراك أو الناطقة المغروسة في الجنان. والحيوان الصامت يشاركنا فيها ولكن مرآة الإنسان أصفى، فإشراق العقل على نفسه أ ى وأوضح، فحظه من هذا الظل أكبر. ومن تتبع عالم الحيوان سيعلم أنه لبعض الحيوانات القدرة على اختراع بعض الآلات، كما ورد عن بعض علماء الأحياء. وكمثال القنادس تنصب السدود لترفع منسوب الماء، فليس للإنسان فضل على الحيوان إلا أن ينظر في هذا الظل ليرى الحقيقة والعقل، ويسير نحوها للتكامل بالعبادة والشكر والأخلاق الحميدة، وإلاّ فان اكتفى ذا الظل فهو كالأنعام، أي كالحيوان الصامت، وإن أزرى بنفسه بالأخلاق الذميمة فهو أضل سبيلاً (5).

والحمد لله وحده، وما أوتينا من العلم إلاّ قليلاً، ربي أدخلني والمؤمنين والمؤمنات في رحمتك أنت ولي في الدنيا والآخرة فنعم المولى ونعم النصير.

1- الأنفال : 48.

2- الأنعام : 112.

3- بحار الأنوار : ج12 ص330.

4- الكافي: ج1 ص11، معاني الأخبار: ص240، الوسائل: ج15 ص206.

5- يشير (عليه السلام) إلى قوله تعالى: **(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا)** الفرقان:44.

العقائد والأحكام

وتشمل:

العقائد الصحيحة:

الإيمان بوجود خالق وتوحيده، والتصديق بأنبيائه ورسله وأوصيائهم عليهم السلام، والعدل والقضاء والقدر والبداء والجنة والنار، وعصمة خلفاء الله في أرضه عليهم السلام، والملائكة والغيب وكل ما أخبر به الأنبياء والمرسلون وأوصياؤهم عليهم السلام، ومالنا إلاّ التمسك بأذيالهم والاقتداء بآثارهم، قال تعالى: **إِنْ كُنْتُمْ تُحِبونَ اللهَ فَاتبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله** [1].

وعن زرارة، قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام من بدء النسل من آدم كيف كان، وعند بدء النسل من ذرية آدم، فإن أناساً عندنا يقولون: إن الله عز وجل أوحى إلى آدم أن يزوج بناته ببنيه، وأن هذا الخلق كله أصله من الأخوة والأخوات.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: (**تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً،** يقول: **من قال هذا ... بأنّ الله عز وجل خلق صفوة خلقه وأحباءه وأنبياءه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام؟!!! ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال!!! وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب، فوالله لقد تبينت أن بعض البهائم ُنكرت له أخته، فلما نزا عليها ونزل كُشف له عنها، فلما علم أنا أخته أخرج عزموله ثم قبض عليه بأسنانه حتى قطعه فخر ميتاً. وآخر ُنكرت له أمه ففعل هذا بعينه فكيف الإنسان في أنسيته وفضله وعلمه، غير أن جيلاً من هذا الخلق - الذي ترون - رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم، وأخذوا من حيث لم يأمروا بأخذه، فصاروا إلى ما ترون من الضلال والجهل بالعلم، كيف كانت الأشياء الماضية من بدء أن خلق الله ما خلق، وما هو كائن أبداً.**

ثم قال: **ويح هؤلاء أين هم عما لم يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق، أن الله عز وجل أمر القلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام، وأن كُتب الله كلها فيما جرى فيه القلم في كلها تحريم الأخوات على الأخوة مع ما حرم. وهذا نحن قد نرى هذه الكتب الأربعة المشهورة في هذا العالم: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، أنزلها الله عن اللوح المحفوظ على رسله صلوات الله عليهم منها التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد، وعلى النبيين عليهم السلام وليس فيها تحليل شيء من**

1- آل عمران : 31.

ذلك حقاً. أقول ما أراد من يقـول هذا وشبهه إلا تقويـة حجج ا وس، فما لهم قـاتلهم الله ...) [1].

فالحمد لله الذي فضحهم وأخزاهم بجهلهم وعنادهم للصادقين من آل محمد عليهم السلام حيث جعلوا الأنبياء عليهم السلام أولاد زنا، حاشاهم عن ذلك فسود الله وجه كل من تصدى أمام الصادقين من آل محمد عليهم السلام، وادعى أنه يعلم بسنة الرسول ومحكم الكتاب ومتشا ه، ونصب نفسه إماماً يدعو إلى النار في أمور الدين، كما فعل الأمويون والعباسيون ومن تبعهم في أمور الدنيا ولم يبق عذر اليوم لأتباعهم إلاّ العناد والتكبر، وإلاّ أن يقولوا عنـزة ولو طارت!

وعمدة العقائد التي يجب الإيمان ا هي ما جاءت في آخر سـورة البقرة، وهي التي آمن ا النبي صلى الله عليه وآله، وهي:

الأيمان بالله وبالملائكة وبالكتب السماوية وبالرسل، سواء كانوا أنبياء أو أوصياء أو أي مرسل من الله سبحانه، حتى ولو كان مرسل للقيادة الدنيوية فقط كطالوت عليه السلام.

فعلى كل مسلم أن يؤمن بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، وأن يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، وأن يؤمن بالملائكة والكتب والأنبياء السابقين وأوصيائهم وشرائعهم، وأن يحترمها وإن نسخت؛ لأ ا كانت شريعة الله في يوم من الأيام على هذه الأرض. وعلى المسلم أن يؤمن بأوصياء النبي محمد صلى الله عليه وآله الاثني عشر عليهم السلام، وأن يقبل كل ما صح من الأخبار عنهم عليهم السلام، كما على المسلم أن يؤمن أن الوصي الثاني عشر من أوصياء محمد صلى الله عليه وآله هو الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام، وهو حي يرزق إلى اليوم وسيقوم بالسيف كما قام جده صلى الله عليه وآله، وعلى المسلم موالاته والنصح له، وتقديمه على النفس والمال والولد، والعمل لإعلاء كلمته وإظهار أمره ومظلوميته، والتهيئة لدولته عليه السلام، ومعاداة عدوه من أئمة الجور المتسلطين على هذه الأمة، وأعوا م وجنودهم الكافرين الخارجين من ولاية الله إلى ولاية إبليس (اللعين). وعلى المؤمن أن لا يخشى عددهم وعد م.

قال تعالى: **﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** [2].

الأحكام:

1- علل الشرائع: ج1 ص19.

2- النمل : 50 - 52.

أما الأحكام، فهي مجموع التشريعات التي يأتي ا الأنبياء والمرسلون منه سبحانه، والتي يكلف ا العباد وربما نسخ بعضها، أو زيدت تشريعات أخرى خلال مرور الزمن وفق علم الحكيم الخبير بما يصلح حال العباد والبلاد في كل زمن، ولا يصح النسخ والتغير والزيادة إلاّ ببعث نذير معصوم ناطق عن الله وعامل بأمره، ومن ابتغى وراء ذلك فقد ضل ضلالاً بعيداً، ولو نظرنا في الشرائع السماوية والأحكام الإلهية لوجدنا تطبيقها هو، وهو فقط المصلح للأرواح والأبدان والبلاد والاقتصاد، فمن شرع أو غير ونسخ أو زاد في الشريعة من غير أولئك المعصومين الناطقين عن الله فقد ادعى أنه إله وعلى الخلق أن يعبدوه، وإن لم يصرح ذا في قوله، فقد صرح القرآن أن اليهود كانوا يعبدون أحبارهم ورهبا م من دون الله؛ لأنهم كانوا يحلّون لهم الحرام ويحرمون الحلال فيطيعو م، عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ**[1]، قال عليه السلام: (**وأمّا أحبارهم ورهبانم فإنّهم أطاعوهم وأخذوا بقولهم واتبعوا ما أمروهم به، ودانوا بما دعوهم إليه، فاتخذوهم أرباباً بطاعتهم لهم، وتركهم ما أمر الله وكتبه ورسله فنبذوه وراء ظهورهم، وما أمرهم به الأحبار والرهبان اتبعوه وأطاعوهم وعصوا الله، وإنّما ذكر هذا في كتابنا لكي نتعظ بم** ...)[2].

إذن فكل عقيدة يعتقدها الإنسان إن لم يأخذها من معصوم جاء ا من الله فهي عبادة من دون الله، وكل حكم شرعي يتعبد به الإنسان إن لم يأخذه من معصوم جاء به من الله فهو عبادة لذلك الشخص الذي أفتى وشرع؛ لأنه ادعى أنه إله، حيث إن المعصومين أنفسهم ليس لهم إلاّ نقل الحكم الشرعي عن الله.

قال الإمام الصادق عليه السلام في رسالته المشهورة إلى الشيعة: (**أيتها العصابة المرحومة المفلحة، أن الله أتم لكم ما أتاكم من الخير، واعلموا أنّه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بوى ولا رأي ولا مقائيس، قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شيء. وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً، لا يسع أهل علم القرآن الذين أتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بوى ولا رأي ولا مقائيس، أغناهم الله عن ذلك بما أتاهم من علمه أخصهم به، ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم با، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم، وهم**

1- التوبة : 31.

2- تفسير القمي: ج1 ص289، بحار الأنوار: ج9 ص212.

الذين من سألهم - وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم - أرشدوه، أعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه، وإلى جميع سبل الحق، وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم - الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم - ألا من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق، تحت الأظلة، فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقائيسهم حتى دخلهم الشيطان؛ لأنهم جعلوا أهل الإيمان في علم القرآن عند الله كافرين، وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتى جعلوا ما أحل الله في كثير من الأمر حراماً، وجعلوا ما حرّم الله في كثير من الأمر حلالاً.

فذلك أصل ثمرة أهوائهم، وقد عهد إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل موته فقالوا: نحن بعد ما قبض الله عزّ وجل رسوله يسعنا أن نأخذ بما أجتمع عليه رأى الناس، بعدما قبض الله عزّ وجل رسوله (صلى الله عليه وآله)، وبعد عهده الذي عهده إلينا وأمرنا به. مخالفاً لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله)، فما أحد أجرأ على الله، ولا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك، وزعم أن ذلك يسعه.

والله إنّ لله على خلقه أن يطيعوه ويتبعوا أمره في حياة محمد (صلى الله عليه وآله)، وبعد موته. هل يستطيع أولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحداً ممن أسلم مع محمد (صلى الله عليه وآله) أخذ بقوله ورأيه ومقائيسه؟ فإن قال: نعم، فقد كذب على الله وضل ضلالاً بعيداً. وإن قال: لا، لم يكن لأحد أن يأخذ برأيه وهواه ومقائيسه، فقد أقر بالحجة على نفسه. وهو ممن يزعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد قال الله وقوله الحق: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ [1]، وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويتبع أمره في حياة محمد (صلى الله عليه وآله)، وبعد قبض الله محمداً (صلى الله عليه وآله)، وكما لم يكن لأحد من الناس مع محمد (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه، خلافاً لأمر محمد (صلى الله عليه وآله)، فكذلك لم يكن لأحد من الناس بعد محمد (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه) [2].

1- آل عمران : 144.

2- الكافي: ج8 ص5 - 6، وسائل الشيعة: ج27 ص37، بحار الأنوار: ج75 ص213.

فإذا كان الأئمة (عليهم السلام) مع تمام عقولهم وعلمهم بمحكم الكتاب ومتشابهه، وتنـزيله وتأويله، ليس لهم الفتوى، بل ينقلون عن الله وعن رسوله (صلى الله عليه وآله)، فكيف يكون لغيرهم مع نقصان عقولهم وجهلهم بالمحكم والمتشابه، والتنـزيل والتأويل.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) لأبي حنيفة عندما دخل عليه: (**يا أبا حنيفة، تعرف كتاب الله حق معرفته؟!!! وتعرف الناسخ والمنسوخ؟!!!** قال: نعم، قال (عليه السلام): **يا أبا حنيفة، لقد ادعيت علماً، ويلك ما جعل الله ذلك إلاّ عند أهل الكتاب الذين أنزل الله عليهم. ويلك ولا هو إلاّ عند الخاص من ذرية نبينا (صلى الله عليه وآله)، ما ورثك الله من كتابه حرفاً، فإن كنت كما تقول ولست كما تقول، فأخبرني** ...) (1).

* * *

إنّ في قصصهم لعبرة

قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ * كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾** (2).

حري بكل مسلم أن يدرس تاريخ بني إسرائيل وسيرهم مع موسى وهارون (عليهما السلام)، ثم مع عيسى (عليه السلام)؛ لأنّ بعث موسى وهارون (عليهما السلام) يكاد يكون بعث محمد وعلي (عليهما السلام)، وما حصل لموسى وهارون (عليهما السلام) لا يختلف كثيراً عما حدث لمحمد وعلي (عليهما السلام). وما فعله بنو إسرائيل في فترات غياب موسى (عليه السلام) أو بعد وفاة هارون وموسى (عليهما السلام)، لا يختلف كثيراً عما فعلته هذه الأمة بعد وفاة محمد (صلى الله عليه وآله)، ثم بعد وفاة علي (عليه السلام)، ثم بعد غياب خاتم أوصياء محمد (صلى الله عليه وآله)، كما أنّ بعث عيسى (عليه السلام) لبني إسرائيل يكاد يكون بعث محمد بن الحسن العسكري المهدي (عليه السلام) لهذه الأمة، وما سيلاقيه المهدي (عليه السلام) من هذه الأمة، ومن بعض علماء السوء (غير العاملين) في هذه الأمة لن يختلف كثيراً عما لاقاه عيسى (عليه السلام) من اليهود وعلمائهم غير العاملين. **﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (3).

1- علل الشرائع: ج1 ص90، وسائل الشيعة: ج27 ص48.
2- الروم : 58 - 60.
3- الأعراف:176.

بنو إسرائيل
يترقبون ولادة موسى عليه السلام

كان بنو إسرائيل قبل بعث موسى عليه السلام في حالة ترقب لهذا النبي العظيم والمصلح المنتظر، وكانوا يتباشرون حتى بولادته والاستعداد لاستقبال هذا الوليد المبارك، الذي سيخلصهم من حكم الطواغيت والفراعنة، الذين كانوا بدورهم في حالة ترقب سلبية لهذا المولود المبارك للانقضاض عليه وقتله، والخلاص منه قبل أن يكبر ويقضي على الحكم الطاغوتي، ويفضح الفراعنة وادعاءا م الزائفة، ويقود بني إسرائيل للنجاة، ولحمل كلمة لا إله إلاّ الله إلى أهل الأرض، وجاءت سنين الولادة الموعودة فقتل فرعون مواليد بني إسرائيل في تلك السنين التي كانوا يترقبون ولادة موسىعليه السلام فيها ظناً منه أنه قادر على تغيير سنة الله، فشاء الله أن يخزيه ويبين له ضعفه أمام القدرة الإلهية والتدبير الرباني، فأنشأ سبحانه موسى في قصر فرعون بالذات، ولم يكن المربي لموسى إلاّ فرعون الطاغية، الذي كان يسعى الليل والنهار للقضاء على هذا المولود.

قال تعالى: **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِن فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امرأة فِرْعَوْنَ قُرتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** [1]، بينما كان فرعون وجنوده يستضعفون بني إسرائيل ويذلو م ويقتلون أبناءهم وخيارهم، كان موسى يكبر في قصر فرعون ويرى ما يحدث خارج القصر من ظلم واضطهاد للشعب المستضعف، ويرى ما يحدث في القصر من رسم خطط إرهابية وإعلامية الهدف منها استخفاف الشعب وحمله على طاعة فرعون، أو على الأقل التسليم بالأمر الواقع، وترك المقاومة، **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرشَادِ** [2].

وكان موسى عليه السلام يرى سياسة فرعون وحزبه التي كانت تتمثل بمنع الدين الإلهي من الانتشار، ومنع الشعائر الدينية لبني إسرائيل، ونشر الفساد وبالتالي دفع الأجيال التي تنشأ في هذا الجو الفاسد إلى الفساد وترك التدين والالتزام بالشريعة الإلهية المقدسة. وهذا هو أهم العوامل التي يعتمد عليها الطاغية في حكمه، حيث يضمن أنّ الشعب قد تخلّى عن الله، عن القوة الحقيقية والناصر الحقيقي، القادر على القضاء على الطاغوت وعلى حزبه الشيطاني.

1- القصص : 8 - 9.

2- غافر : 29.

موسى عليه السلام المجاهد في سبيل الله،
المهاجر إلى الله، والنبي الداعي إلى الله

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1].

دخل موسى عليه السلام معترك الحياة، ليجد ظلم الطاغية فرعون للشعب المستضعف من بني إسرائيل والمصريين، وموسى عليه السلام الطاهر النقي، والنبي المخلص المنتظر الذي يعرفه بنو إسرائيل، كيف يبقى في قصر فرعون ظهيراً له، ولو بالسكوت على ظلمه ومكثراً لسواده؟ فشاء الله أن تقع تلك الحادثة، وهي قتل أحد زبانية فرعون وجنوده الظلمة، وكان لهذه الحادثة وقع كبير في نفس موسى عليه السلام حيث التجأ إلى الحق، يستغفره ويتوب إليه مما اعتبره ذنباً، وهو عيشه في قصر فرعون الطاغية والأب المربي لموسى عليه السلام، ولما غفر له ربه سبحانه وتعالى عاهد الله على ما آتاه من نعمة المغفرة على أن لا يكون ظهيراً لمجرم وظالم، ولو بمداهنته أو السكوت على ظلمه، فكان لابد لموسى عليه السلام بعد هذه الحادثة أن يهاجر إلى الله، فخرج من المدينة خائفاً يترقب، وغاب عن بني إسرائيل عشر سنين، قضاها في أرض مدين يعيش حياة بسيطة وهادئة في أحضان نبي عظيم، وهو شعيب عليه السلام، يرعى قطيعاً من الأغنام، ويتعلم الكثير ليعود بعد ذلك لبني إسرائيل قائداً ربانياً شجاعاً ونبياً يدعو إلى الله، فيقود المؤمنين للنجاة من بطش فرعون، والاستضعاف والهوان الذي

1- القصص : 14 - 22.

كانوا يلاقونه في مصر. وعبر موسى (عليه السلام) والمؤمنون البحر، وأغرق الله فرعون وجنوده، ولكن بعد هذا العبور كان ما كان، فتمرد بنو إسرائيل على الأوامر الإلهية، وعصوا موسى وهارون (عليهما السلام)، وبعد أن رفض بنو إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة وجهاد الجبابرة لنشر كلمة (لا إله إلاّ الله) والعبادة الخالصة لله، كتب الله عليهم التيه أربعين سنة في صحراء سيناء، وكم أوذي موسى وهارون (عليهما السلام) خلال هذه المدة، فاعترض الكثير منهم على موسى(عليه السلام)، واستخفوا به واعترضوا على هارون وكونه نبياً وخليفة لموسى (عليه السلام)، فأمرهم الله أن يكتب كل رئيس سبط من أسباط بني إسرائيل اسمه على عصا يابسة، وكتب هارون اسمه، ووضع موسى (عليه السلام) العصي في خيمة الاجتماع، وشاء الله أن تخضر العصا التي كتب عليها اسم هارون(عليه السلام) لتكون معجزة تؤيد نبوته وحقه في خلافة موسى (عليه السلام)، لكنهم لم يتوقفوا عن إيذاء هارون (عليه السلام) والاستخفاف به، حتى إنهم لما صنعوا العجل وعبدوه واعترض عليهم هارون (عليه السلام) كادوا يقتلونه مع الفئة القليلة التي ناصرت الحق معه (عليه السلام)، ولم يكتف اليهود بـهذا، بل حرفوا التوراة بعد وفاة موسى وهارون (عليهما السلام)، وكتبوا بأيديهم الأثيمة فيها أن الذي صنع العجل وأضل بني إسرائيل هو هارون (عليه السلام) !!

فانظر إلى مظلومية هذا النبي العظيم هارون (عليه السلام)، وقارنـها بمظلومية الوصي علي بن أبي طالب(عليه السلام)، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

* * *

فتنة العجل

قال تعالى: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [(1)].

وقال تعالى: وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ * وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [(2)].

وقال تعالى: قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً [(3)].

1- البقرة : 93.

2- الأعراف : 148 - 153.

3- طه : 87 - 98.

حدثت فتنة العجل في سنين التيه الأربعين التي تاه فيها بنو إسرائيل في صحراء سيناء، عقوبة لتمردهم على الأوامر الإلهية، وإصلاحاً لما فسد في نفوسهم، حيث واعد الله سبحانه وتعالى موسى (عليه السلام) ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر، قال تعالى: **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾**(1).

ولم يكن سبحانه وتعالى يجهل أنّ الميقات أربعين ليلة، ولم يكن سبحانه وتعالى يكذب على موسى سبحانه وتعالى علواً كبيراً، وإنما واعده ثلاثين ليلة وكانت العشر التمام للأربعين معتمدة على أمر أخر لم يحدث بعد، كدعاء أو صدقة أو أي عمل يقوم به موسى (عليه السلام)، أو تقصير من جماعة بني إسرائيل يعاقبون عليه بغياب موسى (عليه السلام) عشر ليالي إضافية، ففي علم الله سبحانه أن موسى سيغيب أربعين ليلة، لكن في لوح المحو والإثبات أن موسى سيغيب ثلاثين ليلة، فإن حصل الأمر الفلاني من موسى (عليه السلام) أو بني إسرائيل فإنه سيتمها أربعين ليلة، قال تعالى: **﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾**(2).

وهذا يشبه دعاء أيٌّ منا ليدفع الله عنه البلاء، أو يرزقه من رحمته ما يشاء، فلو كانت الأمور لا تتبدل لبطل الدعاء ولأمسى لغواً لا نفع فيه، لكن الله سبحانه قدر المقادير ويداه مبسوطتان يوسع على من يشاء ويقتر كيفما يشاء وهو أحكم الحاكمين، وهذا هو البداء الحق المبين في الذكر الحكيم الذي أنكره الجاهلون، وقالوا: إنّ الله فرغ من كل شيء، وجعلوا يديه مغلولتين يضاهون قول اليهود(3).

1- الأعراف : 143.

2- الرعد : 39.

3- يزعم اليهود أنّ يد الله تعالى مغلولة، وأنّه تعالى فرغ من الخلق والأمر ولا يستطيع تغيير أي شيء! وقد ردّ الله سبحانه وتعالى على هذا القول فقال: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**) المائدة :64.

وقد وافق أكثر علماء السنة اليهود في هذا، فقالوا: إنّ الله تعالى قد فرغ من الأمر فلا يمكنه التغيير! ورووا في ذلك روايات، منها ما رواه أحمد في مسنده : عن ابن عمر قال: (قال عمر: يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه أفي أمر قد فرغ منه أو مبتدأ أو مبتدع، قال : **فيما قد فرغ منه فاعمل يا ابن الخطاب، فان كلا ميسر، أما من كان من أهل العادة فإنه يعمل للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء**) مسند أحمد : ج2 ص52، ولاحظ صحيح البخاري:ج6 ص86، صحيح مسلم: ج8 ص48، تفسير ابن كثير: ج4 ص554، وغيرها.

فلهذه النصوص الصحيحة عندهم قالوا بالجبر على الله تعالى، كما قالوا به في أفعال الانسان! ونجد البخاري يحمّل الله تعالى مسؤولية خطيئة آدم (عليه السلام)، فقد روى عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (**احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق؟** فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **فحج آدم موسى مرتين**) صحيح البخاري: ج3 ص131. فأنكروا البداء جهلاً منهم بحقيقته.

هذا، وهناك من علماء السنة من يثبت البداء كابن الجوزية في كتابه الجواب الكافي في فصل الدعاء، وهو وإن لم يصرح باللفظ فقد أثبت المعنى سواء بالروايات عن النبي صلى الله عليه وآله أو بمناقشته لفائدة الدعاء.

وفي هذه الليالي الأربعين استغل السامري غياب موسى عليه السلام، وقام بصياغة عجل من الحلي وألقى السامري في هذا العجل حفنة تراب أخذها من تحت حافر فرس جبرائيل عليه السلام، فخرج العجل الجسد له خوار، أي صوت كصوت العجل الحي. قال موسى عليه السلام: (**يا رب العجل من السامري فالخوار ممن؟ قال: مني يا موسى، إني لما رأيتهم قد ولوا عني إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة**) [1].

وقال لهم السامري هذا إلهكم وإله موسى، أي إنّ إلهكم حل في هذا العجل!! وصدقه الكثير من بني إسرائيل بعد أن أعانوه على صناعة العجل!!

ويجدر بنا أن نتدبر هذه الحادثة في القرآن وندرسها، لعل الله يمن علينا بحياة السعداء وميتة الشهداء، كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وآله عند دراسة القرآن [2].

فإذا قررتم أيها الأحبة دراسة هذه الحادثة فتعالوا معي نتساءل، من هو السامري؟ وهل كان عالماً من علماء بني إسرائيل؟ وهل كان متعبداً ناسكاً؟ حيث: **قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً ...** [3].

يبدو من سياق الآية أنه كان يرى جبرائيل عليه السلام أو أموراً غيبية، لم يكن غيره يراها.

ثم هل كان السامري مجاهداً؟

ورد هذا المعنى في تفسير الآية: **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ** [4]، أنه السامري فلو صح هذا لكان السامري مجاهداً، قاتل جنود الطاغية، فرعون في مصر قبل بعث موسى عليه السلام [5].

---

1 - تفسير القمي: ج2 ص62، بحار الأنوار: ج13 ص210، قصص الأنبياء الجزائري: ص 268.

2 - عن إسماعيل بن أبي زياد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: (**إن أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين، ولا تستضعفوا أهل القرآن وحقوقهم، فان لهم من الله لمكاناً**) ثواب الأعمال للصدوق: ص99-100.

3- طه : 96.

4- القصص : 15.

5 - في تفسير القمي: (.... **وكان السامري على مقدمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه، فنظر إلى جبرئيل وكان على حيوان في صورة رمكة، فكانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى** ...) تفسير القمي: ج2 ص61 - 63.

وهذا يدل على أن السامري كان قائداً وعلى مقدمة أصحاب موسى عليه السلام، ولا أقل أن يكون من خيار أصحاب موسى عليه السلام.

ثم من الذي نسى؟ موسى (ع)، أي نسى إلهه هاهنا وذهب إلى الطور فيكون الكلام بلسان السامري. والحق أن هذا بعيد؛ لأنّ بني إسرائيل يعلمون أنّ موسى ذهب إلى الطور بأمر الله، إذن فيكون الناسي هو السامري، أي ترك الإيمان الحقيقي والمعبود الحق، فيكون الكلام من الله سبحانه. ثم ما الذي سولت له نفسه؟ الحق أنّ هذا هو أصل كل الفتنة، الهوى والأنا والشيطان وزخرف الدنيا، سولت له نفسه الأمارة بالسوء أنه أفضل من هارون (ع)، وتمرد عليه ولم يطع أمره وتكبر، لقد سولت له نفسه أنه عالم وعابد وناسك وربما مجاهد، وكشفت له بعض الأمور الغيبية، فهو أحق من هارون (ع) بقيادة بني إسرائيل في غيبة موسى (ع)، وحسد هارون و موسى (عليهما السلام) فأخذ التكبر منه كل مأخذ، و تمكن منه الهوى والأنا كل التمكن، و أرداه الشيطان في الهاوية وجعله يتكبر على الأنبياء العظام (ع) كما تكبر هو على آدم (ع)، فاستفزه الشيطان بندائه وأغواه بغوايته وأصابه بدائه، ف لت الحجب على مرآة الروح لما اشترى الضلالة بالهدى، فلم يعد يرى: **﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾** [1].

ونسي الحقيقة والمعبود الحق الذي لا يرى بالأبصار ولا تدركه الأوهام، فعاد إلى أخس أنواع الشرك، إلى التشبيه. فأخرج ما انطوت عليه نفسه عجلاً جسداً له خوار، يكون فتنة يفرح ا قوم انطوت عليها نفوسهم قبل ظهورها، وأشربوا العجل قبل صياغته، فكم اعترضوا على موسى وهارون (عليهما السلام)، وكم آذوا موسى (ع)، **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾** [2].

كان كثير من بني إسرائيل يرون أنهم خير من موسى (ع)، أما هارون (ع) فلم يكن له وزن عند كثير منهم، جاء في التوراة: (وأخذ قورح بن يصهار بن فهات بن لاوي، وداثان وابرام ابنا الياب واون بن قالت بنوراوبين يقاومون موسى مع أناس من بني إسرائيل ... فاجتمعوا على موسى وهارون، وقالوا لهما كفاكما أن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب. فلما سمع موسى سقط على وجهه، ثم كلم قورح وجميع قومه قائلاً غداً يعلن الرب من هو له ومن المقدس حتى يقربه أليه) [3].

1- الأعراف : 198.
2- الصف : 5.
3- الكتاب المقدس - العهد القديم / الإصحاح السادس عشر : ص238.

(وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل وخذ منهم عصا عصا لكل بيت أب من جميع رؤسائهم حسب بيوت آبائهم اثنتي عشرة عصا، واسم كل واحد تكتبه على عصاه واسم هارون تكتبه على عصا لاوي، لأنّ لراس بيت آبائهم عصا واحده. وضعها في خيمه الاجتماع أمام الشهادة حيث اجتمع بكم، فالرجل الذي اختاره تفرخ عصاه فاسكن عني تذمرات بني إسرائيل التي يتذمرو ا عليكما، فكلم موسى بني إسرائيل، فأعطاه جميع رؤسائهم عصا عصا لكل رئيس حسب بيوت آبائهم اثنتي عشره عصا، وعصا هارون بين عصيهم. فوضع موسى العصي أمام الرب في خيمة الشهادة، وفي الغد دخل موسى إلى خيمة الشهادة، وإذا عصا هارون لبيت لاوي قد أفرخت وأخرجت فروخاً و أزهرت زهراً وانضجت لوزاً، فاخرج موسى جميع العصي من أمام الرب إلى جميع بني إسرائيل، فنظروا وأخذ كل واحد عصاه، وقال الرب لموسى رد عصا هارون إلى أمام الشهادة لأجل الحفظ، علامةٌ لبني التمرد فتكف تذمرا م عني لكي لا يموتوا ففعل موسى كما أمره الرب كذلك فعل) [1].

(وارتحلوا من جبل هور في طريق بحر سوف ليدوروا بأرض أدوم، فضاقت نفس الشعب في الطريق، وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية، لأنه لا خبز ولا ماء وكرهت أنفسنا الطعام السخيف) [2].

وهكذا كان السامري وعجله الجسد متنفساً لهؤلاء الفاسقين، ليخرجوا ما انطوت عليه نفوسهم من بغض وحسد لموسى وهارون (عليهما السلام)، ولهارون (عليه السلام) بالذات؛ لأنّ القدح بشخصه (عليه السلام) والطعن بنبوته وقيادته أيسر؛ وذلك لأنّ لموسى (عليه السلام) مكانة كبيرة وهيبة عظيمة في نفوس كثير من بني إسرائيل لما ظهر على يديه من المعجزات. وهكذا استضعف هؤلاء المنافقين الذين اتبعوا السامري هارون (عليه السلام) والجماعة الذين رابطوا معه على الحق، وحاولوا قتل هارون(عليه السلام)، ولكنه تعامل مع الفتنة بحكمة الأنبياء، ثم تربص حتى عاد موسى (عليه السلام)، ونصره الله وأظهر حقه وحكم العقيدة الفاسدة وأظهر مكا ا العقيدة الصحيحة، والحق الذي يريده الله:

وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً [3].

1- الكتاب المقدس - العهد القديم / الإصحاح السابع عشر : ص241.

2- الكتاب المقدس - العهد القديم / الإصحاح الحادي والعشرون : ص247.

3- طه : 97- 98.

شبيه السامري

قال تعالى: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [1].

بلعم بن باعوراء عالم وناسك كان يرى بعض الغيب، فاستدعاه أحد الملوك الطواغيت الكفرة ليدعو على موسى (عليه السلام) فدعا عليه، مع علمه أنّ موسى نبي عظيم، حسداً له، ومع علمه أنّ هذا الملك طاغوت كافر بالله وبرسله وبدينه في الحقيقة، وإن أظهر شهادة لا إله إلاّ الله؛ لأنّ محاربته لأولياء الله ولدين الله دالة على كفره. ولكن بلعم بن باعوراء وأمثاله يجعلون الشبهات عاذراً لسقطا م ولعلهم يجعلون المحكم متشابه والحق مشتبه؛ لينتهكوا حرم الله سبحانه.

وفي التوراة الموجودة أن بلعم بن باعوراء لم يدع على موسى، والظاهر أنه من تحريف اليهود فيها، حيث جاء في رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام): (**أنّه أعطى بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم فكان يدعو به فيستجاب له، فمال إلى فرعون** - وهذا غير فرعون مصر لعنهم الله - **فلما مرّ فرعون في طلب موسى (عليه السلام) وأصحابه، قال فرعون لبلعم أدعو الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمر في طلب موسى (عليه السلام) فامتنعت علية حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله عز وجل، فقالت: ويلك على ما تضربني، أتريد أن أجيء معك لتدعو على موسى نبي الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتى قتلها، وانسلخ الاسم الأعظم من لسانه** ...) [2].

إذن فهذا عالم واطلع على بعض الغيب، فهو على يقين، ولكن يقينه لم ينفعه بشيء؛ لأنه ركن للحاكم الجائر وأحب العلو والارتفاع، ولم يكن مخلصاً لله حيث انطوت نفسه على التكبر وحب الأنا والحسد لأولياء الله المصطفين!!

ولما تعرض لهذا الامتحان الإلهي انسلخ من آيات الله وأعرض عنها، وأظهر باطنه الأسود وظهرت حقيقته (كلب يلهث وراء الدنيا)، لكنه تسربل بلباس العالم العابد العامل لله. وهكذا أغواه الشيطان وأرداه فكان تابعاً مخلصاً له، بعد أن اقتفى أثره واتبعه، حيث كان الشيطان يعلم

1- الأعراف: 176.

2- تفسير القمي: ج1 ص 248، قصص الأنبياء للجزائري: ص352.

علم اليقين، ومع ذلك تكبر على آدم عليه السلام وتمرد على الله. وكذلك هذا اللعين فمع علمه ويقينه حسد موسى عليه السلام ودعا عليه، بدل أن ينظم تحت لوائه ويكون تابعاً له، وهكذا كان العلم لـ (بلعم بن باعوراء) سبباً للتكبر وحسد موسى عليه السلام!! فجعل بلعم بن باعوراء العلم نقمة أردته في الهاوية، مع أنه رحمة يصل العاملون بها إلى الله.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (**العلماء كلهم هلكى إلاّ العاملون، والعاملون كلهم هالكون إلاّ المخلصون والمخلصون على خطر**)[1].

ومع الأسف كثيرون يعدون أنفسهم علماء مع أنهم لا يحسنون تفسير سورتين من القرآن الكريم، على ما ورد عن آل محمد عليهم السلام، ولم يقرؤوا إلاّ اليسير من روايات المعصومين عليهم السلام، مقتصرين على بعض الروايات الفقهية في الغالب. فبماذا يعدون أنفسهم علماء، أبالمنطق الذي وضعه أرسطو قبل آلاف السنين، وربما يوجد من الملاحدة من هو أعلم به منا. أم بالمجادلات والإشكالات المنطقية وغيرها الخالية من ثمرة علمية أو عملية، ولا تعدوا كونها ترفاً علمياً وضياعاً للوقت[2].

ألسنا نروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما معناه: (**إنّ المرء يحاسب عن عمره فيما أفناه**)[3]. أوليس الله سبحانه يقول: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾[4].

1- ميزان الحكمة: ج1 ص756، كشف الخفاء للعجلوني: ج2 ص312، جامع السعادات للنراقي: ج1ص220.

2- لقد وضعت الحوزات العلمية الشيعية اليوم منهجاً في دراساتها الدينية معتمداً على دراسة المنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية وعلم أصول الفقه وعلم الرجال الموروثان من أهل السنة، وأصبحت هذه العلوم وما شابهها من العلوم العقلية آلات من خلالها يتوصل الطالب الحوزوي لمعرفة العقائد الدينية الإلهية والأحكام الفرعية العملية، فأصبحت هذه العلوم هي الحاكمة على كلام محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله، وأخذوا يفسرون كلامهم طبقاً لتلك المناهج التي وضعها الملاحدة، مما أدى إلى سقوطهم في مخالفات كثيرة لكلام محمد صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام، ورفضوا الكثير من الروايات وأسقطوها نتيجة إيمانهم بهذا المنهج المبتدع. كما أن الكثير من القواعد في تلك العلوم إنما تدرس للترف العلمي فقط، إذ لا توجد ثمرة عملية تترتب عليها، وهم يقرّون هذه الحقيقة إلاّ أنهم اعتادوا على هذا المنهج واعتبروه منهجاً مقدساً لا يمكن الخدشة فيه، إذ هو الميزان للمعرفة عندهم!! والحال أنه يُبعد الطالب عن أهل البيت عليهم السلام فيفني الطالب ريعان شبابه في علوم الملاحدة ويترك الثروة العلمية والروحية التي ذكرها القرآن الكريم و الرسول وعترته عليهم السلام، فلا يدرس في الحوزات العلمية القرآن ولا روايات محمد وآله صلى الله عليه وآله، ولهذا تجد الكثير من الحوزويين لم يحفظوا إلاّ اليسير من آيات القرآن و روايات محمد وآله صلى الله عليه وآله. ومن أحب الاطلاع على هذه الحقيقة يمكنه ذلك من خلال التعرّف على ما يدرس في الحوزات العلمية.

3- روى الشيخ الصدوق في الخصال والعلل: عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في تفسير قوله تعالى: (**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**)، (**أنّه لا يجاوز قدما عبد حتى يسئل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين جمعه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت**) الخصال: ص253، علل الشرائع: ج1 ص218.

4- الإسراء : 16.

فليحذر أولئك الذين يجلسون الساعات في المساجد يتجادلون، ويتمارون ويملؤون المساجد بكلام بعيد كل البعد عن الحق والهدى الذي يريده الله.

لقد ابتعدنا كثيراً عن الطريق، ولهذا تسلط جالوت وأمثاله علينا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**سيأتي زمان على أمتي لا يبقى من القرآن إلاّ رسمه، ولا من الإسلام إلاّ اسمه، يُسمَون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود**) [1].

الحديث يدل على أنّ المساجد وإن كانت مليئة بالناس ولكنهم ليس على هدى آل محمد عليهم السلام.

وهل نعد أنفسنا عاملين ونحن لا نأمر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر؟ حتى أصبح الناس يرون المنكر معروفاً والمعروف منكراً!! إنّ تكليف العالم هو إصلاح الأمة، قال تعالى: **وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ** [2]، لا فرد ولا فردين. وللأسف الشديد كثيرون هم الذين يقولون: الناس لا يريدون الدين، لكنهم لا يلتفتون إلى أن الناس واقعون بين المطرقة والسندان، فالطاغوت يمنع الدين الإسلامي الأصيل من الوصول لهم، وأنتم لا تكلفون أنفسكم العناء لإيصال الدين لهم بحجة التقية. قال الصادق عليه السلام ما معناه: (**أما إنكم لو دُعيتم لتنصرونا، لكانت التقية أحب إليكم من آبائكم وأمهاتكم**) [3].

فالجاهل ربما يعذر في كثير من الموارد، ولكن أنتم يا علماء الإسلام ما هو عذركم؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه: (**كان رسول الله كالطبيب الدوار بأدويته**) [4].

فهل أنتم مقتدون بسنة نبيكم صلى الله عليه وآله ؟!!! الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا [5].

1- الكافي: ج8 ص308، ثواب الأعمال: ص253، بحار الأنوار: ج2 ص109.

2- التوبة : 122.

3- روى الشيخ الطوسي في التهذيب: عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (**لم تبق الأرض إلاّ وفيها منا عالم يعرف الحق من الباطل**، قال: **إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية، وأيم الله لو دعيتم لتنصرونا لقلتم لا نفعل إنما نتقي، ولكانت التقية أحب اليكم من آبائكم وأمهاتكم، ولو قد قام القائم عليه السلام ما احتاج إلى مسائلتكم عن ذلك**) تهذيب الأحكام: ج6 ص173، وسائل الشيعة: ج16 ص235، جواهر الكلام: ج21 ص392.

4- قال أمير المؤمنين في إحدى خطبه وهو يصف الرسول صلى الله عليه وآله : (**طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، وآذان صم، وألسنة بكم، متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة**) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج1 ص 207.

5- روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله. لاحظ : فيض الغدير للمناوي : ج5 ص72، كما أنه روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء ذلك في بحار الأنوار: ج4 ص43.

طالــوت (عليه السلام)

قال تعالى: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَما كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِن اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَق بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِن اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِن آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبكُمْ وَبَقِيةٌ مِما تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَلَما فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِن اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِني وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنهُ مِني إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَما جَاوَزَهُ هُوَ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الذِينَ يَظُنونَ أَنهُمْ مُلاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصابِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلمَهُ مِما يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ الناسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِن اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَق وَإِنكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ** [(1)].

بعد موسى (عليه السلام) بمدة ليست بقصيرة تسلط جالوت الكافر وجنوده على بني إسرائيل، واستضعفوهم وأخرجوهم من ديارهم، ولم يكن هذا التسلط الطاغوتي على بني إسرائيل إلاّ بسبب ضعف الأيمان والتقوى، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والركون إلى الحياة الدنيا، وترك الجهاد والتمرد على الأنبياء والأوامر الإلهية. وعوامل كثيرة أدت ببني إسرائيل إلى الرجوع لحالة شبيهة بحالتهم قبل بعث موسى (عليه السلام)، وهي حالة الخضوع والتسليم للطاغوت التي كان علاجها التيه في صحراء سيناء. فشاء الله سبحانه أن يتسلط على بني إسرائيل جالوت وجنوده، لعل بعضهم يثوب إلى رشده ويتوب إلى ربه، وتحصل حالة إصلاح في جماعة بني إسرائيل، كالتي حدثت في صحراء سيناء في سنين التيه الأربعين عندما نشأ جيل في تلك الصحراء، وحمل كلمة لا إله إلاّ الله إلى أهل الأرض، وبالفعل فقد نشأ هذه المرة في بني إسرائيل جيل صالح، وأمة ربانية

1- البقرة : 146 – 152.

مجاهدة، وهم الثلاثمائة والثلاث عشر رجلاً الذين عبروا مع طالوت النهر، الفتنة التي امتحنهم الله ا ليرى مدى التزامهم بالأوامر الإلهية وطاعتهم لنبيهم ولطالوت القائد المعين من الله. كما نشأ في بني إسرائيل جماعة هم أقل أيماناً من هؤلاء النخبة، وهم الذين اغترفوا غرفة من النهر، ومن الضروري أن نعرف أنّ فتنة النهر كانت ضرورية لتمحيص المؤمنين، وإبراز المقربين وأهل الإخلاص منهم، ثم إنها كانت كبيرة حيث كان جنود بني إسرائيل في حالة عطش شديدة عند وصولهم إلى النهر، فالذين شربوا من الماء كانوا لا يريدون الهلاك عطشاً حسب زعمهم، فكانت الحياة عندهم أهم من طاعة الله، أما الذين لم يشربوا من الماء فكانوا يرون الهلاك عطشاً في طاعة الله خير من البقاء أحياء في معصية الله، بل كانوا على يقين أنّ الله سبحانه الذي اهم عن الشرب من هذا النهر سيبدلهم خيراً منه، ولم يكن سبحانه ليتركهم يهلكوا عطشاً. وهكذا نرى أنّ هؤلاء الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً انتصروا على جالوت وجنوده حال عبورهم النهر.

أما أولئك الذين شربوا من النهر، فإنهم هزموا وأحسوا بالوهن والضعف حال معصيتهم لله وأطاعتهم للهوى والشيطان، فلم يكن قولهم: (**لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده**) إلاّ تحصيل حاصل و إبراز للهزيمة التي انطوت عليها نفوسهم.

والتقى الجمعان، حزب الله بقيادة طالوت، وحزب الشيطان بقيادة جالوت. وكان جيش جالوت متفوقاً عدة وعدداً، ولم يكن مع طالوت إلاّ القليل من المؤمنين الذين لم يشربوا من النهر والذين اغترفوا غرفة، وكان معه المنافقون الذين شربوا من النهر، وقبل أن تبدأ المعركة التجأ النخبة الإلهية والأمة الربانية إلى الله، وطلبوا منه الصبر والثبات والنصر، فأيدهم الله بنصره: **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى** [1]، فقتل أحد هؤلاء المؤمنين المخلصين لله جالوت، فهزم الجمع وولوا الدبر، ونكص الشيطان على عقبيه، وقال: **إني أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ** [2]، ولم يكن هذا العبد الصالح الذي قتل جالوت إلاّ داود (ع) الذي اصطفاه الله سبحانه بعد ذلك وجعله نبياً عظيماً وملكاً عادلاً، بعد أن كان مؤمناً مخلصا لله ومجاهداً شجاعاً لا يخشى إلاّ الله **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إني بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** [3].

1- الأنفال : 17.
2- الأنفال : 48.
3- سبأ : 11.

عيســـى عليه السلام

قال تعالى: **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً * فَاتَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً * قَالَتْ إني أَعُوذُ بِالرحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنمَا أَنَا رَسُولُ رَبكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً** [(1)].

أرسل الله سبحانه وتعالى أحد الملائكة - وروي جبرائيل عليه السلام [(2)] - ليهب لمريم عليها السلام الصديقة الطاهرة المنقطعة إلى الله صبياً مباركاً، فنفخ الملك عليها نفخة شاء الله أن يجعلها سبباً في تكون ذلك الجنين في رحم مريم عليها السلام، وخرجت من الدير لتلد ذلك الجنين المبارك، وجاءت به إلى قومها امتثالاً لأمر الله، وتكلم الوليد وهو في المهد، لتكون هذه المعجزة إشارة إلى عظمة هذا الوليد وبراءة أمه الطاهرة من اتهامات اليهود، وروي [(3)]: أنّ أمه أخذته إلى الناصرة أو إلى مصر، ثم عادت إلى الناصرة؛ لينشأ هناك بعيداً عن الحاكم الطاغية هيرودس الذي كان يريد قتله.

* * *

بعث عيسى عليه السلام

كان علماء بني إسرائيل يحبون المال والدنيا، ولذا انكب الناس على طلب الدنيا والمال، وبدؤوا يتركون وصايا الأنبياء عليهم السلام وراء ظهورهم (إذا فسد العالم فسد العالَم)، وكل شيء يفسد يصلحه الملح، ولكن إذا فسد الملح؟!

وهكذا ظهر في المجتمع طبقات مترفون يشبعون حتى التخمة، ومساكين يتضورون جوعاً طيلة أيام السنة، عمال ومزارعون أنهكتهم الضرائب، ومع أنهم كانوا يعملون كثيراً كانوا لا يكادون يأكلون إلاّ القليل. أناس يعملون ولا يأكلون، وآخرون يأكلون ولا يعملون، وعلماء مترفون لا يهتمون بتغيير تلك الأوضاع الفاسدة.

وفي ظل تلك الأجواء الملبدة بالغيوم بعث عيسى عليه السلام ليقول للناس من كان يريد أن يتبعني فليستعد للموت والصلب، إنها دعوة إلى الثورة.

1- مريم : 16- 19.

2- راجع ما قاله المفسرون عند تفسيرهم للآيات أعلاه.

3- راجع تفسير الآلوسي : ج6 ص96.

روي عنه عليه السلام أنه قال: (**لا تخافوا الذين يقتلون الجسد، ولا يقدرون أن يقتلوا النفس، بل خافوا الذي يقدر أن يهلك الجسد والنفس معاً في جهنم**) [1]. وكان عليه السلام يعلم أنه لا يستطيع تغيير كثير من الفساد في ذلك الوقت، ولكن ليس أقل من إيقاع صدمة في ذلك ا تمع، بل وفي تاريخ الإنسانية على هذه الأرض، وانتظار النتائج الكبيرة في المستقبل سواء القريب بعد رفعه إلى السماء أو البعيد بعد عودته في القيامة الصغرى، أي زمن ظهور الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.

بعث عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وغيرهم، ولكن شريعته لم تكن ناسخة إلاّ لشريعة موسى عليه السلام، وهناك عدة أسباب لهذا النسخ.

منها: إنّ بعض الأحكام فرضت على اليهود بما يناسب حالهم في ذلك الوقت الذي بعث فيه موسى عليه السلام إلى وقت بعث عيسى عليه السلام، كما أنّ بعض المحرمات على بني إسرائيل كانت بسبب ظلمهم وجرأ م على الأنبياء واستخفافهم بالتشريع، فخففت عنهم ببعث عيسى عليه السلام، قال تعالى: **وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ** [2].

ولعل أهم أسباب نسخ وتجديد شريعة موسى عليه السلام، أنّ علماء اليهود غيروا الشريعة وحرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، تبعاً لأهوائهم الشخصية وتخرصا م العقلية، وربما إرضاء لبعض الطواغيت الذين تسلطوا عليهم في بعض الأحيان كما جاء في بعض الروايات [3]، فعاد السامري وعاد العجل، ولكن هذه المرة باسم جديد وهيئة جديدة، عاد السامري بعلماء بني إسرائيل، وعاد العجل بتحريف الأحكام الشرعية.

ومع أنّ كثيراً من الأنبياء عليهم السلام بعثوا للحفاظ على شريعة موسى عليه السلام وحفظها من التحريف لكن التيار المنحرف أو قل التيار السامري أخذ يسيطر على دفّة القيادة وأقصي الأنبياء عليهم السلام، وطردوا إلى البراري والقفار، وقتل كثير منهم قبل بعث عيسى عليه السلام، كزكريا عليه السلام الذي قتله

1- إنجيل متى الإصحاح : 28.

2- الأنعام : 46 .

3- عن محمد بن منصور، قال: (سألته عن قول الله عز وجل: "**وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**"، قال، فقال: **هل رأيت أحداً زعم أن الله أمر بالزنا وشرب الخمر أو شئ من هذه المحارم؟** فقلت: لا، فقال: **ما هذه الفاحشة التي يدعون أن الله أمرهم بها؟** قلت: الله أعلم ووليه، قال: **فإن هذا في أئمة الجور، ادعوا أن الله أمرهم بالائتمام بقوم لم يأمرهم آل له بالائتمام بهم، فرد الله ذلك عليهم فأخبر أنهم قد قالوا عليه الكذب وسمى ذلك منهم فاحشة**) الكافي: ج1 ص373 باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ح9.

اليهود أنفسهم، ويحيى عليه السلام الذي قتلوه بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخضوعهم للطاغوت والركون له فقبض الحاكم الطاغية (هيرودس) على يحيى عليه السلام وسجنه مدة ليست بقصيرة قبل أن يقتله، ولم يحرك العلماء اليهود ساكناً، بل استقبل كثير منهم هذا الحدث بفرح كبير، ومع أنهم يرون في الحاكم الجائر طاغوتاً ورجساً، يتنجسون بمجرد الدخول في قصره كانوا لا يتورعون عن التعاون معه لقتل أحد الأنبياء عليهم السلام، أو العلماء العاملين ا اهدين؛ لأنّ الأنبياء عليهم السلام متى استتبت لهم الأمور لن يرضوا دون استئصال الطواغيت وإقامة الحكومة الإلهية على الأرض، وبالتالي ذهاب سلطة الطاغوت وحكومته وذهاب سلطة ومكانة العلماء غير العاملين الذين حرفوا الشريعة وصوروا أنفسهم ورثة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، طلباً لمكانتهم في قلوب الناس، ولهذا فمن الطبيعي أن يكون أول من يعادي عيسى عليه السلام الطواغيت وعلماء الدين في بني إسرائيل، الذين كانوا يدعون أنهم ينتظرون بعثه لهم لينصروه، ولكن عندما بعث وجدوه يقول: (**خادمي يداي، ودابتي رجلاي، وفراشي الأرض، ووسادي الحجر، ودفئي في الشتاء مشارق الأرض، وسراجي بالليل القمر، وإدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وفاكهتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام، أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء، وليس على وجه الأرض أحد أغنى مني**) [(1)].

وجدوه يدعوهم للزهد في هذه الدنيا، وتحمل الدعوة إلى الله. وهذا يؤدي م إلى الاصطدام بالطواغيت وأعوا م الذين يعارضون الدعوة إلى الله.

وجدوه يدعو أتباعه للاستعداد للموت، وتحمل القتل في سبيل الله، وتحمل المصاعب في طريق الدعوة إلى الله.

وجدوه يجلس مع الخاطئين وجبات الضرائب ليصلحهم، إذاً فعيسى عليه السلام لم يأت ليعزز مكانة العلماء غير العاملين وسلطتهم ويعظم قدرهم ويمدهم في طغيا م، بل جاء ليفضحهم بعلمه وزهده في هذه الدنيا.

فأخذ علماء بني إسرائيل يتكلمون عليه، ويتهمونه بشتى الا امات الباطلة، وجاءه تلاميذه وقالوا له: (أتعرف أنّ علماء اليهود استاءوا عندما سمعوا كلامك هذا)، فأجا م عليه السلام: (اتركوهم هم عميان قادة عميان، وإذا كان الأعمى يقود الأعمى سقطا معاً في حفرة) [(2)].

1- قصص الأنبياء للجزائري: ص460، عدة الداعي: ص107، بحار الأنوار: ج14 ص239.

2- إنجيل متى / الإصحاح : 14- 15 .

وهكذا كانت جبهة الباطل المواجهة لعيسى (عليه السلام) واسعة تضم علماء بني إسرائيل والشعب اليهودي الذي استخفوه بادعاءاتهم الباطلة، والحاكم الكافر بيلاطس وجنوده، ولعل بعضهم يستغرب وله الحق في ذلك إذا علم أن عداء العلماء غير العاملين من بني إسرائيل لعيسى (عليه السلام) كان أشد من عداء بيلاطس الحاكم الجائر وجنوده، ولهذا أخذ عيسى (عليه السلام) يبين خطأ هؤلاء العلماء غير العاملين على رؤوس الأشهاد.

قال (عليه السلام) مخاطباً الناس وتلاميذه: (معلمو الشريعة و الفريسيون على كرسي موسى جالسون، فافعلوا كل ما يقولونه لكم واعملوا به ، ولكن لا تعملوا مثل أعمالهم، لأنهم يقولون ولا يفعلون، يحزمون أحمالاً ثقيلة شاقة الحمل ويلقونها على أكتاف الناس، ولكنهم لا يحركون إصبعاً تعينهم على حملها، وهم لا يعملون عملاً إلاّ ليشاهدهم الناس، يجعلون عصائبهم عريضة على جباههم وسواعدهم ويطولون أطراف ثيابهم ويحبون مقاعد الشرف في الولائم ومكان الصدارة في المجامع والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس يا معلم ... الويل لكم يا معلمو الشريعة والفريسيون المراءون تغلقون ملكوت السماوات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون ولا تتركون الداخلين يدخلون، الويل لكم يا معلمي الشريعة والفريسيون المراءون تأكلون بيوت الأرامل وأنتم تظهرون أنكم تطيلوا الصلاة سينالكم أشد العقاب، الويل لكم أيها القادة العميان! تقولون من حلف بالهيكل لا يلتزم بيمينه، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم بيمينه، فأيما أعظم أيها الجهال العميان الذهب أم الهيكل الذي قدس الذهب؟... الويل لكم يا معلمي الشريعة والفريسيون المراءون تعطون العشر من النعنع والصعتر والكمون ولكنكم تهملون أهم ما في الشريعة: العدل والرحمة والصدق ...) [(1)].

وحقيقٌ بنا أن نتدبر هذه الكلمات، فربما هي وجهت في يوم من الأيام إلى بني إسرائيل وعلمائهم، ولعلها اليوم موجهة لنا.

ومع الأيام كثر أتباع عيسى (عليه السلام)، وهم كأتباع أي نبي من الفقراء والمستضعفين، أو حسب ما يسميهم أعداء الأنبياء: **أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرأي** [(2)].

1- إصحاح متى : 23.

2- قال تعالى مبيناً ما قيل لعبده ونبيه نوح (عليه السلام): **(فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)** هود: 27، وقال عزّ وجل: **(قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ...)** الشعراء : 111.

وأخذ علماء بني إسرائيل يتآمرون على قتل عيسى عليه السلام بحجة أنه يدعي الملك. وكثر أتباعه وهذا يؤدي إلى أنّ الرومان سيهاجمون الشعب اليهودي ويقضون عليه، وبالتالي قرر رئيس علماء اليهود أنّ قتل عيسى عليه السلام وهلاكه أفضل من هلاك الشعب كلّه، فبحجة المحافظة على الشعب يجب أن يقتل عيس عليه السلام !!

وهذا هو الميزان العدل!! وهذا هو الحق بنظر هؤلاء المنكوسين الظلمة قتلة الأنبياء، الذين يرون المنكر معروفاً، فلكي لا يعكر صفو حيا م الرومان، ولا تتعرض مصالحهم وحيا م للخطر، يجب أن يقتل عيسى عليه السلام ويخنق الحق ويطفأ النور، وليستبد الطاغوت والظلم والظلام، فالمهم أن يبقى علماء بني إسرائيل غير العاملين أحياء، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [1]. وحاولوا بكل طريقة أن يغروا به لقيصر حاكم الرومان وعامله بيلاطس وأتباعه اللعناء ليقتلوه!! ولأنهم جبناء لم يكونوا أهلاً لاستيعاب شجاعة هذا النبي العظيم، جاء في الإنجيل: (حين أذن ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة فأرسلوا إليه تلاميذهم من الهيروديسيين، قائلين يا معلم نعلم إنك صادق، وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا ماذا تظن أيجوز أن تعطى الجزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم وقال: لماذا تجربونني يا مراءون أروني معاملة الجزية فقدموا له ديناراً فقال: لهم لمن هذه الصورة والكتابة قالوا له: لقيصر. فقال لهم أعطوا إذن مال قيصر لقيصر ومال الله لله ، فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا) [2].

وهكذا كانوا يريدون منه أن يقول بشكل صريح وعلى رؤوس الأشهاد أنه يحرم دفع الضرائب لحكومة القيصر اللعين، ليوقعوه بيد هذا الطاغوت وأرجاسه اللعناء. هذا وهم دفعوا الضرائب لقيصر وأفتوا للشعب بجواز دفعها لقيصر مع أنها تقوي حكومة الطاغوت، فكانوا عبيداً للطاغوت، وانطوت نفوسهم على الجبن بسبب حبهم للحياة وحرصهم عليها.

أما جواب عيسى عليه السلام فمعناه: لا تعطوا الجزية لقيصر؛ لأنّ الصورة والكتابة على الدينار ليس لها قيمة إنما القيمة للذهب الذي سبك منه الدينار والذهب لله، وعلى كل حال في النهاية اعتقل علماء بني إسرائيل عيسى عليه السلام.

1- البقرة : 96.
2- إصحاح متى : 22.

وجاء في الإنجيل إنهم بصقوا في وجهه الشريف، وضربوه وأهانوه، وا ﮭموه أنه يجدف ويكذب على الله سبحانه، ثم سلموه إلى بيلاطس، وا ﮭموه أنه يدعي الملك ويهدد الإمبراطورية الرومانية، وطلبوا من بيلاطس قتله وصلبه وألحوا عليه بذلك.

ورد في الإنجيل: (وقام الحضور كلهم وجاءوا بيلاطس وأخذوا يتهمونه ويقولون: وجدنا هذا الرجل يثير الفتنة في شعبنا، ويمنعه أن يدفع الجزية إلى قيصر ، ويدعي أنه المسيح الملك) فسأله بيلاطس (أنت ملك اليهود؟)، فأجاب: (أنت قلت)، فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: (لا أجد جرماً على هذا الرجل)، لكنهم أصروا على قولهم: (أنه يثير الشعب بتعليمه في اليهودية كلها من الجليل إلى هنا) [(1)].

وعندما أراد بيلاطس الحاكم الجائر إطلاق صراحه في عيد الفصح، رفض علماء اليهود والشعب الذي استخفوه وطلبوا أن يطلق أحد القتلة بدلاً عنه وألحوا على قتل عيسى وصلبه، والغريب أنهم عندما جاءوا بعيسى (عليه السلام) لقصر بيلاطس ليسلموه لم يدخلوا القصر؛ لأ ﮭم كانوا يعتقدون بكفر بيلاطس، وبالتالي فمن يدخل قصره منهم يتنجس، ومع ذلك فقد وضعوا أيديهم بيد بيلاطس للقضاء على عيسى (عليه السلام).

أنظر كيف اجتمع أهل الباطل مع اختلافهم وتناحرهم للقضاء على الحق!!

وتدبر ولا تكن من الغافلين، فإنّ أهل الباطل مهما اختلفت طرقهم وتعارضت عقائدهم وآراؤهم فإنّ طاعة الشيطان تجمعهم، وحب الدنيا يوحدهم.

وعلى كل حال يمكرون و يمكر الله والله خير الماكرين، فلم يمكنهم الله من قتل عيسى (عليه السلام)، ولكن رفعه إلى السماء وشبهه لهم، وظنوا أنهم قتلوه، قال تعالى: **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً** [(2)].

وادخر الله سبحانه عيسى (عليه السلام) حياً إلى آخر الزمان، وسينـزل من السماء إلى الأرض إن شاء الله هادياً إلى الصراط المستقيم، ووزيراً لخاتم أوصياء النبي (صلى الله عليه وآله) المهدي (عليه السلام) عند قيامه بالحق وتطهيره الأرض من الشرك والإلحاد والظلم والفساد، ونشر التوحيد والعدل والرحمة بين العباد.

1- إصحاح لوقا : 23.
2- النساء : 157- 159.

وحقيق بنا ونحن نستقرئ قصص هؤلاء الأنبياء العظام (عليهم السلام) أن نستيقن أنّ الباطل مهما علا فهو كالزبد يذهب جفاء، وإنّ الحق مهما حاول الباطل أن يغطيه يبقى وينفع الناس كالماء تحت الزبد، قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾[1].

ومهما تفرعت أغصان شجرة الباطل وتكاثفت وغطت بعض أغصان شجرة الحق، وحاولت خنقها فسيأتي يوم تقلع فيه شجرة الباطل، وترمى في الجحيم لا ء بلا أصل وبلا جذور ما لها من قرار، وشجرة الحق وإن بقي منها غصن واحد يرفرف بعيداً خلف السحاب فستنمو وتتفرع أغصا ا وتتكاثف حتى يستظل ا أهل الأرض جميعاً؛ لأنّ أصلها ثابت في الأرض وفرعها يرفرف في السماء، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[2].

* * *

1- الرعد : 17.

2- إبراهيم : 24 - 27.

تحريف التوراة والإنجيل

الأدلة على تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل كثيرة ولست بصدد استقصائها، فتحريفها لا يخفى على من قرأها بتدبر وهو صاحب فطرة سليمة وفكر مستقيم، وراجع ما كتبه أحد مفكريهم، وهو سبينوزا في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة، الفصل الثامن)، وكمثال أنقل هذه الفقرات من كلامه، قال: (ولكي أسير في بحثي هذا بطريقه منظمة سأبدأ بالأحكام المسبقة المتعلقة بمن قاموا بتدوين الكتب المقدسة، وسأبدأ أولاً بمن قاموا بتدوين الأسفار الخمسة، لقد ظن الجميع تقريباً أنه موسى، بل إنّ الفريسيين أيدوا هذا الرأي بإصرار شديد حتى إنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين، ولهذا السبب فإنّ ابن عزرا وهو رجل كان فكره حراً إلى حد ما، ولم يكن علمه يستهان به وهو أول من تنبه إلى هذا الخطأ - فيما أعلم - ولم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه صراحة، واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة. أما أنا فلن أخشى توضيحها وإظهار الحق ناصعاً، هذه هي أقوال ابن عزرا في شرحه على التثنية (فيما وراء ر الأردن ... الخ، ولو كنت تعرف سر الاثنتي عشرة ... كتب موسى شريعته ...).

ذه الكلمات القليلة يبين ويثبت في الوقت ذاته أنّ موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل، وإنّ موسى كتب سفراً مختلفاً وللبرهنة على ذلك يذكر 1- أن موسى لم يكتب مقدمة التثنية؛ لأنه لم يعبر ر الأردن. 2- ... الخ) (1).

وكيف كان فإنّ تحريف التوراة والإنجيل الموجودة اليوم أمر مقطوع به، أو على الأقل راجح عند كل مفكر حر كسر قيود التقليد الأعمى وأين هم هؤلاء؟! وإلاّ فكيف يحتمل مؤمن بالله سبحانه وتعالى أن تنسب تلك البذاءة والفحش إلى أنبياء الله ورسله (عليهم السلام) والتي اكتظت ا التوراة؟!

وعلى كل حال بقيت التوراة والإنجيل كنصوص تاريخية يمكن الاستفادة منها، وكحكم إلهية وأخبار بالغيب يمكن ترجيح صدور بعضها من الأنبياء (عليهم السلام)، أو صدور معانيها على الأقل كو ا مطابقة للمعاني التي جاء ا القران وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) وآل بيته المعصومين (عليهم السلام).

* * *

1- رسالة في اللاهوت والسياسة: ص266.

الإسلام أحياء لشريعة إبراهيم عليه السلام

قال تعالى: **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** [1].

قبل بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله كانت في الجزيرة العربية ثلاث ديانات سماوية هي: الحنفية واليهودية و النصرانية. وكانت جميعها محرفة عن الصراط المستقيم، وبالتالي فإنّ أتباعها منحرفون عن الصراط، إلاّ القليل من المرابطين على الحق الذين لا تخلو منهم فترة من الفترات، وكان معظم أهل مكة يدينون بالحنفية التي حرفها بعض أئمة الضلال لما جاءوا بتماثيل حجرية وادعوا إنّ هذه التماثيل هي صور للملائكة، واستخفوا الناس وجعلوهم يقدسو ا ويتقربون لها بأنواع القربات، وجعلوا الناس يعتقدون أنّ الله يريد منهم أن يتقربوا له بواسطة هذه التماثيل، وجعلوهم يعتقدون إنها تضر وتنفع من دون الله، بل جعلوها آلهة مع الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

وكما حرفت العقائد في الشريعة الحنفية حرفت الأحكام الشرعية حيث إن تحريفها أسهل وأيسر.

روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال للأكثم بن الجون: (**إني رأيت عمراً يجر قصبة في النار، وكان أول من غيّر دين إبراهيم، وأول من حمى الحمى، وسيب السوائب، وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة، ونصب الأصنام، وغيّر دين إسماعيل فلم أرَ أحد أشبه به منك**، قال: يا رسول الله هل يضرني ذلك شيئاً؟ قال: **لا، لأنك مؤمن وهو كافر**) [2].

وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (**رأيت عمر بن عامر الخزاعي يجر قصبة من النار وكان أول من سيب السيب**) [3].

ولم ينحرف جميع الأحناف في مكة، بل بقي منهم شرذمة قليلون مرابطون على الحق، منهم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وآله، وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله، وأبو طالب عم النبي صلى الله عليه وآله، جاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (**يا علي، إنّ عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجراها الله عز وجل له في الإسلام: حرم نساء الآباء، فأنزل الله عزّ وجل: وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ**

1- الأنعام : 161 - 163.

2- الأوائل لأحمد بن أبي عاصم: ص40، ولاحظ : مسند أحمد: ج2 ص366، صحيح البخاري: ج4 ص160.

3- الأوائل لأحمد بن أبي عاصم: ص26، ولاحظ المصادر في الهامش السابق.

النسَاءِ (1)، يا علي، أن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام ...) (2).

وفي كتب التاريخ إنّ السيد عبد المطلب عرف مكان زمزم بعد أن اندرس بالوحي الإلهي، بـ (الرؤيا)، فحفر في المكان الذي رآه فكان هو مكان زمزم (3)، أما أبو طالب فهو سيد الأحناف ووصي من أوصياء إبراهيم عليه السلام، بل خاتمهم وهو الحجة على النبي قبل أن يبعث، ثم كان تابعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد البعثة، فهو سيد المسلمين في مكة، والقوم يروون الكثير في فضله، ويروون شعراً كثيراً له دلالة على إسلامه، ويروون مواقف كثيرة له في نصرة الإسلام، ومع هذا يقولون مات أبو طالب كافراً لا لشيء ولكن بغضاً لولده علي عليه السلام، الذي أطبق ذكره الخافقين ولم يجدوا مثلبة ليعيبوه ا من خلق أو خلق أو دين، ولو لم يكن لأبي طالب إلاّ قوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

لكفى به دليلاً على إسلامه فكيف ومواقفه في نصرة الدين الإسلامي أبين من شمس في رابعة النهار وإن أخفى إسلامه مدة من الزمن كمؤمن آل فرعون (4).

* * *

1- النساء : 22.

2- من لا يحضره الفقية: ج4 ص366، مكارم الأخلاق: ص440.

3- روى الشيخ الكليني، قال : علي بن إبراهيم وغيره رفعوه، قال: (كان في الكعبة غزالان من ذهب وخمسة أسياف، فلما غلبت خزاعة جرهم على الحرم ألقت جرهم الأسياف والغزالين في بئر زمزم وألقوا فيها الحجارة وطموها وعموا أثرها، فلما غلب قصي على خزاعة لم يعرفوا موضع زمزم وعمي عليهم موضعها، فلما غلب عبد المطلب وكان يفرش له في فناء الكعبة ولم يكن يفرش لأحد هناك غيره فبينما هو نائم في ظل الكعبة فرأى في منامه أتاه آت، فقال له: احفر برة، قال : وما برة؟ ثم أتاه في اليوم الثاني، فقال: احفر طيبة، ثم أتاه في اليوم الثالث، فقال : احفر المصونة، قال: وما المصونة؟ ثم أتاه في اليوم الرابع، فقال : احفر زمزم لا تنزح ولا تذم سقي الحجيج الأعظم عند الغراب الأعصم عند قرية النمل، وكان عند زمزم حجر يخرج منه النمل فيقع عليه الغراب الأعصم في كل يوم يلتقط النمل، فلما رأى عبد المطلب هذا عرف موضع زمزم، فقال لقريش: إني أمرت في أربع ليال في حفر زمزم وهي مأثرتنا وعزنا فهلموا نحفرها، فلم يجيبوه إلى ذلك، فأقبل يحفرها هو بنفسه وكان له ابن واحد وهو الحارث وكان يعينه على الحفر، فلما صعب ذلك عليه تقدم إلى باب الكعبة ثم رفع يديه و دعا الله عز وجل ونذر له إن رزقه عشر بنين أن ينحر أحبهم إليه تقرباً إلى الله عز وجل، فلما حفر وبلغ الطوى طوى إسماعيل وعلم أنه قد وقع على الماء كبر وكبرت قريش، وقالوا: يا أبا الحارث هذه مأثرتنا ولنا فيها نصيب، قال لهم: لم تعينوني على حفرها هي لي ولولدي إلى آخر الأبد) الكافي: ج 4 ص 219.

4- عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام: **(إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً، وشيعة تنصرك علانية، فأما التي تنصرك سراً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب.** ثم قال: **وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه)** الغدير: ج7 ص 395، وراجع الكافي: ج1 ص448، بحار الأنوار: ج17 ص141، وغيرها.

الإسلام ثمرة الأديان الإلهية في الأرض

ومحمد هو عيسى وموسى وإبراهيم عليهم السلام

والقرآن هو التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم

قال تعالى: **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِينِ مَا وَصى بِهِ نُوحاً وَالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِينَ وَلا تَتَفَرقُوا فِيهِ** [1].

وقال تعالى: **قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِنَ الرسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَي وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِن اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظالِمِينَ** [2]، **إن هَذَا لَفِي الصحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** [3].

الإسلام كدين إلهي لا يختلف عن الدين اليهودي أو النصراني أو الحنفي، وليس شيئاً مبتدعاً، بلى ربما اختلفت بعض تفاصيل التشريع في هذه الأديان وجاء الإسلام ببعض التفاصيل المختلفة بما يناسب مسيرة الإنسانية التكاملية على هذه الأرض. فالعقائد الإلهية لجميع الأديان واحدة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، فهم أمة واحدة ودعوتهم واحدة.

أما ما يدعيه بعض من أخطأ سمعاً فأساء إجابة بأنّ المسيحية أو غيرها هي دعوة للعزوف عن الحياة المادية والاهتمام بالحياة الروحية فقط، ولذلك فهي فاشلة، والإسلام هو دعوه لإصلاح الروح والجسد معاً ولذلك فهو أصلح.

أقول: في الحقيقة إنّ هذا ادعاء غير صحيح، وعلى من يريد نشر الإسلام أن يكون ناقداً موضوعياً لا أن يتخبط العشواء، ويسب أنبياء الله ورسله من حيث يعلم أو لا يعلم. بل وينسب إلى الله الجهل وعدم الحكمة بحجة أنه يريد نشر الإسلام. فها نحن اليوم نسمع من بعض علماء المسلمين من يتكلم عن الصهاينة (لعنهم الله) فيقول سليمانهم وهيكلهم. كلا أيها العزيز بل هو سليماننا وهيكلنا، فنحن المسلمين أولى بالأنبياء وآثارهم من اليهود وغيرهم، قال تعالى: **إِن أَوْلَى الناسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلذِينَ اتبَعُوهُ وَهَذَا النبِي وَالذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ * وَدتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلونَكُمْ وَمَا يُضِلونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ**

1- الشورى :13.

2- الأحقاف : 9 - 10.

3- الأعلى : 19.

تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (1).

فالإسلام والمسيحية و اليهودية جميعها أديان سماوية، ومحمد وعيسى وموسى عليهم السلام جميعهم أنبياء، وجميع هؤلاء الأنبياء دعو م واحدة، فهم دعوا الناس إلى طريق الله سبحانه والسير عليه والتوجه إلى الكمالات الروحية والمعنوية، وشرائعهم (عليهم صلوات ربي) فيها كثير من أحكام المعاملات الشرعية التي من شأ ا إصلاح العالم المادي وترفيه ا تمع الإنساني اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، أما ما يلاحظ من كلامهم من كثرة الدعوة إلى التوجه إلى الكمالات الروحية والمعنوية والإعراض عن العالم المادي، فهو ليس إلاّ قضية معادلة لما يرونه عن عزوف الناس عن كمالا م المعنوية وتوجههم إلى العالم المادي، وانقطاعهم إليه بشكل غير طبيعي، كما أننا اليوم لا نحتاج توجيه الناس في مجتمعنا الإسلامي إلى العالم المادي وهم على طول الخط منقطعون إليه لا يكادون يبصرون ما وراءه، بل نحن بحاجة لأن ندعوهم إلى التوجه إلى الله، قال تعالى في توبيخ هذه الإنسانية المنقطعة إلى الماديات والعازفة عن الروحانيات: **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** (2)، أي يلههم العمل والانغماس في الدنيا.

أما ما ورد في كلام الأنبياء عليهم السلام - وهو في الحقيقة قليل إذا قورن بما سواه - من توجيه بعض الفئات في ا تمع الإلهي إلى العمل والكسب والتمتع بما رزقهم الله، فهو لأنّ شرذمةً قليلةً جداً من المؤمنين ربما يعتقدون أنّ الله سبحانه يكره لهم التمتع بما رزقهم من الطيبات المادية، كما أنّ بعض الطفيليين يريد أن يجلس ويتعبد - على ما يدعي - والناس تأتيه برزقه وتضعه في فمه، وهذا في الحقيقة ليس من الدين في شيء، فهذا طالب راحة يريد أن يجلس في مكان بارد ولا يتعب بدنه، والفلاح الذي تصهره الشمس يأتيه برزقه ويضعه في فمه.

* * *

1- آل عمران : 68 - 71.
2- الحجر: 2.

قل ما كنت بدعاً من الرسل

ومحمد ﷺ ليس بدعاً من الرسل، فدعوة جميع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لم تلاق القبول من علماء الدين، وكبراء ا تمعات التي بعثوا فيها، فمحمد ﷺ حاربه رؤساء مكة وعلماؤها الذين حاربوا الشريعة، ولم يؤمن به علماء اليهود وعلماء النصارى ومن استخفوه من عوامهم، مع أنهم كانوا يبشرون به ويترقبون ظهوره [(1)].

وموسى عليه السلام لم يرض عنه كثير من بني إسرائيل، ووقف ضده بعض علمائهم وحاولوا حرف الشريعة واستخفاف الناس، كالسامري وبلعم بن باعورة [(2)].

أما عيسى عليه السلام فلم يرض عنه معظم علماء بني إسرائيل وكبراؤهم؛ لأنّ وجوده عليه السلام بينهم كان توبيخاً لهم، وزهده فضيحة أخز م.

ورد في الإنجيل: (وحينئذ وبخ يسوع الشعب بأشد عنف؛ لأ م نسوا كلمة الله، واسلموا أنفسهم للغرور فقط، ووبخ الكهنة لإهمالهم خدمة الله ولجشعهم، ووبخ الكتبة لأ م علموا تعاليم فاسدة وتركوا شريعة الله، ووبخ العلماء لأ م أبطلوا شريعة الله بواسطة تقاليدهم. وأثر كلام يسوع في الشعب حتى إ م بكوا جميعهم من صغيرهم إلى كبيرهم يستصرخون رحمته ويضرعون إلى يسوع لكي يصلي لأجلهم ما خلا كهنتهم ورؤسائهم، الذين أضمروا في ذلك اليوم العداء ليسوع؛ لأنه تكلم ضد الكهنة والكتبة والعلماء فصمموا على قتله، ولكنهم لم ينبسوا بكلمة خوفاً من الشعب، الذي قبله نبياً من الله. ورفع يسوع يديه إلى الرب الإله وصلى، فبكى الشعب وقالوا

1- روي العياشي: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: (وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ) فقال: **(كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجر محمد (عليه الصلاة والسلام) ما بين عير وأحد، فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يسمى حداداً، فقالوا حداد وأحد سواء، فتفرقوا عنده، فنزل بعضهم بفدك وبعضهم بخيبر وبعضهم بتيماء، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمر بهم إعرابي من قيس، فتكاروا منه، وقال لهم: أمر بكم ما بين عير واحد، فقالوا له: إذا مررت بهما فأرناهما، فلما توسط بهم أرض المدينة، قال لهم: ذاك عير وهذا أحد، فنزلوا عن ظهر إبله فقالوا له: قد أصبنا بغتينا فلا حاجة لنا في إبلك، فاذهب حيث شئت، وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: إنا قد أصبنا الموضع فهلموا إلينا، فكتبوا إليهم: إنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الأموال وما أقربنا منكم، وإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم، فاتخذوا بأرض المدينة الأموال، فلما كثرت أموالهم بلغ تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم، فكانوا يرقون لضعفاء أصحاب تبع، فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير، فبلغ ذلك تبع فرق لهم وآمنهم فنزلوا إليه، فقال لهم: إني قد استطبت بلادكم ولا أرى إلا مقيماً فيكم، فقالوا له : انه ليس ذلك لك، إنها مهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك، فقال لهم: فاني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلف فيهم حيين الأوس والخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم: أما لو بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلما بعث الله محمداً (عليه الصلاة والسلام) آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود، وهو قول الله (وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ "إلى" فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ)** تفسير العياشي: ج1 ص49.

2- لقد أشار عليه السلام إلى مواقفهما المخزية فيما تقدم فراجع.

ليكن كذلك يا رب ليكن كذلك، ولما انتهت الصلاة نزل يسوع من الهيكل وسافر ذلك اليوم من أورشليم مع كثيرين من الذين اتبعوه وتكلم الكهنة فيما بينهم بالسوء في يسوع) [1].

وسيلاقي المهدي (عليه السلام) ما لاقاه أسلافه من الأنبياء والأوصياء من علماء الدين والطواغيت، ولعل مصيبته ستكون أكبر كما تدل عليه بعض الروايات. وسيأتي البحث في رواية تأول علماء الدين للقرآن واحتجاجهم على المهدي (عليه السلام) بآيات القرآن الكريم، بعد أن يفسروها بعقولهم الناقصة وأهوائهم الشخصية [2].

* * *

1- إنجيل برنابا : الفصل 12.

2- عن الفضيل بن يسار، قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: **إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله (صلى الله عليه وآله) من جهال الجاهلية.** قلت: وكيف ذاك؟ قال: **إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله يحتج عليه به**، ثم قال: **أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر**) الغيبة للنعماني: ص 307 باب 17 ح1.

محمد ﷺ
الداعي إلى الله في مكة

قال تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾**[1].

كان المجتمع المكي ينقسم إلى فئتين أو ثلاث:

الأولى: هم الذين يقودون عملية الانحراف بالشريعة الحنيفية وأتباعهم. وهؤلاء قد تلبسوا بالعبادات الباطلة، سواء في عقائدهم كعبادة الأصنام أو أحكامهم الشرعية، كتحريم البحـيرة والحام[2]، وهؤلاء هم سادة القوم وعلماؤهم، فمن الطبيعي أن يكون أتباعهم معظم أهل مكة.

أمّا الفئة الثانية: فهم الذين وجدوا آباءهم ضالين، أو الذين ضلوا في ذلك المجتمع المنحرف عن الصراط المستقيم، ولكنهم كانوا غير راضين عن حالهم المزري، بل إن بعضهم كان في حالة ثورة داخل نفسه على تلك الأوضاع الفاسدة.

أمّا الفئة الثالثة: فهم شرذمة قليلون مرابطون على الحق، أي الديانة الحنيفية الصحيحة، أو ما وصل لهم منها، وعلى أقل تقدير منهم موحدون. فلما بعث النبي ﷺ كان بشرى بالنسبة لهؤلاء المؤمنين الذين كانوا يترقبون بعثه ويتضرعون إلى الله ليريهم مناسكهم، كما كان النبي ﷺ ملجأً حصيناً وكهفاً أميناً لكل ضال يتخبط في ظلمات الجاهلية، ويبحث عن نور الحق وميزان العدل والصراط المستقيم.

وهكذا بعث النبي ﷺ في مكة أم القرى المدينة التي يحج إليها الناس، والمدينة التي تمثل المرجعية الدينية للأحناف، ليبدأ بالإصلاح من المركز الديني في الجزيرة العربية، المركز الذي طاله كثير من الفساد في العقائد والأحكام، وبعث النبي ﷺ بالشريعة الإسلامية المجددة للحنيفية والناسخة لبعض

1- التوبة: 128 - 129.

2- روى العياشي: عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: **(مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ)**، قال: **(وان أهل الجاهلية كانوا إذا ولدت الناقة ولدين في بطن قالوا: وصلت، فلا يستحلون ذبحها ولا أكلها، وإذا ولدت عشراً جعلوها سائبة فلا يستحلون ظهرها ولا أكلها، والحام: فحل الإبل لم يكونوا يستحلون، فأنزل الله إن الله لم يحرم شيئاً من هذا)** تفسير العياشي: ج1 ص347.

أحكامها. فشريعة إبراهيم (عليه السلام) هي الأقرب للنفوس والأوفر حظاً أن ينظم تحت لوائها اليهود والنصارى الذين يقدسون إبراهيم (عليه السلام) ويعتبرونه أباً للأنبياء العظام (عليهم السلام)، وبدأ النبي محمد (صلى الله عليه وآله) الشجاع الذي لا يخشى في الله لومة لائم بإنذار المنحرفين من عشيرته بأمر الله سبحانه، وكانت حادثة الدار المعروفة [1]، وبلّغ النبي (صلى الله عليه وآله) أقرباءه ببعثه ونبوته، كما عين في ذلك اليوم بأمر الله سبحانه وتعالى وصيه ووزيره وخليفته في حياته وبعد موته علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبدأت الدعوة إلى الله تنتشر في مكة وبدا لسادة مكة أن مصالحهم مهددة، فأخذوا يخططون بشتى الطرق لإيذاء النبي (صلى الله عليه وآله) وقتله لو أمكن وضرب الإسلام، والنبي (صلى الله عليه وآله) ووصيه والمؤمنون يدعون إلى الله دون توقف، وهكذا أخذ عدد المسلمين بالازدياد. كما أنّ أذى المشركين اشتد وبدؤوا يعذبو م ويمنعون النبي (صلى الله عليه وآله) من تبليغ رسالة السماء.

وهكذا دفع النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المرحلة الثانية (الهجرة إلى الله). قال تعالى: **﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾** [2].

وبدأ النبي (صلى الله عليه وآله) يبحث عن قاعدة إسلامية ومدينه يهاجر إليها، وأخذ يلقى الناس في مواسم الحج، ويقول لهم: (**هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريش قد منعوني أن ابلغ كلام ربي**) [3]، وقريش لم يتركوه حتى في موسم الحج، بل كانوا يحملون الناس على تكذيبه والاستهزاء به، وهو يقابلهم بالتسامح والصبر.

روي أنه كان يقول ما معناه: (**رب اغفر لقومي إنم لا يعلمون**) [4].

1- روى أحمد في المسند وغيره: عن شريك بن الاعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبدالله الأسدي، عن علي رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: **(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)**، قال: (**جمع النبي (صلى الله عليه وآله) من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا، قال: فقال لهم: من يضمن عنى ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي، فقال رجل لم يسمه شريك : يا رسول الله أنت كنت بحراً من يقوم بهذا!! قال: ثم قال الآخر، قال: فعرض ذلك على أهل بيته**، فقال علي رضي الله عنه: **أنا**) ج1 ص111. وروى الصدوق في العلل: عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: **لما نزلت (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَرَهْطَكَ الْمُخْلَصِينَ) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنى عبد المطلب وهم إذ ذاك أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً، فقال : أيكم يكون أخي ووصيي ووارثي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي؟ فعرض عليهم ذلك رجلاً: كلهم يأبى ذلك**، حتى أتى عليّ، **فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: يا بني عبد المطلب هذا أخي ووارثي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي، فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام**) ج1 ص17، ولاحظ : الإرشاد للشيخ المفيد: ج1 ص49، مناقب ابن شهر آشوب: ج1 ص305، وغيرها.

2- النساء : 100.

3- مسند احمد: ج3 ص390، وراجع : سنن الدارمي: ج2 ص440، سنن ابن ماجة: ج1 ص73، وغيرها.

4- إقبال الأعمال: ج1 ص384، بحار الانوار: ج95 ص167، مسند احمد: ج1 ص427، صحيح البخاري: ج4 ص151.

وفي ظل تلك الظروف المؤلمة جاء لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وفد من نصارى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) عند عودته إلى مكة بعد هجرته، وجماعة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الحبشة، وكان النصارى بضعاً وثلاثين رجلاً: (فلما جلسوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) واطّلعوا على صفاته وأحواله وسمعوا ما تلي عليهم من القرآن آمنوا كلهم، فلما علم بذلك أبو جهل اقبل إليهم قائلاً: ما رأينا ركباً أحمق منكم! .. أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال، فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً، فـ ل في حقهم قوله تعالى: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**[1] ...)[2].

* * *

1- القصص : 52 - 55.

2- فقه السيرة للبوطي: ص126، سيرة ابن إسحاق: ج4 ص200، تفسير القرطبي: ج6 ص356، تفسير ابن كثير: ج3 ص405، البداية والنهاية: ج3 ص103.

الهجرة إلى الله

وعندما ألح أهل مكة وقريش بالأذى على رسول ﷺ، أضطر إلى الهجرة، وهاجر أولاً إلى الطائف، إلى ثقيف الذين كان يأمل منهم الإيمان به ونصرته، ولكنهم خذلوه ولم يقبلوا دعوته، بل وآذوه فجلس يتحسر على قومه الذين يدعوهم إلى ما يحييهم، وهم يريدون هلاكه والقضاء عليه. ورفع رأسه إلى السماء وتفوه بتلك الكلمات المملوءة بالألم: (**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ت ل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلاّ بك**) [1].

وشاء الله بعد هذه المدة أن يقيض لرسول الله ﷺ جماعة من الأوس والخزرج، ليحملوه إلى يثرب، المدينة التي أسست لانتظاره، مدينة اليهود الذين يترقبون ظهوره وقيامه.

فهذه المدينة أسسها اليهود لينتظروا النبي الخاتم ﷺ الذي بشر به أنبياءهم، ولينصروه حسب زعمهم، فهاجروا من بلاد الشام إلى الجزيرة العربية بحثاً عن المكان الموعود الموصوف لهم بين جبلي أحد وعير، وأخيراً وجدوه واستقروا فيه وأسسوا مدينة يثرب، ولما جاءهم الملك اليمني تبع بجيشه سألهم عن سبب هجر م، فأخبروه أ م ينتظرون نبي يبعث ويستقر في هذا المكان، فأبقى من ذريته في يثرب لينصروا النبي ﷺ عند بعثه، وهؤلاء هم الأوس والخزرج، فكان اليهود كل ما وقع خلاف بينهم وبين الأوس والخزرج هددوهم بالنبي الأمي ﷺ الذي سيبعث، وحسب زعمهم إ م ينتظرونه وسيكونون أتباعه وأنصاره وحواريه.

قال تعالى: ﴿وَلَما جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا فَلَما جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [2].

وهاجر المسلمون إلى المدينة بعد مرحلة عناء طويلة قضوها في مكة، وتبعهم النبي ﷺ وهو يحمل صورة مؤلمة ومزرية لأهل مكة، قومه الذين كذبوه وآذوه ومن آمن معه وأخيراً أخرجوه

1- مناقب ابن شهر آشوب: ج1 ص61، وعنه : بحار الانوار: ج19 ص22، مجمع الزوائد للهيثمي: ج6 ص35.

2- البقرة : 89 .

خائفاً يترقب وتوجه تلقاء المدينة، وكان المفروض أن يكون اليهود أول المستقبلين له والمرحبين بقدومه المبارك إلى مدينتهم التي أسسوها لاستقباله، وأن يكونوا أول من يؤمن به وينصره، ولكنهم خذلوه وكذّبه علماؤهم وحاولوا استخفاف الناس وحملهم على الكفر به وبنبوته، فلم ينتفعوا بالعلم الذي كان عندهم، بل جعلوه سبباً لتكبرهم وتعاليهم على النبي (ص)، وضرب الله لهم بلعم بن باعورا مثلاً في القرآن [1]؛ ليرتدعوا ويثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى ر م، ولكنهم ازدادوا عناداً وتكبراً كالجيفة عندما ينـزل عليها المطر الطاهر تزداد نتـناً وعفونة.

ولو أمعنا النظر في حال اليهود لوجدناهم قد فوجئوا بأمور:

الأول: إنّ النبي (ص) ليس إسرائيلياً، فإذا كانوا قد اعترضوا على طالوت (ع) لعدم كونه من ذرية يوسف بيت الملك ولا من ذرية لآوى بيت النبوة [2]، مع أنّ طالوت من ذرية بنيامين شقيق يوسف، أي: إنه إسرائيلي، فإنّ اعتراضهم على النبي (ص) أمر متوقع، قال تعالى: **﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾** [3].

أمّا الأمر الثاني: فهو أنّ بعض العقائد والأحكام الشرعية التي أتى ا رسول الله (ص) تختلف عن عقائدهم وأحكامهم الشرعية المحرفة التي كانوا يدعون إ ا شريعة موسى (ع)، مع أنّ علماءهم قد حرفوا الكثير منها حتى قبل بعث عيسى (ع).

والثالث: إنّ رسول الله (ص) سيسلب من علماء بني إسرائيل مكانتهم ورئاستهم الدينية الباطلة، كما أنّ عدالته في توزيع الأموال ستسلبهم الخصوصية التي كانوا يتمتعون ا، فإن اتبعوه لن يتمكنوا من الاستئثار بأموال الصدقات. ورد في تفسير: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾** [4].

عن الإمام العسكري (ع): **(وكان هؤلاء قوم من رؤساء اليهود وعلمائهم احتجبوا أموال الصدقات والمبرّات، فأكلوها واقتطعوها ثم حضروا رسول الله (ص) وقد حشروا عليه عوامهم،**

1- يشير (ع) إلى قول الله تبارك وتعالى في عالم بني إسرائيل بلعم ابن باعورا الذي جاء ذكره في سورة الأعراف: **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** الأعراف: 175 - 176.

2- روى الشيخ الكليني: عن أبي بصير، عن أبي جعفر (ع) في قول الله عز وجل: **(إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ)** قال : **(لم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة،...)** الكافي:ج8 ص316.

3- آل عمران : 19.

4- البقرة : 44.

يقولون: **أنّ محمد تعدّى طوره وادعى ما ليس له ...**).

ثم قال الأمام العسكري (عليه السلام): (**قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) مخاطباً اليهود وعلماءهم: يا معاشر اليهود هؤلاء رؤساؤكم كافرون ولأموالكم محتجبون ولحقوقكم باخسون ولكم في قسمة ما اقتطعوه ظالمون يخفضون ويرفعون، فقالت رؤساء اليهود: حدثّ عن موضع الحجة بنبوتك ووصاية أخيك هذا، ودع دعواك الأباطيل وإغرائك قومنا بنا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا، ولكن الله عزّ وجل قد آذن لنبيه أن يدع بالأموال التي خنتموها لهؤلاء الضعفاء ومن يليهم**) [1].

وكانت النتيجة أن أخذ حب الأنا واتباع الهوى من علماء بني إسرائيل كل مأخذ، ومنعهم التكبر من اتباع النبي الأمي (صلى الله عليه وآله)، ولم يؤمن بالنبي منهم إلاّ قليل. وهكذا فشل المنتظرون مرة أخرى في الانتظار، كما فشلوا في انتظار عيسى وموسى (عليهما السلام) من قبله.

والحقيقة التي يجب أن يلتفت إليها هي: أنّ هؤلاء اليهود الذين فشلوا في انتظار النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هم ذراري أولئك الذين هاجروا في سبيل الله وأسسوا مدينة يثرب لانتظار النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله)، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصلاةَ وَاتَّبَعُوا الشهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ [2].

أما النصارى، فقد كان لغلوهم بعيسى (عليه السلام) ولتحريفهم لسيرته وتعاليمه، أو ما يسمى بـ (الإنجيل أو العهد الجديد)، كما كان لفهمهم الخاطئ في بعض الأحيان لكلامه (عليه السلام)، والأنبياء (عليهم السلام) يتكلمون أحياناً بالرموز والأمثال والحكم ليقربوا بعض الحقائق للناس.

أقول: إنّ مجموع هذه الأمور تضافرت ليجد القوم في طيا ا السبل للخروج عن جادة الصراط المستقيم، وتأليه عيسى (عليه السلام)، ثم عدم الإيمان بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله) ووصاية علي (عليه السلام) مع أن بعضهم آمنوا بالنبي (صلى الله عليه وآله) كما مر أنّ أول وفد آمن بالنبي (صلى الله عليه وآله) هو وفد من نصارى الحبشة، وفي التوراة والأناجيل الأربعة الموجودة اليوم والمقبولة لدى النصارى توجد بعض الإشارات إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام)، وكثير من الإشارات إلى المهدي (عليه السلام) من ولده.

أما في إنجيل برنابا فهناك تصريح من عيسى (عليه السلام) أنه جاء ليبشر بمحمد (صلى الله عليه وآله) ورجل آخر رمز له بالمختار، أو واحد من المختارين والذي سيظهر دين محمد (صلى الله عليه وآله)، كما قال (عليه السلام) أنه جاء ليمهد الطريق لمحمد (صلى الله عليه وآله)، ولشريعته التي ستكون في زمن نزول عيسى (عليه السلام) شريعة أهل الأرض جميعاً.

1- تفسير الإمام العسكري: ص235 ، بحار الأنوار: ج9 ص309.

2- مريم : 59.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[2]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[3].

وما بقاء عيسى (عليه السلام) إلى اليوم إلاّ لنصرة دين الله عندما ينزل في زمن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) ويصلي خلفه، وتعد شريعته الإسلامية الحنيفية السمحاء، كما روى الفريقان عن صاحب الشريعة (صلى الله عليه وآله).

* * *

الاستبدال

كذب رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) قومه وعشيرته وأهلُ مدينته وعلماءُ اليهود والنصارى، ولم يؤمن به الشيوخ ورؤساء القوم، ولكن آمن به وقبله الغرباء أهل المدينة الطيبة المباركة يثرب، وآمن به الفقراء والمستضعفون والشباب، وهكذا استبدل الله علماء الدين ورؤساء القوم وبعض من كان يدعي أنه ينتظر بعث محمد (صلى الله عليه وآله) بآخرين هم أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) المنتجبون الذين قدمهم أمامه إلى الجنة، وقُتل معظمهم في حياته شهداء محتسبين، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[4].

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[5].

1- التوبة : 33.
2- الفتح : 28.
3- الصف : 8 - 9.
4- الأحزاب : 23.
5- الفتح : 29.

هؤلاء ثلة غيروا وجه التاريخ وبيضوا وجه الإنسانية، جعفر بن أبي طالب، وأبو دجانة الأنصاري، وحنظلة غسيل الملائكة، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، والمقداد، وعمار، وجندب بن جنادة، وسلمان المحمدي الفارسي الأصل وكثيرون غيرهم، ربما لم يذكر التاريخ لبعضهم اسماً ولا رسماً ممن حاربوا الفساد والمفسدين، ولم يطلبوا علواً في الأرض، معروفون في السماء مجهولون في الأرض، فطوبى لهم وحسن مآب وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء لنصرهم دين الله في أرضه، ونصر م لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء محمد وعلي عليهما وعلى آلهما صلوات ربي وسلامة.

وقريب من هذا ما حدث مع من سبق محمد ﷺ من الأنبياء كما مر علينا أنّ علماء اليهود لن يؤمنوا بعيسى (عليه السلام)، ولم يؤمن بعيسى أهل مدينته الناصرة التي تربى فيها، جاء في الإنجيل: (وخرج من هناك وجاء إلى بلدة يتبعه تلاميذه، وفي السبت أخذ يعلم في ا مع فتعجب أكثر الناس حين سمعوه وقالوا من أين له هذا؟ وما هذه الحكمة المعطاة له وهذه المعجزات التي تجري على يديه؟ أما هو النجار بن مريم، وأخو يعقوب ويوسي و يهوذا و سمعان؟ أما أخواته عندنا هنا ورفضوه. فقال لهم يسوع: لا نبي بلا كرامة إلاّ في وطنه، وبين أقربائه وأهل بيته. وتعذر على يسوع أن يصنع أي معجزة هناك، سوى أنه وضع يديه على بعض المرضى فشفاهم، وكان يتعجب من قلة إيما م، ثم سار في القرى ا اورة يعلم)[1].

كما ورد في بعض الروايات أنّ بعض الشيعة لن يؤمنوا بالمهدي (عليه السلام)، كما لم يؤمن السنة بآبائه (عليهم السلام)، (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً).

بل إنّ بعض العلماء غير العاملين الذين يعتقد الجاهل أنهم قريبون منه لن يؤمنوا به، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (... **وكذلك القائم فإنّه تمتد أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة، الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين ولهم الأمر المنتشر في عهد القائم** ... وقال (عليه السلام): **كل ذلك لتتم النظرة التي أوجبها الله لعدوه إبليس، إلى أن يبلغ الكتاب أجله، ويحق القول على الكافرين ويقرب الوعد الذي بينه الله في كتابه بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[2]، وذلك إذ لم يبقَ من الإسلام إلا**

1- إنجيل مرقس: إصحاح 6.

2- النور : 55.

اسمه ومن القران إلا رسمه، وغاب صاحب الأمر بإيضاح العذر له في ذلك لاشتمال الفتنه على القلوب، حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له، وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها، ويظهر دين نبيه على يديه، ويظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[1].

* * *

ماذا بعد الهجرة ؟

في المدينة بدأ النبي صلى الله عليه وآله ببناء مجتمع إسلامي يتعامل وفق تعاليم شريعة الله المقدسة، بدأ النبي صلى الله عليه وآله في المدينة بكلمة لا إله إلاّ الله لينتهي إلى تدبير شؤون ا تمع وسياسة الناس لما فيه صلاحهم وكمالهم. وكان لخلقه العظيم وللمعجزات التي تظهر على يديه الكريمتين أثر كبير في الناس، وازدياد عدد المسلمين وتوجههم إلى كمالا م المعنوية والعزوف عن زخرف الدنيا، وهكذا بدأت تلك الصحراء المقفرة تخضر، ولو ترك محمد صلى الله عليه وآله يدعو الناس إلى الله سبحانه الرحمن الرحيم ولكن هيهات لو ترك القطا لنام.

ومن قبل ما ترك نمرود إبراهيم عليه السلام، ولا فرعون موسى عليه السلام، **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**[2].

أنظر إلى منطق هذا الكافر المتكبر فهو ينشر الصلاح بخموره وفجوره، وموسى يفسد في الأرض بنشر كلمة لا إله إلا الله، وإقامة الحكم الإلهي في الأرض، وهذا هو منطق الفراعنة الذين تسلطوا على المسلمين اليوم.

فإذا عرفنا هذا عرفنا أنّ الصدام المسلح أمر حتمي الوقوع، كما أنّ الجهاد لنشر كلمة لا إله إلاّ الله ضروري، ليكون الدين خالصاً لله وتكون كلمة الله هي العليا، **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**[3].

1- كمال الدين: ص356، غيبة الطوسي: ص172، بحار الأنوار: ج51 ص222.
2- غافر: 26 - 27.
3- النساء : 76.

وبدأ المسلمون يدافعون عن كيا م الإسلامي الذي بدأ صغيراً في المدينة ثم اتسع بفضل الله، وبعد أن استقرت الأمور هاجموا الحكومات الطاغوتية المتسلطة على رقاب الناس ليخلوا بعد ذلك الناس تحت ظل الدولة الإسلامية، دولة لا إله إلاّ الله يختارون الدخول في الإسلام أو البقاء على إحدى الديانات الإلهية السابقة مع دفع الجزية التي هي نظير الزكاة التي يدفعها المسلمون، هذا هو قانون الإسلام العادل في القرآن، **لا إِكْرَاهَ فِي الدين** [1].

أما الذين لا يدينون للخالق جلّ وعلا، وليس لهم دين ساوي فهؤلاء يقاتلون حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله.

وهكذا انتشر الإسلام بفضل الله وبجهاد النبي والوصي والمؤمنين، كان النبي (ص) كالطبيب الدوار بأدويته كما وصفه أمير المؤمنين (ع) [2]، كان يسير بين الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعمل ليلاً و اراً لنشر كلمة لا إله إلاّ الله، وهذه هي السيرة التي عمل ا الأئمة (ع) بعده كما أنها كانت سيرة الأنبياء والمرسلين قبله، فعيسى (ع) كان سائحاً في الأرض يدعو الناس إلى الله، وهكذا بقية الأنبياء إبراهيم وموسى وغيرهم (ع).

فهذه قصصهم في القرآن تف بالعمل الجاد المتواصل لنشر كلمة لا إله إلاّ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* * *

1- البقرة: 256 .

2- قال أمير المؤمنين (ع) في وصف الرسول (ص): (**طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه . يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، وآذان صم، وألسنة بكم . متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة**) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج1 ص207.

بعد وفاة النبي ﷺ

قال تعالى: **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشاكِرِينَ** [1].

خير من يصف ما حدث بعد وفاة النبي ﷺ هي الزهراء عليها السلام، أقرب الخلق إلى رسول الله ﷺ، حيث قالت في خطبتها في مسجد النبي ﷺ بعد وفاته: (... **فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى اصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الاقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحشمكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**) [2].

ولما جاءت نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها، قلن لها: كيف أصبحت عن علتك؟ فقالت: (**أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم وشنئتهم بعد أن سبرتم، فقبحاً لفلول الحد، وخور القناة، وخطل الرأي، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم، أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُون لا جرم لقد قلدتم ربقتها، وشننت عليهم عارها فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين، ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين. وما نقموا من أبي الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عز وجل.**

والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله ﷺ إليه لاعتلقه، ولسار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفتاه. ولأصدرهم بطاناً قد تحير بهم الري غير متحل منه بطائل، إلا بغمر الماء وردعة شررة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

1- آل عمران : 144.

2- الاحتجاج : ج1 ص136.

ألا هلم فاسمع، وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث. إلى أي سناد استندوا وبأي عروة تمسكوا، استبدلوا الذنابي والله بالقوادم، والعجز بالكاهل. فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِ أَحَق أَنْ يُتبَعَ أَمنْ لا يَهدي إلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ.

أما لعمر إلهك لقد لقحت، فنظره ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما سن الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم أنفساً، وطامنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً. فيا حسرتي لكم، وأنى بكم وقد عميت قلوبكم عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون [(1)].

وهكذا قُدم المؤخر، وأُخر المقدم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، واستولى أبو بكر وعمر وأشياعهم على السلطة، ونحي وصي رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام، وأوذي هو والزهراء (عليهما السلام)، وماتت عليها السلام أثر اقتحام عمر وجماعة من المنافقين دارها لإجبار الإمام علي عليه السلام على مبايعة أبي بكر، وضر ا بالسوط وضغطها بين الحائط والباب حتى كسر ضلعها ونبت المسمار في صدرها وأسقط جنينها. ووردت على أبيها مظلومة، مقهورة من قوم كانوا يسمعون النبي صلى الله عليه وآله يقول ما معناه: (**إنّ الله يغضب لغضب فاطمة**) [(2)].

فتعساً للقوم لما انتهكوا من حرم الله، واستخفوا بخيرة خلقه: **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَما أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ** [(3)].

هذا والنبي صلى الله عليه وآله لم يترك المسلمين في حياته دون أن يوجههم إلى القيادة من بعده، وإلى الأوصياء من ولده عليهم السلام، حيث أمره الله سبحانه بذلك. ولكن لابد من الفتـنة للتمحيص، ولابد من السامري، ولابد من العجل، قال تعالى: **أَحَسِبَ النَاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَن اللهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَن الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الذِينَ يَعْمَلُونَ السيئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** [(4)].

1- معاني الأخبار: ص355، دلائل الإمامة للطبري: ص128، أمالي الطوسي: ص376، الاحتجاج: ج1 ص149، بحار الأنوار: ج 43 ص159.

2- ينابيع المودة للقندوزي: ج2 ص56، ذخائر العقبى: ص39، أمالي الشيخ الصدوق: ص467.

3- البقرة : 17.

4- العنكبوت : 2 - 4.

وإني لما أردت أن أختار بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله الدالة على أنه أرشد المسلمين إلى الصراط المستقيم، وإلى الأوصياء من بعده وخلفاء الله في أرضه، احترت أيها أختار لكثر ا سواء في كتب الشيعة أو السنة.

وإني وإن اقتصرت على القليل منها، ولكني أسأل الله أن يجعل فيها نصراً للدين، ونفعاً للمسلمين وتأييداً للمؤمنين:

• روى الحافظ محب الدين أحمد الطبري، وهو من علماء السنة ومحدثيهم في كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: عن أنس قال: (كان عند النبي صلى الله عليه وآله طير فقال: **اللهم ائتني بأحب خلقك إليك ليأكل معي هذا الطير**، فجاء علي بن أبي طالب فأكل معه) [(1)].

• وعن معاذة الغفارية قالت: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله في بيت عائشة وعلي خارج من عنده فسمعته يقول: (**يا عائشة، إنّ هذا أحب الرجال إليّ وأكرمهم عليّ، فاعرفي له حقه وأكرمي مثواه**) [(2)].

• وعن البراء بن عازب قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: (**علي مني بمنزلة رأسي من جسدي**) [(3)].

• وعن المطلب بن عبد الله ابن حنطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لوفد ثقيف حين جاءوا: (**لتسلمن أو لأبعثن عليكم رجلاً مني** - أو قال مثل نفسي - **ليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم**. قال عمر: فوالله ما تمنيت الأمارة إلاّ يومئذ، إذ فجعلت انصب صدري رجاء أن يقول هو هذا. قال: فالتفت إلى علي فاخذَ بيده، وقال: **هو هذا، هو هذا**) [(4)].

• وعن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**ما من نبي إلاّ وله نظير في أمته وعلي نظيري**) [(5)].

• وعن أبي أيوب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**لقد صلت الملائكة علي وعلى علي؛ لأنّا كنا نصلي ليس معنا أحد يصلي غيرنا**) [(6)].

1- ذخائر العقبى: ص61، سنن الترمذي: ج5 ص300، تحفة الأحوذي: ج10 ص153.

2- ذخائر العقبى: ص62، ينابيع المودة : ج1 ص245، أسد الغابة: ج5 ص548.

3- ذخائر العقبى: ص63، ينابيع المودة: ج2 ص152.

4- ذخائر العقبى: ص64، المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج11 ص226، بحار الأنوار: ج38 ص308، أعيان الشيعة: ج1 ص354، وغيرها.

5- ذخائر العقبى: ص64، الغدير: ج3 ص23، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام : ج1 ص61.

6- ذخائر العقبى: ص64، الغدير: ج3 ص220، تاريخ دمشق: ج42 ص39.

- وعن أبي ذر قال: قال رسول الله (ص): (**لما اسري بي مررت بملك جالس على سرير من نور، وإحدى رجليه في المشرق والأخرى في المغرب، وبين يديه لوح ينظر فيه والدنيا كلها بين عينيه والخلق بين ركبتيه ويده تبلغ المشرق والمغرب، فقلت: يا جبريل من هذا؟ فقال: هذا عزرائيل تقدم فسلم عليه، فتقدمت فسلمت عليه، فقال: وعليك السلام يا أحمد ما فعل ابن عمك علي. فقلت: هل تعرف ابن عمي علياً؟ قال: وكيف لا أعرفه، وقد وكلني الله بقبض أرواح الخلائق ما خلا روحك وروح ابن عمك علي بن أبي طالب فإنّ الله يتوفاكما بمشيئته**)[1].
- وعن أم سلمه، عن رسول الله (ص) قال: (**من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل**) [2].
- وعن ابن عباس، قال: (كنت أنا والعباس جالسين عند رسول الله (ص) إذ دخل علي بن أبي طالب (ع) فسلم، رد عليه رسول الله (ص) السلام وقام إليه وعانقه وقبله بين عينيه وأجلسه عن يمينه. قال العباس: يا رسول الله أتحب هذا؟ فقال رسول الله: **يا عم والله، الله أشدّ حباً له مني، إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا**) [3].
- وعن عمران ابن حصين عن النبي (ص)، قال: (**إنّ علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي**) [4].
- وعن أبي رافع قال: لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أحد، قال جبريل (ع): (يا رسول الله إنّ هذه لهي المواساة، فقال النبي (ص): **إنّه مني وأنا منه**، فقال جبريل: وأنا منكما يا رسول الله)[5].
- وعن أبي الخميس، قال: قال رسول الله (ص): (**أسري بي إلى السماء فنظرت إلى ساقي العرش الأيمن، فرأيت كتاباً فهمته محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته به**) [6].

1- مناقب آل أبي طالب: ج2 ص75، ذخائر العقبى: ص65.

2- مناقب آل أبي طالب: ج2 ص217، وراجع المستدرك للحاكم: ج3 ص130، وغيره.

3- نيل الأوطار للشوكاني: ج6 ص139، تاريخ بغداد: ج1 ص333، تاريخ دمشق: ج42 ص259، ميزان الاعتدال: ج2 ص586.

4- مناقب آل أبي طالب: ج2 ص59، ذخائر العقبى: ص68.

5- مناقب آل أبي طالب: ج2 ص316، ذخائر العقبى: ص86.

6- ذخائر العقبى: ص69، مناقب أبن شهر أشوب: ج1 ص254،مجمع الزوائد: ج9 ص121، المعجم الكبير للطبراني: ج22 ص200.

• وعن بريده، عنه صلى الله عليه وآله: (**لكل نبي وصي ووارث وإنّ علياً وصيي ووارثي**) [1].

وعلق عليه الطبري واستدل بروايات أنّ المقصود بالوصاية هي أنّ النبي أوصى أن يلي غسله علي عليه السلام [2].

وإن تعجب فمن هؤلاء القوم، يروون كل هذه الروايات ثم يميلون يميناً وشمالاً!!

• وروي عن أنس، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فرأى علياً مقبلاً، فقال: (**يا أنس**، قلت: لبيك، قال: **هذا المقبل حجتي على أمتي يوم القيامة**) [3].

• وعن البراء ابن عازب، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله في سفر فـ لنا في غدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرة فصلى الظهر وأخذ بيد علي، وقال: (**ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: بلى، فأخذ بيد علي وقال: **اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعادي من عاداه**)، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنه [4].

وفي المناقب زاد عليه: (**وانصر من نصره وأحب من أحبه**) [5].

وهذا هو حديث الغدير أشهر من نار على علم، ومتواتر عن الفريقين، ولكن القوم يؤولون الولاية مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قرن ولاية علي عليه السلام بولايته صلى الله عليه وآله، وولايته صلى الله عليه وآله بولاية الله سبحانه.

وروى الطبري عن عمر أنه: (قال لرجل ويحك ما تدري من هذا، هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن) [6].

1- ذخائر العقبى: ص71، مناقب آل أبي طالب: ج2 ص35، ينابيع المودة: ج2 ص163.

2- قال أحمد بن عبدالله الطبري في ذخائر العقبى بعد أن أورد الحديث المتقدم: وإن صح هذا الحديث فالتوريث محمول على ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال علي: (**يا رسول الله ما أرث منك؟** قال: **ما يرث النبيون بعضهم من بعض كتاب الله وسنة نبيه**). والوصية محمولة على ما رواه أنس: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (**وصيي ووارثي يقضى ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه**). أخرجه أحمد في المناقب .... أخرجه أحمد في المناقب وخرجه ابن السراج، أو على ما رواه حسين بن علي عن أبيه عن جده قال: أوصى النبي صلى الله عليه وآله عليا أن يغسله، فقال علي: (**يا رسول الله أخشى أن لا أطيق ذلك**، قال : **إنك ستعان عليّ**، فقال علي رضي الله عنه : **والله ما أردت أن أقلب من رسول الله صلى الله عليه وآله عضواً إلاّ قلب لي**). ويعضد هذا التأويل بما ورد من الأحاديث الصحيحة في نفى التوريث والايصاء، وإنه لم يعهد إليهم عهداً غير ما في كتاب الله وما في صحيفة فيها شئ من أسنان الإبل ومن العقل على ما قررناه في كتاب الرياض النضرة في فضائل العشرة رضي الله عنهم . ذخائر العقبى: ص71.

3- ذخائر العقبى: ص77، ينابيع المودة: ج2 ص170، جواهر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : ج1 ص193.

4- مسند أحمد: ج4 ص281، ذخائر العقبى: ص76.

5- مناقب آل أبي طالب: ج2 ص236.

6- بشارة المصطفى للطبري: ص362، ذخائر العقبى: ص68، شواهد التنـزيل للحاكم: ج1 ص349، وفيه : ويلك بدل ويحك.

وليت شعري إذا كنت تعترف أنه سيدك ومولاك فلماذا غصبتم حقه أنت وصاحبك وأردت إحراق داره، بل تآمرتم على قتله، أحسداً كحسد السامري لهارون (عليه السلام)، وتكبراً كتكبر إبليس على آدم (عليه السلام)؟! وليت شعري من علّم إبليس التكبر، ومن أغواه؟!

وروى الطبري عن سعد بن أبي وقاص، أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي: (**أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي**) [1]. وهذا الحديث أشهر من نار على علم.

أقول: إذا كنتم ترون أنه كهارون من موسى فهل عميت عليكم مكانة هارون من موسى؟!

أليس القرآن يهتف بكم أن هارون خليفة موسى، **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾** [2].

فوالله إنّ وصايته ووصاية ولده من بعده وخلافتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أبين من الشمس في ما يروي السنة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضلاً عما يروي الشيعة، وما يصرح به القرآن في آيات كثيرة، بل إنّ ذكرهم موجود حتى في التوراة والإنجيل الموجودة حالياً، وإن حاول اليهود والنصارى طمس ذكرهم في ما مضى، كما حاول ويحاول اليوم بعض المسلمين مع الأسف الشديد مع أنّ القرآن أوصى بهم ورسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى بهم. ولكن يا قومي أنلزمكموها وأنتم لها كارهون، فانتظروا إنا منتظرون.

ومن أراد المزيد في كتب السنة فعليه مراجعة ذخائر العقبى للطبري، وينابيع المودة، وفرائد السمطين، وسنن الترمذي، ومسند أحمد، والمناقب، ومطالب السؤول للشافعي، ومسند البخاري، ومسند مسلم أو ما يسمو ما بالصحيحين، وسنن أبي داوود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم النيسابوري، وكفاية الطالب، وغيرها.

• وروى العلامة الفقيه محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (رحمه الله) وهو من صدور علماء الشيعة الإمامية ومن معاصري الشيخ المحقق الطوسي (رحمه الله)، وهو عند علماء الشيعة في الطبقة العليا من الاعتبار، واختياراته من الطراز الأول كما قيل عنه وفي كتابه الاستنصار، قال: أخبرني الشيخ المفيد وذكر السند إلى أبي جعفر الثاني (عليه السلام) عن آبائه عن أمير المؤمنين، قال: قال

1- ذخائر العقبى: ص63، صحيح ابن حبان: ج15 ص371، المعجم الأوسط للطبراني: ج5 ص287، المعجم الصغير: ج2 ص22.

2- الأعراف : 142.

رسول الله (ص): (**آمنوا بليلة القدر، فإنه ينزل فيها أمر السنة، وإن لذلك الأمر ولاة من بعدي علي ابن أبي طالب وأحد عشر من ولده** (ع)) [(1)].

• وبإسناد عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع)، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال رسول الله (ص): (**تمسكوا بليلة القدر، فإنها تكون بعدي لعلي بن أبي طالب وأحد عشر من ولده بعده** (ع)) [(2)].

• وعن أبي جعفر الأول - أي الباقر (ع) - عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله (ص): (**إني واثنا عشر من أهل بيتي، أولهم علي بن أبي طالب أوتاد الأرض التي أمسكها الله بها أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهبت الاثنا عشر من أهلي ساخت الأرض بأهلها ولم تنظروا**) [(3)].

• وعن أبي جعفر (ع)، قال قال رسول الله (ص): (**من أهل بيتي أثنا عشر نقيباً محدثون مفهّمون، منهم القائم بالحق يملأها عدلاً كما ملئت جوراً**) [(4)].

• وعن أبي عبد الله (ع)، عن آبائه، قال: قال رسول الله (ص): (**إنّ الله اختار من الأيام يوم الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر.**

واختار من الناس الأنبياء، واختار من الأنبياء الرسل، واختارني من الرسل، واختار مني علياً، واختار من علي الحسن والحسين (عليهما السلام)، واختار من الحسين الأوصياء، وهم تسعة من ولد الحسين ينفون من هذا الدين تحريف الغالّين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، تاسعهم ظاهرهم باطنهم قائمهم، وهو أفضلهم) [(5)].

• وما رواه الصادق (ع) عن آبائه، عن رسول الله (ص)، قال: (**ابشروا ثم ابشروا ثم ابشروا** - ثلاث مرات - **إنما مثل أمتي كمثل غيث لا يدرى أوله خير أم آخره، إنما مثل أمتي كمثل حديقة أطعم منها فوجاً ما لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها بحراً وأعمقها طولاً وأطولها فرعاً وأحسنها جنى، وكيف تلك أمة أنا فيها أولها، وإثنا عشر من ولدي من السعداء أولي الألباب، والمسيح ابن مريم آخرها، ولكن يهلك بين ذلك نتج الهرج ليس مني ولست منه**) [(6)].

1- الاستنصار: ص8، الارشاد للمفيد: ج2 ص346، الكافي: ج1 ص533، مناقب آل أبي طالب: ج1 ص257

2- الاستنصار: ص8.

3- الاستنصار: ص8، تقريب المعارف للحلبي: ص419.

4- الكافي: ج1 ص534، الاستنصار: ص8.

5- كمال الدين: ص281، مقتضب الأثر: ص10، الاستنصار: ص8.

6- الخصال: ص476، عيون أخبار الرضا (ع): ج2 ص56، كمال الدين: ص269.

• وروى العلامة ابن عياش (رحمه الله) في كتابه مقتضب الأثر بإسناده إلى سلمان الفارسي، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين بن علي عليه السلام على فخذه، إذ تفرس في وجهه، وقال له: (**يا أبا عبد الله أنت سيد من السادة، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعه، تاسعهم قائمهم إمامهم أعلمهم أحكمهم أفضلهم**)[1].

والأدلة على إمامة علي وولده الأحد عشر عليهم السلام وخلافتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله كثيرة جداً، ولعل أعظمها هو سورة: **إنا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** .

فهذه السورة دالة على أنّ الملائكة والروح تنـ ل بالأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله على خلفائه المعصومين، وإلاّ لقيل بمضيها مع النبي صلى الله عليه وآله، مع أنّ المسلمين مجمعون على بقائها، وهاهم يطلبو ا في العشر الأواخر من شهر رمضان كل عام، ومن أبى إلاّ العناد فليقل: عنـزه ولو طارت!!

• قال الإمام الباقر عليه السلام: (**يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ تفلحوا، فوالله إنا لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنا لسيدة دينكم، وإنا لغاية علمنا يا معشر الشيعة. يا معشر الشيعة خاصموا بـ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ فإنّها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله** ...)[2].

• وعن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: (**لما اسري بي أوحى إلي ربي جل جلاله** ..... وساق الحديث إلى أن قال: **فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة ابن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب درّي، قلت: يا رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحل حلالي ويحرم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزى** - أي الأول والثاني - **طريّين فيحرقهما، فلفتنة الناس بما يومئذٍ أشد من فتنة العجل والسامري**)[3].

• وروى الصدوق في إكمال الدين وعيون أخبار الرضا عليه السلام معاً، قال: عن أبي وابن الوليد معاً، وأسند الحديث إلى الأمام الصادق، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري

1- مقتضب الأثر: ص11، بحار الأنوار: ج36 ص372، وجاء في الخصال باختلاف يسير: ص475، ولاحظ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج2 ص56.

2- الكافي: ج1 ص294، بحار الأنوار: ج25 ص72.

3- كمال الدين: ص253، غيبة الطوسي: ص173، بحار الأنوار: ج52 ص379، إلزام الناصب: ج1 ص169.

أنه رأى في يد فاطمة عليها السلام لوحاً أهداه الله عز وجل إلى الرسول صلى الله عليه وآله، وأعطاه الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام، مكتوب فيه: (**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمد نوره وسفيره وحجابه ووليه، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين.**

عظّم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي. إني أنا الله لا إله إلاّ أنا قاصم الجبارين، ومبير الظالمين، ومذل الظالمين وديان يوم الدين [1]، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبته عذاباً لا أعذبه [2] أحداً من العالمين، فإياي فاعبد وعلي فتوكل، إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلاّ جعلت له وصياً، وإني فضلتك على الأنبياء، وفضلت وصيك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك [3] بعده وسبطيك الحسن والحسين [4]، فجعلت حسناً معدن علمي، بعد انقضاء مدّة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه، والحجة البالغة عنده [5]، بعترته أثيب وأعاقب. أولهم علي سيد العابدين، وزين أوليائي الماضين [6]، وابنه سمي جدّه [7] المحمود محمد الباقر لعلمي، والمعدن لحكمي. سيهلك المرتابون في جعفر، الراد عليه كالراد علي، حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر، ولأسرّنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه. انتجبت بعده موسى، وانتجبت [8] بعده فتنة عمياء حندس؛ لأنّ خيط فرضي لا ينقطع [9]، وحجتي لا تخفى، وإنّ أوليائي لا يشقون، ألا ومن جحد واحد منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افترى علي، وويل للمفترين الجاحدين. عند انقضاء مدة عبدي موسى، وحبيبي وخيرتي، (ألا) [10] إن المكذّب بالثامن مكذّب بكل أوليائي، وعلي وليي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمنحه [11]

1- في الكافي: ومديل المظلومين وديان الدين.
2- في بعض نسخ الكافي: لا أعذب به.
3- في بعض نسخ الكافي: بسليلك .
4- في الكافي: حسن وحسين.
5- في غيبة النعماني: فهو أفضل من استشهد في، وأرفع الشهداء درجة عندي، ... ، وحجتي البالغة عنده.
6- في بعض نسخ الكافي: وزين أولياء الله الماضين.
7- في بعض نسخ كمال الدين: شبيه جدّه.
8- في الكافي : أبيحت. كما أنه في بعض نسخه: أتيحت. وهذا هو الموجود في غيبة النعماني.
9- في بعض نسخ كمال الدين: لأن خيط وصيتي. وفي بعض نسخ غيبة النعماني: ألا إن خيط فرضي.
10- جاءت في كمال الدين.
11- في غيبة الطوسي: وأمتعه، وفي العوالم: وأمنحنه.

بالاضطلاع با، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح، إلى جنب شر خلقي. حق القول مني لأقرّن عينه بمحمد إبنه [1]، وخليفته من بعده، فهو وارث علمي، ومعدن حكمي، وموضع سرّي، وحجتي على خلقي (لا يؤمن عبد به إلاّ) [2] جعلت الجنة مثواه، وشفعته في سبعين (ألفاً) [3] من أهل بيته، كلهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لإبنه علي وليّي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي، والخازن لعلمي الحسن، ثم أكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وباء عيسى، وصبر أيوب [4].

سيذلّ أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنين [5] في نسائهم، أولئك أوليائي حقاً، بم أدفع كل فتنة عمياء حندس، وبم أكشف الزلازل، وأرفع الآصار[6] والأغلال أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ من ربهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ([7]) [8].

[8].

قال عبد الرحمن ابن سالم، قال أبو بصير: (لو لم تسمع في دهرك إلاّ هذا الحديث لكفاك قَصنه إلاّ عن أهله) [9].

وروي مثله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخط أمير المؤمنين في البحار [10].

ومع كل ما سمع الصحابة، وما رووا عن النبي (صلى الله عليه وآله) وموافقه مع علي (عليه السلام) وتأكيده (صلى الله عليه وآله) على اتباعه، واتباع ولده الأحد عشر الأوصياء من بعده، فإنّ معظم المسلمين اختاروا اتباع أئمة الضلال، ووقعوا في فتنة العجل واتبعوا السامري!! وفعلوا مع علي (عليه السلام) عند وفاة النبي كما فعل

1- بابنه : (م ح م د).
2- جاءت هذه العبارة في شرح اصول الكافي للمازندراني: ج7 ص363.
3- جاء ت هذه الكلمة في غيبة الطوسي: ص146. وفي غيبة النعماني: ص71.
4- في الهداية الكبرى للخصيبي: عليه إكمال صفوة آدم ورفعة إدريس وسكينة نوح وحلم إبراهيم وشدة موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب.
5- في الكافي: الرنا. والرنة : هي الصياح في المصيبة.
6- في بعض نسخ كمال الدين: القيود .
7- البقرة : 157.
8- إكمال الدين: ص308، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : ج2 ص48، الكافي: ج1 ص527، الاختصاص للمفيد: ص211، الاحتجاج: ج1 ص84، غيبة الطوسي: ص145، غيبة النعماني: ص71، مناقب آل أبي طالب: ج1 ص255.
9- عيون أخبار الرضا: ج2 ص50، كمال الدين: ص311، الكافي: ج1 ص529.
10- بحار الأنوار: ج36 ص200.

بنو إسرائيل مع هارون عليه السلام عند غيبة موسى، وهكذا حدثت الردة التي حذرهم الله من الوقوع فيها، قال تعالى: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾** (1)، وانقلب القوم على أعقا م إلاّ نفراً قليلاً من أصحاب النبي هم عمار وأبو ذر والمقداد وسلمان. ثم أخذ كثير من الصحابة بالرجوع إلى الحق وإلى موالاة علي عليه السلام بعد أن خذلوه ولم ينصروا حقه في البداية، وبعد أنّ رأوا الظلم الذي أخذ يتزايد يوماً بعد يوم نتيجة لتسلط الجبت والطاغوت على دفة القيادة وخلافة النبي صلى الله عليه وآله، وبدأت دواوين التميز في العطاء من بيت المال حتى وصل الأمر إلى أن يعطي عثمان خمس أرمينيا لمروان ابن الحكم (2)، ومعاوية الطليق عدو الإسلام يصبح والي بلاد بلاد الشام في عهد عمر، ويتحكم بأبي ذر (رحمه الله) ويهينه ويؤذيه ويطرده من بلاد الشام، بعد أن فضح أبو ذر ترف معاوية واستيلاءه على أموال المسلمين، وأخيراً يجهز عثمان على أبي ذر (رحمه الله) بنفيه إلى الربذة، وتركه يموت فيها وحيداً مقهوراً يعاني الفقر والجوع، في حين أن تركة عبد الرحمن بن عوف من الذهب تكسر بالفؤوس، وطلحة وعثمان وسعد وغيرهم يملكون الكثير الكثير، وإن لم أقل جميعه فمعظمه من بيت مال المسلمين.

ومن أراد المزيد فليراجع تاريخ القوم في كتب التاريخ (3).

ولو سألنا أبا ذر (رحمه الله) لماذا كل هذه الآلام والمصائب في حياتك يا أبا ذر؟

لقال ما معناه: قال لي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله: قل الحق يا أبا ذر، وقد قلت الحق وما أبقى لي الحق من خليل (4).

1- آل عمران : 144.

2- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: وثالث القوم هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كنيته أبو عمرو، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. بايعه الناس بعد انقضاء الشورى واستقرار الامر له، وصحت فيه فراسة عمر، فإنه أوطأ بنى أمية رقاب الناس، وولاهم الولايات وأقطعهم القطائع، وافتتحت إفريقية في أيامه، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان، فقال عبد الرحمن بن حنبل الجمحي : ......

وأعطيت مروان خمس البلاد . . . فهيهات سعيك ممن سعى !شرح نهج البلاغة: ج 1 ص 198.

3- راجع كتاب الغدير للشيخ الأميني: ج8 ص292 وما بعدها، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج3 ص54، وغيرهما.

4- روي في وصايا الرسول محمد صلى الله عليه وآله لأبي ذر عليه السلام: (... قلت: يا رسول الله، زدني. قال: **قل الحق وإن كان مراً.** قلت: يا رسول الله، زدني . قال: **لا تخف في الله لومة لائم** ...) الأمالي للطوسي: ص539 - 541.

طوبى لك يا أبا ذر فقد ذل سجانك، وما قتلوك ولكن قتلتهم، وهم ماتوا في حيا م وأنت إلى اليوم حي في قلوب المؤمنين، بل أنت معنا ومثل أعلى في قلب كل إنسان حر شريف يطالب بحقوق الفقراء والمساكين والمستضعفين أينما كان.

ويكفيك قول سيد الموحدين بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام: (**يا أبا ذر، أنك غضبت لله فارج من غضبت له. إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حسداً. ولو إنّ السماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً ثم أتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً، لا يؤنسك إلاّ الحق ولا يوحشنك إلاّ الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قرضت منها لأمنوك**) [1].

وقبل هذه الحادثة حوادث ومصائب نالت من الإسلام والمسلمين، فأبو بكر يرسل خالد ابن العتل الزنيم ليقتل مالك بن نويرة (رضي الله عنه) ويعتدي على زوجته في نفس الليلة التي قتله فيها، لماذا؟ لأنّ مالكاً رفض أن يدفع زكاة أموال بني تميم البطاح لأبي بكر؛ لأنه مغتصب لخلافة رسول الله من صاحبها الذي يعرفه المسلمون، ورأوا وسمعوا رسول الله ﷺ نصبه خليفة له في غدير خم وفي غيره من المناسبات، وهو علي بن أبي طالب. والعجيب أنّ عباس محمود العقاد يمر على قول مالك بن نويرة:

فقلت خذوا أموالكم غير ناظر ... ولا خائف فيما يجيء من الغد
فان قام بالأمر المخوف قائـم ... منعنا وقلنا الدين دين محمد [2].

فيقول: (أغلب الظن أنه بدد ما جمع من الصدقات في حياته وملاهيه، ثم ليم في ذلك؟ فأجاب لائميه ذه الأبيات)!!

وليت شعري كيف قرأت هذه الأبيات، وفهمت هذا المعنى ؟! والحال أنّ الرجل يقول خذوا أموالكم، أي: إنه أعادها لهم. ثم بعد ذلك يحاول العقاد أن يجعل جريمة قتل مالك بن نويرة، والاعتداء على زوجته غامضة لا يتضح فيها جرم أبي بكر وخالد ابن العتل الزنيم، ليجعل بعد

1- نهج البلاغة : ج2 ص17.

2- راجع ترجمة مالك بن نويرة في الإصابة: ج5 ص560، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ج6 ص14، معالم المدرستين: ج2 ص82.

ذلك خالد بن الوليد عبقرياً فذّاً، شغله الجهاد عن حفظ سورة واحدة من القرآن يقرأها في صلاته عندما يؤم المسلمين، ما هكذا الأنصاف يا عقاد، (وما هكذا يا سعد تورد الإبل).

فحسبنا الله ونعم الوكيل، وسيعلم الذين يحملون الناس على أكتاف آل محمد أي منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتقين.

وعلى كل حال فالخطب جليل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والممارسات غير المشروعة والظالمة كثيرة جداً، ويكفي حادثة مالك بن نويرة لمن ألقى السمع وهو شهيد، وقد انتهكت فيها دماء وأموال وأعراض المسلمين فهل بقي شيء؟!

ولسائل أن يسأل: لماذا لم يرفع علي بن أبي طالب سيفه؟ ولماذا طلب منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبر على الظلم من بعده؟!

ومع أنّ الإجابة فيما قدمت من البحث وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام: (**فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل أندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة**)[1].

ولكن لا بأس من التوضيح قليلاً، وأذكر هنا سببين:

الأول: إنّ الإسلام لم يترسخ في نفوس الناس، فإسلامهم ظاهري وليس إيماناً حقيقياً راسخاً لا يخشى على أهله من الارتداد، فحالهم كحال التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، إلاّ القليل منهم، قال تعالى: **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**[2].

وقال تعالى: **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً**[3].

وفي القرآن آيات كثيرة دالة على أنّ حال كثير من المسلمين متزلزل ومع وجود المنافقين، لك أن تعرف النتيجة، وعلى هذا فعلى الوصي أن يرضى بالظاهر، ويصبر كما رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالظاهر وصبر على المنافقين، ومن يستمع لكلامهم. وإلاّ فسيهدم هذا البناء الذي أجهد رسول

1- نهج البلاغة: ج1 ص36.
2- الحجرات : 14.
3- الأحزاب : 14.

الله (صلى الله عليه وآله) ووصيه (عليه السلام) أكثر من عشرين سنة لتشييده. فالفائدة العظيمة المرجوة من هذا الدين وهي تمام نور الله في أرضه، وعبادة أهل الأرض لله ونشر كلمة لا إله إلاّ الله.

ورفع راية الله أكبر على كل بقعة في الأرض لن تحقق في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) أو الوصي، بل في زمن خاتم الأوصياء المهدي (عليه السلام)، وهذه سنة إلهية في الأمم السابقة، فقد أُرسل موسى إلى قوم من بني إسرائيل وعبروا معه البحر، ولكن في صحراء سيناء تمردوا عليه ورفضوا قتال الجبابرة.

قال تعالى: **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**[(1)]، وبالتالي رفضوا حمل كلمة لا إله إلاّ الله إلى الناس، وعاقبهم الله سبحانه وتعالى بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة.

وكان نتيجة هذا التيه العقوبة الإصلاحية خروج أمة ربانية صالحة، وهم أبناء هؤلاء الفاسقين وأحفادهم، وقد حملوا كلمة لا إله إلاّ الله مع يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام)، وقاتلوا الجبابرة والطواغيت ونصروا دين الله في أرضه.

إذن فالنتيجة المرجوة من هذه الأمة هي في آخر الزمان، أي في زمن ظهور المهدي (عليه السلام)، ونرجوا من الله أن يكون زماننا كما يدل عليه كثير من الروايات، والله أعلم.

وقد مر فيما سبق عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: (**.. إنما مثل أمتي كمثل حديقة أطعم منها فوجاً ما لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها بحراً وأعمقها طولاً وأطولها فرعاً وأحسنها جناً ...**)[(2)].

إذن فالرسول يرجو أن يكون آخر فوج من أمته هو أفضلها، بل لعل هذه الأمة أي أصحاب المهدي وأنصاره لا يقرنون بمن سبقهم، سواء من هذه الأمة أو من سواها على طول مسيرة الإنسانية على الأرض، وقد مر وصفهم بالحديث القدسي: (**وانتجبت لذلك الوقت عباداً لي امتحنت قلوبهم للأيمان، وحشوتها بالورع والإخلاص واليقين والتقوى والخشوع والصدق والحلم والصبر والوقار والتقى والزهد في الدنيا، والرغبة فيما عندي، وأجعلهم دعاة الشمس والقمر، واستخلفهم في الأرض ... أولئك أوليائي، اخترت لهم نبياً مصطفى، وأميناً مرتضى، فجعلته لهم نبياً ورسول، وجعلتهم له أولياء وأنصار، تلك أمة اخترتها ...**)[(3)].

1- المائدة : 24.

2- الخصال: ص476، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج2 ص56، كمال الدين: 269.

3- سعد السعود لابن طاووس: ص34، بحار الأنوار: ج52 ص384، إلزام الناصب: ج2 ص259.

والروايات عن أهل بيت العصمة في فضل أصحاب المهدي (عليه السلام) وأنصاره كثيرة، ولو لم يكن من فضلهم إلاّ إعلاء كلمة الله ونشر التوحيد في كل بقعة من بقاع الأرض لكفى.

ثانياً: إنّ صبر أمير المؤمنين (عليه السلام) كان حجة بالغة له، فهو قد بين حقه ثم أعرض عن منازعة القوم الإمارة والحكم، ليبين أنه (عليه السلام) زاهد ذه الإمارة وإنما طلبه لها لإقامة الحق ونشر العدل ونصرة الدين، وقد أبصر أمير المؤمنين (عليه السلام) عبر القرون بقية هذه الأمة وذراريهم، وعلم أ م سيعلمون ما جره عليهم تنحية الوصي عن الإمارة واغتصاب حقه من قبل الجبت والطاغوت، حتى وصل الأمر إلى تسلط أولاد البغايا والزانيات على هذه الأمة، وقد مر عليك هذا المعنى في خطبة الزهراء (عليها السلام) حيث قالت: (**أما لعمر الهك لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً وزعافاً مرّاً هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما سن الأولون**)[1].

وفي النهاية رجعت الخلافة إلى الإمام علي (عليه السلام) بعد هن وهن، وحمل الناس على الحق واستقبل م القبلة والصراط المستقيم، ولكنهم لم يحتملوا مرارة الحق، وبعد أن قضوا وطراً في الانحراف عن صراط الله المستقيم لم يحتملوا عدالة علي (عليه السلام) ومساواته لهم بالعطاء، بعد أن اعتادوا التميز والأثرة من الماضين فبعد أن اعتادوا عبادة العجل وطاعة السامري، لم يرق لهم طاعة علي وعبادة الله الواحد الأحد، وقبول شريعته التي أراد علي (عليه السلام) العمل ا في مجتمع مزقه فساد الماضين، ومع هذا فقد رفع علي (عليه السلام) للحق راية وأرشد الناس إلى أتباعها، ولكنهم خذلوه وخذلوا ولده المعصومين من بعده الذين لم يدخروا جهداً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سبيل إرشاد المسلمين إلى الصراط المستقيم حتى قضوا بين مسموم ومقطع بالسيوف.

فعن أبي الهيثم ابن التيهان، إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب الناس في المدينة فقال: (**الحمد لله الذي لا إله إلاّ هو، أيها الأمة التي خدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها فأصرت على ما عرفت، واتبعت أهوائها وضربت في عشواء غوائها، وقد استبان لها الحق فصدت عنه والطريق الواضح فتنكبته، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعذوبته، وادخرتم الخير من موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتم من الحق نجه، لنهجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام، وأضاء لكم الإسلام، فأكلتم رغداً، وما عال فيكم عائل ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكن سلكتم سبيل الظلّام، فأظلمت عليكم**

1- معاني الأخبار: ص355، دلائل الإمامة للطبري: ص128، أمالي الطوسي: ص376، الاحتجاج: ج1 ص149.

دنياكم برحبها، وسدت عليكم أبواب العلم، فقلتم بأهوائكم، واختلفتم في دينكم، فأفتيتم في دين الله بغير علم، واتبعتم الغواة فأغوتكم، وتركتم الأئمة فتركوكم، فأصبحتم تحكمون بأهوائكم، إذا ذكر الأمر سألتم أهل الذكر، فإذا أفتوكم قلتم هو العلم بعينه، فكيف وقد تركتموه ونبذتموه وخالفتموه؟ رويداً عمّا قليل تحصدون جميع ما زرعتم، وتجدون وخيم ما اجترمتم، وما اجتلبتم.

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد علمتم إني صاحبكم، والذي به أُمرتم، وإني عالمكم والذي به نجاتكم ووصي نبيكم، وخيرة ربكم ولسان نوركم، والعالم بما يصلحكم، فعن قليل رويداً ي ل بكم ما وعدتم، وما نزل بالأمم قبلكم، وسيسألكم الله عز وجل عن أئمتكم، معهم تحشرون وإلى الله عز وجل غداً تصيرون، أمّا والله لو كان لي عدّة أصحاب طالوت أو عدة أهل بدر وهم أعدادكم، لضربتكم بالسيف حتى تؤولوا إلى الحق، وتنيبوا للصدق، فكان أرتق للعتق، وأخذوا بالرفق، اللهم فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين) [1].

* * *

صلح الإمام الحسن عليه السلام، وولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام

وأخيراً لابد لنا من المرور على حدثين مهمين في حياة أوصياء النبي الخاتم صلى الله عليه وآله الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام، لارتباطهما ذا البحث:

الأول: هو صلح الإمام الحسن عليه السلام مع الطاغية معاوية ابن هند (لعنه الله)

وهو صلح ضروري، بعد أن أخذت دولة المنافقين التي يقودها معاوية بالاتساع والاستيلاء على الأرض الإسلامية، وبعد أن خذل المسلمون الإمام الحسن عليه السلام. فهو إذاً كصلح النبي صلى الله عليه وآله للمشركين في الحديبية.

وقد صرح الإمام الحسن عليه السلام بأنّ صلحه كان استبقاء للشيعة، وهم أهل الحق وببقائهم يبقى الحق. وإذا نظرنا بعين البصيرة وجدنا أنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام كان للتهيئة لثورة الإمام الحسين عليه السلام، التي هي بدورها يئة لثورة الإمام المهدي عليه السلام، فالإمام الحسن عليه السلام لما اضطر إلى

1- الكافي: ج8 ص32.

تنحية السيف بدأ حرباً جديدة مع معاوية، هذه المرة حرب إعلامية الهدف منها يئة الأمة لثورة الحسين (عليه السلام)، وعلى أقل تقدير أن تكون الأمة مستعدة لقبول هذه الثورة والتعاطف معها، بل والتفاعل معها ولو بعد قيامها، ومن اطلع على أحوال الأمة في زمن الإمام الحسن (عليه السلام) يعلم أن هذا هدف كبير يرجى من أمة نكس أبناؤها وخذلوا قائدهم المعصوم، حتى أصبحوا يرون المنكر معروفاً، وكاد أن لا يبقى للتشيع اسم ولا رسم لولا الحركة الإعلامية للإمام الحسن (عليه السلام). فلم يكن صلح الإمام الحسن (عليه السلام) صلحاً ذا المعنى، إنما كان هدنة اضطر لها الإمام الحسن (عليه السلام) ليتبعها أخيه الحسين (عليه السلام) - الذي هو كنفسه - بثورة لا يزال صداها يهز الدنيا إلى اليوم، فكما أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان ينظر إلى المستقبل وإلى دولة لا إله إلاّ الله العالمية، كذلك كان الإمام الحسن (عليه السلام)، فجميع المعصومين (عليهم السلام) كانوا ينظرون إلى اليوم الذي يظهر فيه هذا الدين على الدين كله، فمسيرة الإنسانية هي مسيره تكاملية في الجملة وإن تعرضت لبعض الانتكاسات، حيث إن نتيجتها هو صلاح معظم أهل الأرض في زمن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام).

والأئمة (عليهم السلام) كانوا يفعلون كل ما من شأنه توجيه هذه الأمة لحمل الرسالة الإلهية في يوم من الأيام إلى أهل الأرض جميعاً، فكانوا (عليهم السلام) يؤثرون رضا الله ومصلحة الإنسانية على أنفسهم، ويتحملون أشد أنواع الأذى النفسي والجسدي في سبيل هذا الهدف العظيم، وهو إيمان أهل الأرض بلا إله إلاّ الله محمد رسول الله.

الثاني: ولاية العهد للإمام الرضا (عليه السلام)

والثاني هو ولاية العهد التي قبلها الإمام الرضا (عليه السلام) بعد أن أجبره المأمون العباسي عليها، وهي نظير وزارة يوسف (عليه السلام) لملك مصر التي كانت بالإجبار، وإن كان فيها بعض النفع لعامة الناس، فهي إذن فتنة وامتحان للمؤمنين كما امتحن سبحانه بني إسرائيل عندما جعل موسى (عليه السلام) يتربى ويعيش في قصر فرعون الطاغية (لعنه الله)، فهذه كتلك: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾**[1].

وفي اية المطاف سم المأمون العباسي الإمام الرضا (عليه السلام) بعد أن وجد المأمون نفسه غير قادر على تحجيم عمل الإمام الرضا (عليه السلام)، مع أنه كان في قصره وتحت يده.

1- العنكبوت : 2 - 3.

وهكذا كانت حياة الأئمة عليهم السلام أوصياء النبي الخاتم صلى الله عليه وآله صورة لحياة الأنبياء السابقين على هذه الأرض، فهم بين طاغوت متسلط مستبيح لدمائهم المقدسة ومن تبعه أو ركن له من علماء السوء غير العاملين، وبين أمة خذلتهم واختارت عبادة العجل واتباع السامري إلاّ القليل ممن وفى بعهد الله، ولما وصل الأمر إلى خاتم الأوصياء عليهم السلام بقية الله في أرضه محمد بن الحسن المهدي عليه السلام شاء الله له الغيبة عن أنظار الناس والطواغيت، ليحفظ بحفظه القرآن والشريعة حتى يأذن له بالظهور وإظهار الحق عندما تتهيأ الأمة لنصرته، وقد ورد عنه عليه السلام: (**وأمّا علة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عز وجل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾**)[1].

والحر تكفيه الإشارة، والسلام على نور الله في أرضه وبقيته في عباده الذي سماه آباؤه عليهم السلام المظلوم، وهو المظلوم حقاً حتى من شيعته الذين لا يكادون يذكرونه مع غيبته وشديد محنته.

والسلام على المؤمنين والمؤمنات ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[2].

* * *

1- كمال الدين: ص485، الغيبة للطوسي: ص292، الاحتجاج: ج2 ص284، بحار الأنوار: ج52 ص92.
2- النور : 40 .

العجل

الجزء الثاني

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، الذي قال: **وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** [1].

وصلى الله على الأنبياء والمرسلين وعلى خاتمهم المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الغر الميامين، وعلى خاتمهم الذي سيبعث نقمة على الكافرين.

قدمت في الجزء الأول إنّ هذا البحث هو: نظرة من خلال قصص الأنبياء والمرسلين والأمم الغابرة إلى حال المسلمين في الحاضر وفي المستقبل المرتقب فيه ظهور الإمام المهدي (عليه السلام). كما أنه دعوة للإصلاح ولمراجعة المسيرة، وخصوصاً لمن يدعون تمثيل الإمام المهدي . وهو دعوة للاستعداد لنصرة الإمام المهدي (عليه السلام) وتجنب الوقوف ضده، سواء مع الطواغيت كالسفياني، أو مع علماء السوء السامريين. وقد توخيت فيها أن ألزم جانب اللين والرحمة، قال تعالى: **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** [2].

فالواقع الإسلامي اليوم مخزٍ، والحال مرير، ولابد من الإصلاح، ولابد أن يتصدى مؤمنون لهذا الإصلاح. ومن الطبيعي أن تكون هناك تضحيات في صفوف السائرين على هذا النهج الشريف، الذي هو كالسير على الجمر.

فعن الإمام الباقر (عليه السلام)، قال: (**قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهم لقني إخواني مرتين. فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: لا، إنكم أصحابي، وإخواني قوم في آخر الزمان، آمنوا ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشد بقية على دينه من**

1- فاطر : 22 - 25.

2- آل عمران : 159.

خرط القتاد - أي الشوك - في **الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا** [1]**، أولئك مصابيح الدجى ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة**) [2].

فمن الصعب أن تقف بوجه الطواغيت و علماء السوء السامريين تقارعهم وتقاتلهم ويدك خالية حتى من حجر تدافع به عن نفسك، ولا ناصر ولا معين. وفي أيديهم أسلحة ودبابات وصواريخ وآلة إعلامية ضخمة، وأسماء رنانة صرفت أموال طائلة لإحاطتها الة من القدسية الزائفة، وأموال طائلة تغدق على من يعبدهم من دون الله ويطبل ويزمر لهم ويسميهم زعماء وعلماء.

ولكن لي ولإخواني المؤمنين بموسى وهارون أسوة، عندما قارعا فرعون وهامان وقارون والسامري وبلعم بن باعورا (لعنه الله) الظاهر بلباس العالم العابد الناسك.

ولنا بعيسى (ع) عندما قارع قيصر وبيلاطس وجيوش الرومان وعلماء بني إسرائيل الضالين أسوة. ولنا بمحمد (ص) عندما قارع الطواغيت وعلماء السوء أسوة. ولنا بآل محمد (ع) عندما قارعوا طواغيت بني أمية وبني العباس وعلماء السوء السامريين في هذه الأمة أسوة.

ووالله لولا أنّ الله كتب على المؤمنين إنكار المنكر، ولولا أني اطلعت على كثير من الحقائق التي ملأت كبدي قيحاً، سواء من الحكام المفسدين أم من علماء السوء الفاسدين - **﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾** [3]- لألقيت حبلها على غار ا، ولما اخترت هذه المواجهة الدامية مع ألوف مؤلفة مسلحة بكل أنواع الأسلحة المادية والعسكرية والإعلامية. وليس بين يدي إلاّ أن أقول: **﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾** [4].

أيها الأحبة إني لمّا تدبرت طويلاً وصية أمير المؤمنين (ع) وجدته يقول: (**والله ما فاجئني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلاّ كقارب ورد** [5]**، وطالب وجد، وما عند الله خير للإبرار**) [6].

1- شجرة جمرها شديد الحرارة ويبقى فترة طويلة لا ينطفئ.
2- بصائر الدرجات: ص104، بحار الأنوار: ج52 ص124، مكيال المكارم : ج1 ص346.
3- الكهف : 18.
4- القمر : 10.
5- قارب ورد: يقال لطالب الماء ليلاً، ولا يقال لمن طلبه بالنهار.
6- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج3 ص21.

ووجدت أنّ العاقل اللبيب المطيع لله الموت أحب إليه من الحياة. وما عند الله خير للإبرار. جعلني الله أنا الحقير المسكين ممن يتمرغون في تراب وطئوه، وممن يسلك الصراط المستقيم الذي سلكوه. وإني لما تدبرت طويلاً حال الأنبياء والأوصياء وعباد الله المخلصين في القرآن وفي سير م، وجد م أصحاب غيرة وأنوف حمية، تأبى اختيار طاعة الطاغوت والخضوع له، بل وجد م يقتلون ويقطّعون ويصلبون بعز وكرامة دونما لحظة خضوع أو مداهنة أو ركون لظالم.

وجدت إبراهيم عليه السلام يحمل فأساً ويكسر الأصنام، ولا يبالي بما سيفعله به الطواغيت وعلماء السوء، حتى يلقى في النار.

ووجدت يحيى عليه السلام يصرخ بوجه هيرودس: إنك فاجر، حتى يقطع رأسه.

ووجدت الحسين عليه السلام يهتف بوجه يزيد (لعنه الله) إنك كافر، حتى قتل صحبه وبنو عمه وإخوته وبنوه، فما خضع وما ركن للظالم حتى قتل، ورفع رأسه على رمح، وسبيت نساؤه. فنصره الله لما نصر دين الله في أرضه.

ووجدت موسى بن جعفر عليه السلام يهتف بوجه طواغيت بني العباس المهدي والهادي والرشيد الضالين: إنكم كفرة، حتى نقلوه من سجن إلى سجن، ومن طامورة إلى طامورة، فما خضع وما استسلم حتى قتله الرشيد (لعنه الله) في السجن بالسم.

ووجدت موسى بن عمران عليه السلام يقارع فرعون (لعنه الله) وقواته المسلحة بأحدث أنواع الأسلحة في حينها، وليس معه إلاّ عصا شاء الله أن يجعلها آية من آياته.

ووجدت أمير المؤمنين عليه السلام تثخنه الجراح في أُحد، فلا يزداد إلاّ يقيناً وقوة في دين الله، تزيده قوة في بدنه، يجندل ا صناديد قريش.

ووجدت حبيب الله محمداً صلى الله عليه وآله بعد أن تثخنه الجراح، وتكسر رباعيته في وقعة أُحد، يعود ويكر على المشركين بجمع من أصحابه، معظمهم جرحى يتكئون على قوائم سيوفهم ورماحهم، فيرحم الله سبحانه حالهم ويلقي الرعب في صفوف المشركين فيولون مدبرين بعد أن قرروا استئصال النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فنصره الله دونما قتال.

ثم نظرت إلى حالنا اليوم فوجدت الطواغيت المتسلطين على هذه الأمة، لم يبقوا من الدين إلاّ اسمه، ومن القران إلاّ رسمه، ويا ليتهم تركوه على حاله، بل عمدوا إليه وأهانوه ونجسوه تقرباً

للشيطان الرجيم، وامتثالاً لأوامر السحرة والكهان (لعنهم الله وأخزاهم)، والمسلمون وعلماؤهم صامتون، كأنّ على رؤوسهم الطير، وكأنّ القرآن لا يعنيهم بشيء [(1)].

الويل لكم أيها الصامتون، هذا هو الكتاب الذي لا يمسه إلاّ المطهرون، هذا هو أحد الثقلين، فكيف خلفتم رسول الله فيه، كيف تسكتون على من ينجسه بدمه الخبيث، أخوفاً من الموت أو القتل؟! أذن لا تمتعون إلاّ قليلاً.

أم تقولون تقية، ويحيى بن زكريا عليه السلام قُتل وقطع رأسه من أجل أمر أقل من هذا بكثير، من أجل زنا بمحرم [(2)].

أنتم يا علماء الإسلام، يا من تدعون تمثيل الأنبياء، ماذا بقي بعد الاستخفاف بكتاب الله وتنجيسه؟! **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً** [(3)].

1- يشير عليه السلام إلى ما فعله الطاغية صدام حسين حاكم العراق لعنه الله وأخزاه، حيث إنّه نجس القرآن الكريم، وذلك حينما كتب القرآن بدّمه النجس القذر. فلم يدافع المسلمون عن حرمة قرآنهم، كما لم يدافع العلماء عن حرمة القرآن الكريم الذي جعله الله تعالى هادياً للأمة ويمثل هويتهم الإسلامية، فانسلخوا عن مسؤوليتهم خوفاً من شوكة الطاغية الملعون، سواء في ذلك علماء السنة أم علماء الشيعة، فلم يعترض أحد منهم على هذه الجناية العظيمة بحق القرآن، بل أصبحوا لا يرغبون فيمن يعترض على ذلك!! فلم يقف أحد يدافع عن القرآن إلاّ السيد أحمد الحسن عليه السلام .... وأنزل بياناً في ذلك، وكان بتاريخ:20 / جمادي الأول / 1425هـ . ق، مما جعل علماء السوء الذين يلهثون خلف الدنيا يبتعدون عنه أبعدهم الله عن رضوانه، بل طرده بعضهم كما ذكر عليه السلام ذلك في كتاب الجواب المنير الجزء الثاني في جواب السؤال الثالث والعشرين من قسم الأسئلة العقائدية.

2- روى ابن شهر آشوب في المناقب: عن مقاتل، عن زين العابدين عليه السلام، عن أبيه الحسين عليه السلام: **(إنّ امرأة ملك بني إسرائيل كبرت وأرادت أن تزوج بنتها للملك فاستشار الملك يحيى بن زكريا فنهاه عن ذلك، فعرفت المرأة ذلك وزينت بنتها وبعثتها إلى الملك فذهبت ولعبت بين يديه، فقال لها الملك: ما حاجتك؟ قالت: رأس يحيى بن زكريا، فقال الملك: يا بنية حاجة غير هذه، قالت: ما أريد غيره، وكان الملك إذا كذب فيهم عزل عن ملكه فخير بين ملكه وبين قتل يحيى فقتله، ثم بعث برأسه إليها في طشت من ذهب فأمرت الأرض فأخذتها، وسلط الله عليهم بخت نصر فجعل يرمي عليهم بالمجانيق ولا تعمل شيئاً، فخرجت عليه عجوز من المدينة فقالت: أيها الملك إنّ هذه مدينة الأنبياء لا تنفتح إلاّ بما أدلك عليه، قال: لك ما سألت، قالت: ارمها بالخبث والعذرة، ففعل فتقطعت فدخلها فقال: عليّ بالعجوز، فقال لها: ما حاجتك؟ قالت: في المدينة دم يغلي فاقتل عليه حتى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن، يا ولدي يا علي والله لا يسكن دمي حتى يبعث المهدي الله فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً)** مناقب آل أبي طالب: ج3 ص237.

3- النساء : 77 - 78.

قال عيسى (عليه السلام): (**إنكم علماء السوء الأجر تأخذون والعمل تضيعون. يوشك رب العمل أن يطلب عمله، وتوشكون أن تخرجوا من الدنيا العريضة إلى ظلمة القبر وضيقه**)[1].

لقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته، فكفروا به فسوف يعلمون. لقد شغلوا بدراسة المنطق والنحو وتدريسها عن دراسة كتاب الله وتدريسه، وشغلوا بتقديس المنطق عن كتاب الله وتقديسه: **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**[2].

بماذا ستعتذرون أمام الله عن خذلانكم لكتاب الله بالتقية؟! إذاً لو كنتم في كربلاء لوقفتم مع جيش عمر بن سعد (لعنه الله) وقتلتم الحسين (عليه السلام) واعتذرتم بالتقية، أو على الأقل لوقفتم جانباً واعتزلتم القتال، واعتذرتم بهذا العذر القبيح، نعم فقتلة الحسين كانوا يدعون أنهم شيعة وراسلوا الحسين (عليه السلام) وادعوا أنهم سينصرونه، فلما وجدوا أنّ نصرته ستفقدهم حياتهم المادية قتلوه ونصروا أولاد البغايا! وخذلوا ابن فاطمة (عليها السلام) من خستهم والخبث والجبن الذي انطوت عليه نفوسهم. وهكذا أنتم لو خذلتم كتاب الله اليوم، فحتماً ستخذلون غداً ابن الحسين (عليه السلام) الإمام المهدي (عليه السلام).

بسم الله الرحمن الرحيم **المر * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ**[3]. لا يؤمنون بالحق؛ لأنه مر. ولا يسلكون طريق الحق؛ لأنهم يستوحشون من السير فيه لقلة سالكيه، ويعجبهم الخبيث لكثرته، كأنهم لم يسمعوا قوله تعالى: **قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**[4].

بلى سمعوها ووعوها، ولكنهم كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (**حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها**)[5]. واجتمعوا على جيفة أفتضحوا بأكلها، ومن حلي في عينه شيء أعشى بصره وأعماه[6].

---

1 - بحار الأنوار: ج2 ص39، منية المريد: ص141، سنن الدارمي: ج1 ص103، الدر المنثور: ج2 ص29.

2- الفرقان :30.

3- الرعد : 1.

4- المائدة: 100.

5- نهج البلاغة بشرح محمد عبده : ج1 ص36.

6- قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (**أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله وأماتت**

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾[1].

بلى مثلهم كالمنافقين في صدر الإسلام، أوقدوا شعلة الإسلام مع الرسول صلى الله عليه وآله فلما أسلم الناس نافقوا هم وطلبوا الدنيا، فذهب الله بقشورهم الدينية التي غلفوا ا بواطنهم السوداء.

* * *

الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه، فهو عبد لها، ولمن في يده شيء منها، حيثما زالت زال إليها وحيثما أقبلت أقبل عليها. ولا يزدجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج1 ص 211.

1- البقرة : 17.

الانحراف
في الأمة الإسلامية عن الصراط المستقيم

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم **الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** [1].

الانحراف عن الصراط المستقيم وقع حتماً في الأمة الإسلامية، سواء في العقائد أو الأحكام الشرعية: **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** [2]، **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ** [3].

وقال رسول الله ﷺ: (**والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى لا تخطئون طريقهم ولا يخطئكم سنة بني إسرائيل**) [4].

والمستفاد من الروايات أنّ أول ما سيقوم به المهدي عليه السلام عند ظهوره وقيامه هو تعديل هذا الانحراف، وإعادة الأمة إلى جادة الصراط المستقيم، وإعادة الإسلام غضاً طرياً كما كان في عهد رسول الله ﷺ، بعد أن حرفه أئمة الضلال السامريون.

عن أبي بصير، قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: (**الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**. فقلت: اشرح لي هذا أصلحك الله. فقال عليه السلام: **يستأنف الداعي منّا دعاء جديداً كما دعا رسول الله ﷺ**) [5].

وعن الصادق عليه السلام، قال: (**يصنع** - أي القائم - **ما صنع رسول الله ﷺ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله ﷺ أمر الجاهلية، يستأنف الإسلام جديداً**) [6].

1- العنكبوت : 1 - 6.
2- الفتح : 23.
3- الانشقاق : 19.
4- تفسير العياشي: ج1 ص304، تفسير الصافي: ج2 ص26، بحار الأنوار: ج13 ص180.
5- تفسير العياشي: ج2 ص303، غيبة النعماني: ص337، بحار الأنوار: ج52 ص 366.
6- غيبة النعماني: ص236 باختلاف يسير جداً، بحار الأنوار: ج52 ص353.

وعن ابن عطاء، قال: (سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام فقلت: إذا قام القائم عليه السلام بأي سيرة يسير في الناس؟ فقال عليه السلام: **يهدم ما قبله كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، يستأنف الإسلام جديداً**) [1].

عن الباقر عليه السلام، قال: (**إذا قام قائمنا دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**) [2].

وربما يظن إنّ الانحراف طال السـنة فقط، باعتبارهم تركوا التمسك بآل النبي الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، مما أدى م في النتيجة إلى الانحراف سواء في العقائد أو الأحكام، ولكن الحقيقة إنّ الأحاديث الواردة عن أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم دالة على أنّ الانحراف يطال الجميع قبل قيام الإمام المهدي عليه السلام، كما أنّ الخلافات في العقائد وفي الأحكام الشرعية وفي طرق استنباط الأحكام الشرعية بين علماء المسلمين سواء بين السنة والشيعة، أو بين علماء كل فرقة أنفسهم دالة على ذلك.

ولهذا فمن الضروري أن نعرف الأمور التي وقع فيها خلاف بين علماء المسلمين ولو بشكل موجز، لكي لا نقع غداً عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام فريسة سهلة لأحد أئمة الضلال السامريين، فيصيرنا - بسبب جهلنا للحقائق - أعداءً للإمام المهدي عليه السلام ونحن نظن أننا على الصراط المستقيم وأننا نحسن صنعاً، ولهذا فسأحاول عرض بعض هذه الأمور وبشكل موجز، وربما مجمل في بعض الأحيان ومن الله التوفيق.

* * *

1- غيبة النعماني: ص238، بحار الأنوار: ج52 ص 354.

2- غيبة النعماني: ص336، بحار الأنوار: ج52 ص366.

أولاً: التحريف في القران الكريم

وردت روايات كثيرة عن أهل بيت النبي ﷺ دالة على التحريف، كما وردت روايات عن صحابة النبي ﷺ عن طريق السنة في كتبهم دالة على وقوع التحريف [1].

والمقصود بالتحريف: أنّ القرآن الذي بين أيدينا غير كامل، وإنّ بعض كلماته تبدلت أو بدلت بقصد. ورجح بعض علماء المسلمين وقوع التحريف كما رجح بعضهم عدم وقوع التحريف.

وَيستدل القائلون بعدم التحريف بعدّة أمور هي:

1- آية الحفظ: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** [2].

وهذه الآية يمكن أن تفسر بحفظ القرآن من التحريف، وبقائه عند الأمة سالماً من الزيادة والنقص والتغيير، ومن أن تمتد يد أهل الباطل وأئمة الضلال إليه.

2- قال تعالى: **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** [3].

وهذه الآية يمكن أن تفسر بأنّ القرآن محفوظ من ولوج الباطل بين طياته، سواء أكان هذا الباطل بتبدل بعض الكلمات أو بزيادة أو نقص بعض السور والآيات.

3- الروايات الدالة على التحريف يمكن حمل بعضها على أنها دالة على التحريف المعنوي، أي التحريف في التأويل لا التنـزيل، وهذا أمر واقع يقره جميع المسلمين.

4- إنّ بعض الروايات الدالة على التحريف ضعيفة السند.

5- الروايات التي لا تقبل التأويل والدالة على التحريف اللفظي أو النقص يضرب ا عرض الجدار؛ وذلك لأنها مخالفة للقرآن، وقد ورد عن المعصومين عليهم السلام ما معناه: ما جاءكم عنا مخالف لكتاب الله فدعوه [4].

1- راجع : مسند أحمد: ج1 ص47، 55، وج6 ص67، صحيح البخاري: ج8 ص113،26،25، صحيح مسلم: ج5 ص116، سنن ابن ماجة: ج2 ص853، سنن أبي داوود: ج2 ص343، عمدة القاري للعيني: ج24 ص247، البرهان للزركشي: ج2 ص36، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج2 ص69، سنن الدارمي: ج1 ص318، ومن مصادر الشيعة راجع : الكافي: ج2 ص634، مختصر البصائر: ص275 ،213، غيبة النعماني: ص333، دلائل الإمامة: ص 106، المسائل السروية : ص79، بحار الأنوار: ج23 ص200، وغيرها.

2- الحجر : 9.

3- فصّلت : 42.

4- روى أحمد بن خالد البرقي: عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **(كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)**، وعن كليب بن معاوية الأسدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **(ما أتاكم عنا من حديث لا يصدقه كتاب الله فهو باطل)**، وعن ابن أبي عمير، عن الهشامين جميعاً وغيرهما، قال: خطب النبي ﷺ فقال: **(أيّها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف القرآن فلم أقله)**، وعن أيوب، عن أبي عبد

6- القرآن ا موع في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي بين أيدينا؛ لأنّ من غير المعقول أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يهتم بكتابة وجمع القرآن في حياته.

ثم جاء بعده أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت ليجمعوه، وجاء بعدهم عثمان ليجمع الناس على مصحف واحد ويحرق أو يتلف البقية التي تختلف عنه بشكل أو بآخر، فيكون الذي بين أيدينا هو المصحف العثماني كما يروي العامة والخاصة.

7- القول بتحريف القرآن يلزم هدم إثبات نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) اليوم؛ لأنّ القرآن هو المعجز الذي جاء به النبي (صلى الله عليه وآله).

8- مع القول بالتحريف لا يبقى للقرآن الذي بين أيدينا فائدة، ولا يمكن التعويل عليه في العقائد، فضلاً عن الأحكام الشرعية وغيرها.

أمّا أدلة القائلين بالتحريف فهي:

1- الروايات الدالة على التحريف، وهي كثيرة جداً عن طريق الشيعة والسنة، وكمثال على ما روي عن طرق السنة، إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (**من سرّه أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**) [1].

وعلى هذا يكون ابن مسعود من خير الصحابة الذين حفظوا القرآن.

ثم إنهم يروون عن ابن مالك، قال: (أمر بالمصاحف أن تغير، قال: قال ابن مسعود: من استطاع منكم أن يغل مصحفه فليغله، فإنّ من غل شيئاً جاء به يوم القيامة، قال: ثم قال - أي ابن مسعـود -: قرأت من فم رسـول الله (صلى الله عليه وآله) سبعين سـورة، أفأترك ما أخذت من في رسـول الله (صلى الله عليه وآله)؟) [2]. وعندهم السند صحيح كما قال أحمد محمد شارح مسند أحمد.

ورواه أبو داود، وابن كثير في التفسير، وروى معناه ابن سعد في الطبقات [3].

الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (**إذا حدثتم عني بالحديث فأنحلوني أهنأه وأسهله و أرشده فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وان لم يوافق كتاب الله فلم أقله**) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج1 ص220.

1- مسند أحمد: ج1 ص7، سنن ابن ماجة: ج1 ص49، فضائل الصحابة: ص46 وفيه: رطباً بدل غضاً. المستدرك للحاكم: ج2 ص227، السنن الكبرى: ج1 ص452، مجمع الزوائد: ج9 ص287، وغيرها.

2- مسند أحمد: ج6 ص414، فتح الباري: ج9 ص44، تاريخ دمشق: ج33 ص138، سير أعلام النبلاء: ج1 ص486.

ومسألة تعريض ابن مسعود بالقراءة المعتمدة في جمع القران رويت حتى في صحيح البخاري: عن شقيق بن سلمة قال: (خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم، قال شقيق: فجلست في الحلق اسمع ما يقولون فما سمعت راداً يقول غير ذلك) صحيح البخاري: ج 6 ص 102 باب القرّاء ... .

3- مسند أبي داوود الطيالسي: ص54، تفسير ابن كثير: ج1 ص433، الطبقات الكبرى: ج2 ص342.

ومعنى الحديث واضح: إنّ ابن مسعود يرى أنّ القرآن الذي كتبه عثمان ناقص، أو حدث فيه بعض التغير على الأقل، فقوله: (أفأترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ)، دال على أنّ ما أخذه يختلف بشكل أو بآخر عما كتبه عثمان. وابن مسعود (رحمه الله) ظل مصراً على رأيه ورفضه لما كتبه عثمان حتى قتله عثمان عندما أحرق المصاحف وأحرق مصحفه، وجلده حتى مات بعدها.

والروايات التي وردت في كتب السنة الدالة على نقص القرآن كثيرة، وقد اختاروا اسم نسخ التلاوة للسور والآيات التي وردت عندهم بالروايات، ولم تكتب بالمصحف الموجود اليوم [1].

1- أخرج البخاري ومسلم بإسنادهما: عن ابن عباس، قال: خطب عمر بن الخطاب خطبته بعد مرجعه من آخر حجة حجها، قال فيها: إنّ الله بعث محمداً ﷺ بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل عليه الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده . فأخشى إن طال بالناس الزمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله. مسند أحمد: ج1 ص55، صحيح البخاري: ج8 ص25، صحيح مسلم: ج5 ص116، سنن ابن ماجة: ج2 ص853، سنن أبي داوود: ج2 ص343، وغيرها.

وأخرج الصنعاني في المصنف : عن ابن عباس، قال: أمر عمر بن الخطاب منادياً، فنادى: أن الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : يا أيها الناس لا تجزعن من آية الرجم فإنها آية نزلت في كتاب الله وقرأناها، ولكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد... المصنف: ج7 ص33، كنز العمال: ج5 ص431، الدر المنثور: ج5 ص179.

وروى البخاري : عن عمر قال: (لولا أن يقول الناس إن عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي) صحيح البخاري : ج8 ص113، عمدة القاري للعيني: ج24 ص247. وهذا يعني أنّ عمر يقول بنقص القرآن، لعدم وجود آية الرجم فيه، ولا يقال كلامه كان في نسخ التلاوة ؛ لأنه يريد أن يكتبها ولكن يخاف من قول الناس. ولذا قال الزركشي في كتابه البرهان أنّ ظاهر قوله: (لولا أن يقول الناس ....الخ، إنّ كتابتها جائزة، وإنما منعه قول الناس، والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه فإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة؛ لأنّ هذا شأن المكتوب) البرهان للزركشي: ج2 ص36، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج2 ص69. وروى أحمد والبخاري: عن عمر، قال : إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: (إن لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفربكم أن ترغبوا عن آبائكم. أو أن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم ..) مسند أحمد: ج1 ص47، صحيح البخاري: ج8 ص26.

وهذا معناه أنّ عمر يقول بنقص آيات القرآن التي أُنزلت على الحبيب محمد ﷺ.

وفي صحيح مسلم: ج3 ص100، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا: ... عن سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر، عن داود، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه، قال: (بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها، لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها، يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة).

صحيح مسلم: ج2 ص112، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر : عن زيد بن أسلم، عن القعقاع، بن حكيم، عن أبي يونس مولى عائشة، أنه قال: (أمرتني عائشة أن اكتب لها مصحفاً، وقالت : إذا بلغت هذه الآية فأذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، فلما بلغتها آذنتها فأملت عليّ : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين، قالت عائشة: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وفي صحيح ابن حبان: ج10 ص273، والمستدرك للحاكم النيسابوري: ج2 ص415 : (... عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال : كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة وكان فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفي صحيح ابن حبان: ج10 ص274، عن زر بن حبيش، قال: (لقيت أبي بن كعب فقلت له: إن بن مسعود كان يحك المعوذتين من المصاحف ويقول إنهما ليستا من القرآن فلا تجعلوا فيه ما ليس منه، قال: أبي قيل لرسول الله صلى الله عليه

أما الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فهي كثيرة، ولكنهم عليهم السلام أمرونا أن نقرأ كما يقرأ الناس، حتى يقوم القائم منهم صلوات الله عليه وعليهم [1].

وسئل الشيخ المفيد (رحمه الله) في المسائل السروية: ما قوله أدام الله تعالى حراسته في القرآن؟ أهو ما بين الدفتين الذي في أيدي الناس، أم هل ضاع مما أنزل الله تعالى على نبيه منه شيء أم لا؟ وهل هو ما جمعه أمير المؤمنين عليه السلام، أم ما جمعه عثمان على ما يذكره المخالفون؟

فأجاب: (لا شك إنّ الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله تعالى وتنـزيله، وليس فيه شيء من كلام البشر، وهو جمهور المنـزل، والباقي مما أنزله الله تعالى (قرآناً) [2] عند المستحفظ للشريعة، المستودع للأحكام - أي المهدي عليه السلام -، لم يضْيع منه شيء، وإن كان الذي جمع ما بين الدفتين الآن لم يجعله في جملة ما جمع، لأسباب دعته إلى ذلك، منها: قصوره عن معرفة بعضه. ومنها ما شك فيه. ومنها ما عمد بنفسه. ومنها ما تعمد إخراجه منه.

وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنـزل من أوله إلى أخره وألّفه بحسب ما وجب تأليفه، فقدم المكي على المدني، والمنسوخ على الناسخ، ووضع كل شيء منه في حقّه.

فلذلك قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (**أما والله لو قرئ القرآن كما أنزل ألفيتمونا فيه مسمين، كما سمي من كان قبلنا**) [3].

وسلم، فقال لنا: فنحن نقول كم تعدون سورة الأحزاب من آية؟ قال: قلت: ثلاثا وسبعين، قال أبي: والذي يحلف به إن كانت لتعدل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها آية الرجم الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم).

وفي مجمع الزوائد للهيثمي: ج7 ص28، سورة براءة: عن حذيفة قال: (التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب وما يقرؤون منها مما كنا نقرأ إلا ربعها) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

وفي المستدرك للحاكم النيسابوري: ج2 ص330 – 331، عن حذيفة رضي الله عنه، قال: (ما تقرؤن ربعها يعنى براءة وإنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب) هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وغير ذلك أحاديث كثيرة يضيق المقام عن استقصائها.

1- روى الصفار في بصائر الدرجات: عن سالم بن أبي سلمة، قال: قرأ رجل على أبى عبد الله عليه السلام وأنا اسمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: (**مه مه، كف عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام فقرأ كتاب الله على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي** عليه السلام ، وقال: **أخرجه علي** عليه السلام **إلى الناس حيث فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله كما أُنزل الله على محمد، وقد جمعته بين اللوحين، قالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، قال: أمّا والله لا ترونه بعد يومكم هذا أبداً إنما كان عليّ أن أخبركم به حين جمعته لتقرؤه**) بصائر الدرجات: ص213، مستدرك الوسائل: ج4 ص226، بحار الأنوار: ج89 ص88.

2- جاءت هذه الكلمة في بعض نسخ المسائل السرورية.

3- كذا جاء في المسائل السرورية: ص79، وفي بحار الأنوار: ج89 ص47، وفي تفسير العياشي: ج1 ص13، عن داود بن فرقد عمن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**لو قد قرء القرآن كما أُنزل لألفيتنا فيه مسمين** ـ ثم ذكر بعده حديثاً فقال: وقال سعيد بن الحسين الكندي عن أبي جعفر عليه السلام بعد مسمين: (**كما سمى من قبلنا**) وعنه : بحار الأنوار: ج89 ص55.

وقال عليه السلام: (**نزل القرآن أربعة أرباع، ربع فينا، وربع في عدونا، وربع قصص وأمثال، وربع قضايا وأحكام، ولنا أهل البيت فضائل القرآن**) [1].

وقال ا لمسي(رحمه الله): (غير أنّ الخبر قد صح عن أئمتنا عليهم السلام أ م أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وأن لا نتعداها بلا زيادة فيه ولا نقصان منه حتى يقوم القائم عليه السلام فيقرئ الناس القرآن على ما أنزله الله تعالى، وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام) [2].

2- قيام عثمان بإحراق المصاحف بعد أن اختار أحدها، مع وجود اختلاف بينها، بل وأحرق مصحف عبد الله بن مسعود وأنكر علية قراءته، وضربه حتى مات، مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال - على ما روي عنه -: (**من سرّه أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبـد**) [3].

3- اقتفاء سنن الماضين، فاليهود حرفوا التوراة، والمسيح حرفوا الإنجيل، قال تعالى: **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ** [4].

وقد ورد حديث اقتفاء سنن الماضين عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، والحديث صحيح مستفيض الرواية [5].

ومعنى اقتفاء سنن الماضين موجود في أرض الواقع، وشيء حاصل بين لكل من تصفح التاريخ ولو إجمالاً [6].

1- كذا في المسائل السرورية: ص79، وفي تفسير العياشي: ج1 ص9 : عن أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (**نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا، وربع في عدونا، وربع في فرايض وأحكام، وربع سنن وأمثال، ولنا كرائم القرآن**)، ورواه فرات ابن إبراهيم، عن الأصبغ بن نباته، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام بهذا اللفظ: (**القرآن أربعة أرباع، ربع فينا وربع في عدونا، وربع فرائض وأحكام، وربع حلال وحرام، ولنا كرائم القرآن**) تفسير فرات الكوفي: ص46، كما ورواه القاضي النعمان المغربي عن أمير المؤمنين عليه السلام بهذا اللفظ : (**نزل القرآن أرباعاً، ربعاً فينا، وربعاً في عدونا، وربعاً سيرة وأمثال، وربعاً فرائض وأحكام، لنا عزائم القرآن**) شرح الأخبار: ج3 ص11.

2- بحار الأنوار: ج89 ص74.

3- مسند أحمد: ج1 ص7، سنن ابن ماجة: ج1 ص49، فضائل الصحابة: ص46، وفيه: رطباً بدل غضاً. مستدرك الحاكم: ج2 ص227، السنن الكبرى: ج1 ص452، مجمع الزوائد: ج9 ص287، وغيرها.

4- الانشقاق : 19.

5- مسند أحمد: ج5 ص340، سنن الترمذي: ج3 ص321، مستدرك الحاكم: ج4 ص445، مجمع الزوائد :ج7 ص261، تحفة الأحوذي: ج6 ص339، وغيرها، وأمّا ما رواه الخاصة، فلاحظ: اليقين لابن طاووس: ص339،علل الشرايع: ج1 ص245، كمال الدين: ص481، الاحتجاج: ج1 ص151، غاية المرام: ج2 ص120و ج6 ص179، بحار الأنوار: ج22 ص387، وغيرها.

6- روى الشيخ الكليني: عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: **(لَتَرْكَبُنَّ طَبَقَاً عَن طَبَق)**، قال: **(يا زرارة، أو لم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان)** الكافي: ج1 ص415.

4- آية الحفظ متشا ة، تحتمل وجوه كثيرة من التفسير والتأويل، ومنها: إنّ القرآن محفوظ عند المعصوم (عليه السلام).

وهذا الوجه في التفسير تدل عليه الروايات عنهم (عليهم السلام) [(1)].

وكذلك الآية الأخرى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [(2)]، متشا ة تحتمل وجوه.

والعجيب أن يرجع بعضهم روايات صحيحة السند محكمة الدلالة وردت عن أهل بيت العصمة إلى آيات متشا ة، وهم يدعون فقه القرآن والسنة. فليت شعري المحكم يرجع إلى المتشابه أم المتشابه إلى المحكم؟!

5- لا سبيل لرد الروايات الصحيحة؛ لأنّ بعضها محكمة في دلالتها على التحريف والنقص، والآيات السابقة متشا ة والمتشابه يرجع إلى المحكم ليفهم معناه لا العكس، كما أنّ تغيير حرف أو كلمة في آية لا يعد، وما في القراءات السبعة من الاختلاف.

ومن هنا فإنّ قبول قراءة المعصوم أولى من قبول قراءة غيره، وعلى أقل تقدير فلتقبل قراءته كقراءة غيره، فلا وجه لحصر القراءات بسبعة مع أنه توجد قراءات مروية غيرها.

6- القرآن الذي بين أيدينا جمع في زمن أبي بكر وعمر، والدال عليه الروايات عن طريق السنة والشيعة، بل إنّ هذه الحادثة متواترة في التاريخ وكانت هناك عدة مصاحف أحرقها عثمان وجمع الناس على مصحف واحد [(3)].

1- روى الكليني والصفار: عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قرأ هذه الآية: **(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)**، ثم قال: **(يا أبا محمد، والله ما قال بين دفتي المصحف**، قلت: من هم جعلت فداك؟ قال : **من عسى أن يكونوا غيرنا؟)** الكافي: ج1ص214، بصائر الدرجات: ص225، وسائل الشيعة طبعة آل البيت (عليهم السلام): ج27 ص180، بحار الأنوار: ج 23 ص201. وعن جابر، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: **(ما من أحد من الناس يقول إنّه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلاّ كذّاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلاّ علي بن أبي طالب و الأئمة من بعده)** بصائر الدرجات: ص213، عنه بحار الأنوار: ج89 ص88.

2- فصلت : 42.

3- ذكر السيوطي في كتاب الإتقان في علوم القرآن: عن الدير عاقولي في فوائده، حدثنا إبراهيم بن يسار، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عبيد، عن زيد بن ثابت، قال: قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء. قال الخطابي : إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر. ج1ص160.

وفيه أيضاً : عن ابن أشتة في المصاحف عن الليث بن سعد قال : أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد - وكان الناس يأتون زيد بن ثابت - فكان لا يكتب آية الا بشاهدي عدل، وان آخر سورة براءة لم يوجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت، فقال:

أما القرآن الذي جمعه النبي صلى الله عليه وآله فهو عند علي عليه السلام، وقد عرضه على القوم ولم يقبلوه وهو عند الإمام الثاني عشر عليه السلام اليوم، والدال عليه روايات كثيرة وردت عن أهل البيت عليهم السلام.

عن سالم بن سلمة، قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا استمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: (**كف عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عز وجل على حدّه، وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام**). وقال: (**أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، وقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد وقد جمعته من اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القران لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله لا ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان عليَ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه**) [1]. وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله قبل وفاته أعطى القراطيس التي كتب فيها القرآن لعلي عليه السلام، وأمر بجمعه وحفظه.

أما الإدعاء بأنّ القرآن الذي بين أيدينا جمع في زمن النبي صلى الله عليه وآله فهي دعوى جزافية لا دليل عليها، بل مردودة بما قدمت.

7- إنّ إثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وآله بأخلاقه وأمانته وصدقه وسيرته قبل بعثته ومعجزات كثيرة القرآن أحدها. وقد نقل الكثير منها بشكل متواتر من جيل إلى جيل، وفي كتب التاريخ.

ومنها ما كان في ليلة ميلاده كانشقاق إيوان كسرى، وهدم أربعة عشر شرفة من شرفاته، وخمود نيران فـارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغور بحيرة ساوة، وفيض وادي السمـاوة،

اكتبوها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب. وان عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده. ج1ص163.

وروى البخاري: عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه، قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، واني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عمر : هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد : قال أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبى بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه. صحيح البخاري: ج6 ص98، وراجع : فتح الباري لابن حجر: ج9 ص13 باب جمع القرآن، البيان في تفسير القرآن للخوئي، القرآن في الإسلام وتفسير الميزان : ج12 للطباطبائي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه لمير محمدي زرندي، تدوين القرآن للكوراني، وغيرها.

1- بصائر الدرجات: ص213، مستدرك الوسائل: ج4 ص226، بحار الأنوار: ج89 ص88، أصول الكافي: ج2 ص633.

و افت النجوم على الشياطين بالرجوم، ومنعها من السمع [1].

ومنها: المقرونة بدعوى النبوة والتحدي، كانشقاق القمر، وانشقاق الشجر، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى بيده، ونبع الماء من أنامله، ونطق الجمادات والحيوانات لأجله، وتسليم الغزال عليه، ونطق اللحم المسموم بين يديه، وكلام ذئب الفلاة لأجله، ودر شاة أم معبد، وبرق الصخرة يوم الخندق، وأكل الخلق الكثير من الطعام القليل [2].

كما أنّ القرآن الذي بين أيدينا عند القائلين بالتحريف هو قرآن من عند الله ولكنه ليس جميعه، و ذا يبقى على إعجازه، ويعتمد عليه في العقائد والأحكام وغيرها، مع أنّ إعجاز القرآن مختلف فيه أصلاً كونه البلاغة أو الأسلوب أم الحكم والمواعظ أو الأخبار بالمغيبات أو سلامته من التناقض أو التشريع العادل؟

وربما يقال: جميع هذه الأمور هي إعجاز القرآن. وربما قيل: إنّ إعجازه نفسي باطني.

1- روى الشيخ الصدوق في الأمالي: عن أبي عبد الله الصادق (ع)، قال: (كان إبليس (لعنه الله) يخترق السماوات السبع، فلما ولد عيسى (ع) حجب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلما ولد رسول الله (ص) حجب عن السبع كلها، ورميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أمية، وكان من أزجر أهل الجاهلية : انظروا هذه النجوم التي يهتدى بها، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كل شيء، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث. وأصبحت الأصنام كلها صبيحة مولد النبي (ص) ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأي المؤبذان في تلك الليلة في المنام إبلا صعابا تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب، وسموا آل الله عز وجل). قال أبو عبد الله الصادق (ع): (إنما سموا آل الله عز وجل لأنهم في بيت الله الحرام . وقالت آمنة : إن ابني والله سقط فاتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضاء له كل شئ، وسمعت في الضوء قائلا يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً، وأتي به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه، فأخذ فوضعه في حجره، ثم قال:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان

ثم عوذه بأركان الكعبة، وقال فيه أشعارا . قال: وصاح إبليس (لعنه الله) في أبالسته، فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الذي أفزعك يا سيدنا؟ فقال لهم: ويلكم، لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه، فقالوا: ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس: أنا لهذا الامر . ثم انغمس في الدنيا، فجالها حتى انتهى إلى الحرم، فوجد الحرم محفوفاً بالملائكة فذهب ليدخل، فصاحوا به فرجع، ثم صار مثل الصر - وهو العصفور - فدخل من قبل حراء، فقال له جبرئيل: وراءك لعنك الله. فقال له : حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له: ولد محمد (ص). فقال له: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا. قال: ففي أمته؟ قال : نعم . قال : رضيت) أمالي الشيخ الصدوق : ص 360.

2- راجع الكافي للحلبي: ص76، الاقتصاد للشيخ الطوسي: ص179، بحار الأنوار: ج17 ص363 باب معجزات النبي(ص)، صحيح البخاري: ج4 ص186.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً﴾[1]، ويؤيده طمأنينة نفس المؤمن عند قراءته، ويؤيده أنه شفاء للصدور، ويؤيده إنّ بعض آياته إذا قرأت لها تأثير على الموجودات الملكوتية واللطيفة كالجن، بل المادية كجسم الإنسان.

ورد عن المعصومين (عليهم السلام) ما معناه: (**إنّ الفاتحة إذا قرأت سبعين مرّة على ميت فلا تتعجبوا إذا قام حياً**)[2]، ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾.

وربما لن يظهر هذا الإعجاز بشكل واضح للجميع إلاّ في زمن ظهور القائم (عليه السلام)؛ حيث ورد أنّ أصحابه يسيرون على الماء[3]، بل لو تدبرنا التحدي في القرآن لوجدناه شاملاً للجميع لأهل العربية وغيرهم، وللإنس والجن: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[4]. فلو كان الإعجاز في تركيب الألفاظ أي بالبلاغة أو الأسلوب أو غيرها، لكان التحدي لغير أهل العربية لا معنى له مع أنّ الآية تشملهم، فإذا كان الأمر كذلك أي إن إعجاز القران باطني نفسي كان بقاء آية واحدة من القرآن كافياً لبقاء إعجازه، بل جزء من آية كاف، مثل: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[5]، أو ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، بل الباء في البسملة كافية لإثبات إعجازه.

روي أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) تكلم في أسرار الباء في البسملة ليلة كاملة[6].

وقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ

1- الرعد : 31.

2- روى الشيخ الكليني: عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (**لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجباً**) الكافي: ج2 ص623، الدعوات لقطب الدين الراوندي: ص188.

3- روى الشيخ النعماني في الغيبة: عن عبد الله بن حماد الأنصاري، عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليه السلام)، قال: (**إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها، قال: ويبعث جنداً إلى القسطنطينية، فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء، فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء، فكيف هو؟! فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها فيحكمون فيها ما يريدون**) كتاب الغيبة للنعماني: ص334، بحار الأنوار: ج52 ص365، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب: ج2 ص251، مكيال المكارم: ج1 ص130.

4- الإسراء : 88.

5- البقرة : 255.

6- ذكر في الصراط المستقيم: قال ابن شهر آشوب: سمعت مذاكرة أنه (عليه السلام) تكلم لابن عباس في الباء من بسم الله إلى قرب الفجر وقال: (**لو زادنا الليل لزدنا**) الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج1 ص219.

مِنَ الدمْعِ مِما عَرَفُوا مِنَ الْحَق يَقُولُونَ رَبنَا آمنا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشاهِدِينَ[(1)].

فلا تتوهم أنّ سبب إيمان هؤلاء العلماء الربانيين القسيسين والرهبان هو: البلاغة أو الأسلوب، بل الحقائق التي وراء تلك الألفاظ، والتي جعلت أعينهم تفيض من الدمع. وهؤلاء وأمثالهم هم الحجة في كشف إعجاز القرآن لبني آدم، لا من أقتصر علمه على القشور والألفاظ فقط.

قال تعالى: **وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلا الْأَمْوَاتُ إِن اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**[(2)].

فمن كشف معجزة موسى عليه السلام لبني آدم؟! إنهم السحرة عندما عرفوا أ ا ليست بوهم، بل حقيقة من رب العالمين فلم يستكبروا وخروا ساجدين.

والخلاصة: إنّ القول بالتحريف لا يعدو القول بالنقصان أو بتغيير بعض الكلمات اعتماداً على الروايات التي وردت عن المعصومين عليهم السلام وعن بعض الصحابة. وكلاهما - أي النقصان وتغير بعض الكلمات - لا يقدح بكون الذي بين أيدينا قرآناً، حيث إنّ القول بالنقصان يعني أن الذي بين أيدينا بعض القرآن، فلا إشكال في أنه من الله سبحانه.

أما القول بتغير بعض الكلمات مثل : (أمة بـ أئمة)، و (اجعلنا بـ اجعل لنا)، و (طلح بـ طلع)، فهو شبيه بالقول بالقراءات السبعة أو العشر التي لاقت القبول من جميع المسلمين اليوم، وهم لا يخطّئون من يقرأ بأي منها مع اختلاف بعض الكلمات من قراءة إلى أخرى، سواء باللفظ أو بالمعنى.

هذا والحمد لله الذي رزقنا ذكره ومن علينا بكتابه الكريم وقرآنه العظيم، والحمد لله وحده.

* * *

1- المائدة : 82 - 83.

2- فاطر : 22.

ثانياً: التشريع بدليل العقل

بعد وفاة النبي ﷺ كان على المسلمين الرجوع إلى أوصيائه ﷺ؛ لمعرفة الأحكام الشرعية المشتبهة عليهم أو التي تستجد مع مرور الزمن، ولكن بما أنّ جماعة من المسلمين انحرفوا عن الأوصياء ﷺ، وتركوا الأخذ عنهم - وهم أهل السنة - فقد أدى مرور الزمن م إلى تأليف قواعد عقلية مستندة إلى القواعد المنطقية، اعتمدوا عليها في إصدار بعض الأحكام الشرعية، وسموها بـ (أصول الفقه)، وأعرض بعض علمائهم عنها والتزم بالقرآن وما صح عندهم أنه صدر عن النبي ﷺ.

أما الشيعة فكانوا دائماً يرجعون إلى الإمام المعصوم عليه السلام بعد النبي ﷺ، ولما وقعت الغيبة الصغرى كانوا يرجعون إلى سفير الإمام عليه السلام، فلما وقعت الغيبة التامة كانوا يرجعون إلى الفقهاء الذين كانوا يروون عن المعصومين ﷺ، ومع مرور الزمن رجع بعض علماء الشيعة إلى القواعد العقلية التي بدأ بكتابتها علماء السنة. وقيل: إنّ أول من كتب في القواعد العقلية من الشيعة هو العلامة الحلي (رحمه الله)، حيث قام باختصار أحد كتب السنة في أصول الفقه.

وقع بعد ذلك خلاف كبير بين علماء الشيعة حول التوقف عند محكمات القرآن والروايات الواردة عن المعصومين ﷺ في تحصيل الحكم الشرعي أو تجاوز الأمر إلى دليل العقل، وزاد آخرون الإجماع. وكل استدل على صحة طريقه بأدلة هي:

1- الأدلة على أنّ دليل العقل من أدلة التشريع:

وإنه لا يجب التوقف عند محكمات الكتاب والروايات، ومنها:

أ- إنّ المشرع سبحانه من جملة العقلاء - حسب ما قاله بعض الأصوليين - فما اتفق عليه العقلاء أقره المشرع سبحانه [1].

1- قال الشيخ المظفر في كتابه أصول الفقه: إن تطابق آراء العقلاء بما هم عقلاء في القضايا المشهورة العملية التي نسميها (الآراء المحمودة) والتي تتعلق بحفظ النظام والنوع يستكشف به الحكم الشرعي؛ لأنّ الشارع من العقلاء ـ بل رئيسهم وهو خالق العقل ـ فلابد أن يحكم بحكمهم. أصول الفقه: ج3 ص104. وقد ناقش الشهيد محمد باقر الصدر في هذه المقولة في بحث كشف السيرة العقلائية عن الإمضاء، فقال: وعلى هذا يعرف إنّ كشف السيرة العقلائية عن إمضاء الشارع، إنما هو بملاك دلالة السكوت عنها على الإمضاء لا بملاك إن الشارع سيد العقلاء وطليعتهم، فما يصدق عليهم يصدق عليه كما يظهر من بعض الأصوليين، وذلك لانّ كونه كذلك بنفسه يوجب احتمال تميزه عنهم في بعض المواقف، وتخطئته لهم في غير ما يرجع إلى المدركات السليمة الفطرية لعقولهم كما واضح . دروس في علم الأصول: ج1 ص235. فنفس افتراض الشارع سيد العقلاء يوجب عدم تطابقه معهم ؛لاحتمال اختلافه عنهم.

ب- إنّ الشريعة موافقة للعقل، فكل ما حسنه العقل حثت عليه الشريعة، وكل ما قبحه العقل نهت عنه الشريعة [1].

ج- إنّ التوقف عن الفتوى عند الشبهات يلزم العسر؛ لأنّ العمل بالاحتياط قد يكون فيه عسر على المكلفين، كصلاة القصر والتمام أو صيام اليوم وقضاءه.

د- إنّ التوقف عن الفتوى عند عدم وجود رواية أو آية محكمة، يلزم جمود الشريعة وعدم مواكبتها للتطور. والمستحدثات أصبحت كثيرة خصوصاً في المعاملات، كأطفال الأنابيب والتلقيح الصناعي، والمعاملات المصرفية والمالية المتنوعة وتقنية الاستنساخ البشري والحيواني وغيرها.

2- الأدلة على وجوب التوقف عند الروايات والآيات المحكمة:

والتوقف عن الفتوى عند الشبهات والمستحدثات التي لا يوجد دليل نقلي عليها والعمل فيها بالاحتياط، ومنها:

أ- إنّ العقل حجة باطنة، وهذا ورد في الروايات عنهم عليهم السلام [2]، فبالعقل يستدل على وجود الخالق، ثم بالعقل تعارض الروايات وتعرف دلالة كل منها، وبالعقل تفهم الآيات ويعرف المتشابه والمحكم. وهذا لا اعتراض عليه، إنما الاعتراض على وضع قاعدة عقلية غير مروية يستـنبط بواسطتها حكم شرعي [3].

1- وقع خلاف في مسألة الحسن والقبح، فقال الأشاعرة: بأنّ الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع، فأنكروا التقبيح والتحسين العقليين، في حين أنّ المعتزلة والإمامية أثبتوا التحسين والتقبيح العقليين، وقالوا: بأنّ للأشياء قبح وحسن في ذاتها بغض النظر عن الشرع، فكل ما حسنه العقل حثت عليه الشريعة، وكل ما قبحه العقل نهت عنه الشريعة. وأنكر الأخباريون من الشيعة التلازم بين حكم العقل وحكم الشرع. لاحظ :خلاصة علم الكلام للفضلي : ص146، محاضرات في الإلهيات للسبحاني: ص155، وسيأتي منه عليه السلام الجواب على هذه القاعدة في النقطة (ج).

2- روى الشيخ الكليني: عن الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته لهشام بن الحكم ، قال: (**يا هشام إنّ لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة** عليهم السلام**، وأمّا الباطنة فالعقول**) الكافي: ج1 ص16.

3- من بين الدروس في الحوزات العلمية الشيعية اليوم هو درس أصول الفقه، أو ما يسمى بعلم الأصول، وهو علم موروث من أهل السنة؛ لأنهم احتاجوا إليه بسبب ابتعادهم عن أهل البيت عليهم السلام فاحتاجوا لمعرفة أحكام الشرع لهذه القواعد التي هي من نتاج الفكر البشري القاصر عن الوصول إلى علل التشريع و حِكمه، فجعلوا هذه القواعد واسطة توصلهم للحكم الشرعي. ومن ثم انتقل هذا العلم إلى الشيعة لكن بحذف بعض مباحثه كالقياس الذي عُرف به أبي حنيفة، ومن المباحث المهمة التي يبحثوها في علم الأصول هي مباحث الدليل العقلي، وعرفوا الدليل العقلي بأنّه الحكم العقلي المتوصل به إلى حكم الشرع، ويحتوي الدليل العقلي على جملة قواعد اجتهادية عقلية غير مروية عن الأمناء على شرع الله سبحانه وتعالى، وهم محمد صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السلام، بل من المؤسف جدّاً أنّهم يقدّمون هذه القواعد العقلية على النصوص الشرعية في أكثر الأحيان، ويردّوا الروايات؛ لأنّها مخالفة للقاعدة الأصولية العقلية!! فأصبحت هذه القواعد العقلية هي الميزان في تقييم كلمات الهادين عليهم السلام، وهذا يضاف إلى ظلامتهم عليهم السلام. ثم إنه حصل خلاف بين المدرسة الأخبارية والمدرسة الأصولية، فالأولى لا تسوغ العمل بالدليل العقلي والثانية تسوغ العمل به وتعتبر دراسته ضرورة لمن أراد الوصول لمعرفة أحكام

فهذه هي عبادة العباد للعباد [1]، وهكذا نعود إلى الحام والبحيرة والسائبة [2]، وعدنا إلى تحريم علماء اليهود بأهوائهم وتخرصا م العقلية وتحليلهم المحرمات، وهكذا نقر للطواغيت تشريعا م الوضعية الباطلة.

ب- اتفاق العقلاء المدعى غير موجود [3]، ثم إنّ بعض القواعد العقلية لم يتحرر النـزاع فيها في الأصول بين الأصوليين أنفسهم، فكيف يعتمد عليها في استنباط الأحكام الشرعية [1]. هذا فضلاً عن إنّ اعتبار المشرع سبحانه من جملة العقلاء غير صحيح [2].

الشريعة. وقد صرح الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله في مقدمة رسالته المعروفة بالفتاوى الواضحة بعدم الحاجة إلى الدليل العقلي مع إيمانه به، وذلك لأنّ نصوص الشريعة كافية في إثبات الأحكام الشرعية، فقال: (اختلف المجتهدون والمحدثون في أنه هل يسوغ العمل به أو لا فنحن وان كنا نؤمن بأنه يسوغ العمل به ولكنا لم نجد حكما واحدا يتوقف اثباته على الدليل العقلي بهذا المعنى بل كل ما يثبت بالدليل العقلي فهو ثابت في نفس الوقت بكتاب أو سنة) الفتاوى الواضحة : ص 15.

1- قال تعالى: (**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) التوبة : 31.

روى الشيخ الكليني: عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل: (**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّه**)، فقال : (**أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون**) .

وروى أيضاً: عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله (ع) قال: (**من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده**) الكافي: ج2 ص 398.

2- قال تعالى: (**مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**) المائدة: 103.

روى الصدوق في معاني الأخبار: عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عزّ وجل: (**مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ**)، قال: (**إنّ أهل الجاهلية كانوا إذا ولدت الناقة ولدين في بطن واحد قالوا: وصلت، فلا يستحلون ذبحها ولا أكلها، وإذا ولدت عشرا جعلوها سائبة ولا يستحلون ظهرها ولا أكلها، و "الحام" فحل الإبل لم يكونوا يستحلونه، فأنزل الله عز وجل أنه لم يكن يحرم شيئا من ذلك**).

قال الصدوق: (وقد روي أن البحيرة الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكرا نحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها أي شقوه وكانت حراماً على النساء والرجال لحمها ولبنها، وإذا ماتت حلت للنساء، والسائبة البعير يسيب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله عز وجل من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك، والوصيلة من الغنم كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن فإن كان السابع ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكرا وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلم تذبح وكان لحومها حراما على النساء إلا أن يكون يموت منها شيء فيحل أكلها للرجال والنساء، والحام الفحل إذا ركب ولد ولده قالوا : قد حمى ظهره. وقد يروى أنّ الحام هو من الإبل إذا أنتج عشرة أبطن، قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء) معاني الأخبار: ص148.

3- بدليل اختلافهم في القاعدة الأولية الأساسية في حالة الشك، فقد ذهب مشهور الاصوليين بأنّ القاعدة الأولية هي قبح العقاب بلا بيان، وعليه فيكون المكلف غير مسؤولاً عن التكاليف التي لم يقم عليها البيان، وعليه فالظن أو الشك أو الاحتمال بالتكليف لا يوجب الاحتياط فيه، بينما يعتقد الشهيد محمد باقر الصدر بأنّ القاعدة الأولية هي حق الطاعة، بمعنى إنّ للمولى حق الطاعة في التكاليف المحتملة والمشكوكة، فالظن أو الشك أو الأحتمال للتكليف يوجب امتثال التكليف، وهذا هو الاحتياط العقلي. نعم إن رخص الشرع في ترك الاحتياط فيقدم الترخيص الشرعي على القاعدة. فلاحظ عبارة الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله في بيان ما تقدم، قال: (والذي ندركه بعقولنا أن مولانا سبحانه وتعالى له حق الطاعة في كل ما ينكشف لنا من تكاليفه بالقطع أو بالظن أو بالاحتمال ما لم يرخص هو نفسه في عدم التحفظ) دروس في علم الأصول: ج1 ص 156.

ج- إنّ بعض الأشياء التي نهى عنها الشارع قبحها بين، فالعقل يحكم بقبحها، ولكن هناك كثير من الأشياء غير بينة القُبح والحُسن في الظاهر، فلابد من الاطلاع على حقائق الأشياء لمعرفة الحَسِن من القبيح. ولا يعرف حقائق الأشياء إلاّ خالقها أو من شاء الله اطلاعه عليها، ثم لعل بعض الأشياء نعتقد نحن بقبحها لعدم اطلاعنا على حقائقها وبواطنها، واكتفائنا بمنافاة ظاهرها لطباعنا وأحوالنا وتقاليدنا الاجتماعية التي عادة يعتبرها الناس نواميس إلهية يحرم خرقها. قال تعالى: **﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾**(3)، وقال تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبوا شَيْئاً وَهُوَ شَر لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾**(4).

وبعض الأشياء فيها حسن وقبح وملائمة ومنافاة ولكن أحدهما أرجح من الآخر، قال تعالى:

وقال: (والصحيح في رأينا هو أن الأصل في كل تكليف محتمل هو الاحتياط نتيجة لشمول حق الطاعة للتكاليف المحتملة، فإن العقل يدرك أن للمولى على الإنسان حق الطاعة لا في التكاليف المعلومة فحس، بل في التكاليف المحتملة أيضا، ما لم يثبت بدليل أن المولى لا يهتم بالتكليف المحتمل إلى الدرجة التي تدعو إلى إلزام المكلف بالاحتياط . وهذا يعني أن الأصل بصورة مبدئية كلما احتملنا حرمة أو وجوبا هو أن نحتاط، فنترك ما نحتمل حرمته ونفعل ما نحتمل وجوبه،.... ويخالف في ذلك كثير من الأصوليين إيمانا منهم بأن الأصل في المكلف أن لا يكون مسؤولاً عن التكاليف المشكوكة، ولو احتمل أهميتها بدرجة كبيرة، ويرى هؤلاء الأعلام أن العقل هو الذي يحكم بنفي المسؤولية؛ لأنه يدرك قبح العقاب من المولى على مخالفة المكلف للتكليف الذي لم يصل إليه، ولأجل هذا يطلقون على الأصل من وجهة نظرهم اسم (قاعدة قبح العقاب بلا بيان) أو (البراءة العقلية) أي إن العقل يحكم بأن عقاب المولى للمكلف على مخالفة التكليف المشكوك قبيح، وما دام المكلف مأمونا من العقاب فهو غير مسؤول ولا يجب عليه الاحتياط. ويستشهد لذلك بما استقرت عليه سيرة العقلاء من عدم إدانة الموالي للمكلفين في حالات الشك وعدم قيام الدليل ، فإن هذا يدل على قبح العقاب بلا بيان في نظر العقلاء .... ، وأمّا ما استشهد به من سيرة العقلاء فلا دلالة له في المقام لأنه إنما يثبت أن حق الطاعة في الموالي العرفيين يختص بالتكاليف المعلومة ، وهذا لا يستلزم أن يكون حق الطاعة لله تعالى كذلك أيضاً؛ إذ أي محذور في التفكيك بين الحقين والالتزام بأن أحدهما أوسع من الآخر. فالقاعدة الأولية إذن هي أصالة الاحتياط) دروس في علم الأصول: ج1 ص 117.

1- وهذه حقيقة واضحة وجلية لمن تتبع أرائهم في بحوثهم العقلية، وعلى سبيل المثال اختلافهم في مسألة الشرط المتأخر، فقد اختلفوا فيه اختلافاً كثيراً جداً كما يقول الشيخ محمد رضا المظفر، وإليك نص عبارته، قال: (وإنما وقع الشك في الشرط المتأخر، أي أنه هل يمكن أن يكون الشرط الشرعي متأخرا في وجوده زمانا عن المشروط أو لا يمكن؟ ومن قال بعدم إمكانه قاس الشرط الشرعي على الشرط العقلي، فإن المقدمة العقلية يستحيل فيها أن تكون متأخرة عن ذي المقدمة؛ لأنه لا يوجد الشيء إلاّ بعد فرض وجود علته التامة المشتملة على كل ما له دخل في وجوده، لاستحالة وجود المعلول بدون علته التامة، وإذا وجد الشيء فقد انتهى، فأية حاجة له تبقى إلى ما سيوجد بعد. ومنشأ هذا الشك والبحث : ورود بعض الشروط الشرعية التي ظاهرها تأخرها في الوجود عن المشروط، وذلك مثل الغسل الليلي للمستحاضة الكبرى الذي هو شرط - عند بعضهم - لصوم النهار السابق على الليل. ومن هذا الباب إجازة بيع الفضولي بناء على أنها كاشفة عن صحة البيع، لا ناقلة. ولأجل ما ذكرنا من استحالة الشرط المتأخر في العقليات اختلف العلماء في الشرط الشرعي اختلافا كثيراً جداً. فبعضهم ذهب إلى إمكان الشرط المتأخر في الشرعيات، وبعضهم ذهب إلى استحالته قياساً على الشرط العقلي كما ذكرنا آنفاً. والذاهبون إلى الاستحالة أولوا ما ورد في الشريعة بتأويلات كثيرة يطول شرحها) أصول الفقه: ج2 ص334.

2- سيبطل (عليه السلام) هذا القول عند تعرضه للبحث الآتي، فانتظر.

3- النساء : 19.

4- البقرة : 216.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1]، فنحن وإن قلنا بأنّ الحسن والقبح مفهومان عقليان، ولكن تطبيق هذين المفهومين على الموجودات في الخارج - أي المصاديق - أمرٌ متعسر؛ لأنّ بعض الموجودات متشا ة.

د- إنّ في الشبهات حكمة إلهية، فالذي نزل القرآن قادر على أن يجعل جميع آياته محكمة - أي بينة المعنى -، ولكنه سبحانه جعل فيه آيات متشا ات - أي مشتبهة على جاهلها وتحتمل أكثر من وجه في التفسير والتأويل – لحكمة، ولعلها- والله العالم - بيان الحاجة إلى المعصوم (ع) الذي يعلم تفسير وتأويل المتشابه.

فعن رسول الله (ص) ما معناه: (**أمر بيّن رشده فيتبع، وأمر بيّن غيه فيجتنب، ومتشابهات** بين **ذلك يرد حكمها** إلى **الله وإلى الراسخين** في **العلم العالمين بتأويله**)[2].

إذن، ففي الشبهات إشارة إلى حاجة الأمة إلى الراسخين في العلم وهم الأئمة (ع) بعد النبي (ص)، وفي زماننا صاحب الأمر (ع)، ولعل الذي يفتي في الشبهات يلغي هذه الإشارة، بل لعله يشير إلى الاستغناء عن المعصوم عندما يفتي فلا حاجة لنا بك، فقد أصبحنا بفضل القواعد العقلية نفتي في كل مسألة وما عدنا نتوقف وما عاد لدينا شبهات، ومع أننا فقدناك فإننا اليوم لا نواجه عسراً في تحصيل الحكم الشرعي!!

هـ- ربما يكون الفساد الذي يحصل من فتوى غير صحيحة مستندة إلى دليل العقل أكبر بكثير مما نعتقده جمود في الشريعة عند الاحتياط والتوقف عن الفتوى. ثم إنّ الدين لله فمتى أصبح هناك عسر في الدين والشريعة، فإنه سبحانه سيفرج هذا العسر حتماً وفق حكمته وعلمه بما يصلح

1- البقرة: 219.

2- عن أبي عبد الله الصادق (ع)، عن آبائه (ع)، قال: قال رسول الله (ص): (... **الأمور ثلاثة: أمر تبين لك رشده فاتبعه، وأمر تبين لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فرده إلى الله عز وجل**) الأمالي للصدوق: ص381 – 382، الخصال للصدوق: ص153.

وعن أبي عبد الله (ع) قال: قال رسول الله (ص): (**حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم**) الكافي: ج1 ص68.

وعن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله (ص)، يقول: (**حلال بين، وحرام بين، وبينهما شبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا إن لكل ملك حمى، وإن حمى الله تعالى محارمه**) مستدرك الوسائل: ج17 ص323.

وعن رسول الله (ص): (**حلال بين، وحرام بين، وشبهات تتردد بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات، وهلك من حيث لا يعلم** ...) مستدرك الوسائل: ج17 ص321 - 322.

وعن موسى بن جعفر، عن أبيه (ع)، قال: قال رسول الله (ص)، عند عد شروط الاسلام وعهوده: (**والوقوف عند الشبهة، والرد إلى الامام فإنه لا شبهة عنده**) مستدرك الوسائل: ج17 ص322.

البلاد والعباد. ثم إنه سبحانه وتعالى لم يكلفنا أمر التشريع، فما الذي يدفعنا للتصدي لهذا الأمر الخطير المحصور به سبحانه؟ ولم يتصد له الأنبياء والمرسلون والأئمة (عليهم السلام) مع تمام عقولهم، وانكشاف كثير من الحقائق لهم.

بل لعله عندما يفتي في أي مسألة وإن لم يكن عليها دليل نقلي يقول بلسان الحال للإمام المهدي (عليه السلام): ارجع يا ابن فاطمة فلا حاجة لنا بك!!

و- الروايات الدالة على وجوب التوقّف عند الأدلة النقلية:

ومنها : قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (**واعلموا عباد الله إنّ المؤمن يستحل العام ما استحل عاماً أوّل، ويحرّم العام ما حرّم عاماً أوّل، وإنّ ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئاً مما حرّم عليكم، ولكن الحلال ما أحل الله والحرام ما حرّم الله. فقد جربتم الأمور وضرستموها ووعظتم بمن كان قبلكم، وضربت الأمثال لكم ودعيتم إلى الأمر الواضح، فلا يصم عن ذلك إلاّ أصم ولا يعمى عن ذلك إلاّ أعمى. ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة وأتاه التقصير من أمامه حتى يعرف ما أنكر وينكر ما عرف. وإنما الناس رجلان: متبع شرعة ومبتدع بدعة، ليس معه من الله سبحانه برهان سنة، ولا ضياء حجة، وإنّ الله سبحانه لم يعظ أحد بمثل هذا القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم. وما للقلب جلاء غيره، مع أنّه قد ذهب المتذكّرون، وبقي الناسون والمتناسون، فإذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه، وإذا رأيتم شرّاً فاذهبوا عنه، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول: يا بن آدم اعمل الخير ودع الشر، فإذا أنت جواد قاصد**)[1].

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): (**إنّ المؤمن أخذ دينه عن الله، وإن المنافق نصب رأياً واتخذ دينه منه**).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (**إنّ من أبغض الخلق إلى الله عزّ وجل لرجلين: رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته. ورجل قمش جهلاً في جهّال الناس، عان بأغباش الفتنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكر فاستكثر، ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من آجن، واكتـ من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره وإن**

1- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص94، مستدرك الوسائل: ج17 ص262، بحار الأنوار: ج2 ص312.

خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشواً من رأيه ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكر، ولا يرى أنّ وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له: لا يعلم. ثم جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات، ركاب شبهات، خبّاط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال، لا ملئ بإصدار ما عليه ورد، ولا هو أهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق) [1].

وروي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة وكثرته، فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهم عمر بذلك وسأل أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: (**إنّ القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذٍ فتركه الله على حاله. ولم يتركه نسياناً، ولم يخف عليه مكاناً فأقرّه حيث أقرّه الله ورسوله**)، فقال عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحلي بحاله [2].

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها، قال: (**لا، أما إنّك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عزّ وجل**)[3]. عن الصادق، عن أبيه، عن علي عليهم السلام قال: (**من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس، ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس**) [4].

1- الكافي: ج1 ص55.

2- نهج البلاغة: ج4ص 65، وسائل الشيعة: ج13 ص255، بحار الأنوار: ج30 ص695.

3- الكافي: ج1 ص56، المجاسن: ج1 ص213، وسائل الشيعة: ج27 ص40.

4- قال المازندراني في شرح أصول الكافي: (والمعنى من أقام نفسه للعمل بالقياس واستخراج الأحكام به كان مدة عمره في التباس الجهالات واختلاط الشبهات، أو كانت همته وإرادته منحصرة في التباس وتخليط بين الحق والباطل وجمع شبهات؛ لأن القياس لا يفيد إلاّ جهلاً مركباً. (**ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس**)، أي: من أطاع الله وعبده بالرأي وتقرب إليه من جهة العمل بالأحكام القياسية والاستحسانات العقلية كان مدّة عمره مرتمساً في بحار الظلمة والجهالة،

قال: وقال أبو جعفر عليه السلام: (**من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحل وحرم فيما لا يعلم**) (1).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في محاججته لأبي حنيفة في حديث طويل، قال: (**يا أبا حنيفة، تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ والمنسوخ؟** قال: نعم. قال: **يا أبا حنيفة، لقد ادعيت علماً!! ويلك ما جعل الله ذلك إلاّ عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ولا هو إلاّ عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه وآله، ما ورثك الله من كتابه حرفاً فإن كنت كما تقـول ولست كما تقول** ......) (2).

وعن عبد الله بن شبرمة، قال: ما ذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن محمد عليه السلام إلاّ كاد أن يتصدع له قلبي، سمعته يقول: (**حدثني أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله**، قال ابن شبرمة: - وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده ولا جده على رسول الله صلى الله عليه وآله - قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: (**من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك**) (3).

وعن الصادق عليه السلام: (**إيّاك وخصلتين ففيهما هلك من هلك، إيّاك أن تفتي الناس برأيك، وأن تدين بما لا تعلم**) (4).

وعن الباقر عليه السلام: (**من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه**) (5).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: (**من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح**) (6).

ومنغمسا في آجن الشبهة والضلالة التي تحيط بها كإحاطة الماء بالغائص باعتبار استخراج الأحكام بالقياس؛ لأنه يلتبس عليه الأمور ويشبه عليه الحق والباطل، والارتماس باعتبار العمل بتلك الأحكام) شرح أصول الكافي: ج2 ص267.

1- الكافي: ج1 ص58، وسائل الشيعة: ج27 ص41، شرح اصول الكافي: ج2 ص267، الفصول المهمة: ج1 ص535، بحار الأنوار: ج2 ص299.

2- علل الشرائع: ج1 ص89، الوسائل: ج27 ص48.

3- أمالي الصدوق: ص507، الكافي: ج1 ص43، مستدرك الوسائل: ج17 ص257.

4- الكافي: ج1 ص42، الخصال: ص52، وسائل الشيعة: ج27 ص21.

5- الكافي: ج1 ص42، التهذيب: ج6 ص223، وسائل الشيعة: ج27 ص20.

6- الكافي: ج1 ص44، تحف العقول: ص47، وسائل الشيعة: ج27 ص25.

وعن الصادق (ع): (**العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلاّ بعداً**)[1].

وعن الصادق (ع): (**إنّ أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس، فلم يزدهم المقاييس عن الحق إلاّ بعداً، وأنّ دين الله لا يصاب بالمقاييس**) [2].

وعن الكاظم (ع): (**من نظر برأيه هلك، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر**) [3].

وعن أمير المؤمنين (ع): (**يا معشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا إياكم وأصحاب الرأي فأنهم أعداء السنن، تفلتت منهم الأحاديث أن يحفظوها، وأعيتهم السنة أن يعوها، فاتخذوا عباد الله خولاً، وماله دولاً، فذّلت لهم الرقاب وأطاعهم الخلق أشباه الكلاب، ونازعوا الحق وأهله فتمثلوا بالأئمة المعصومين الصادقين، وهم من الجهّال الملاعين، فسألوا عن ما لا يعلمون، فأنفوا أن يعترفوا بأنهم لا يعلمون، فعارضوا الدين بآرائهم، وضلوا فاضلوا، أما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين أولى بالمسح من ظاهرهما**) [4].

وقال الصادق (ع): (**أيتها العصابة المرحومة المفلحة، إن الله أتم لكم ما أتاكم من الخير، واعلموا أنّه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقاييس، قد أنزل الله القرآن، وجعل فيه تبيان كل شيء، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً، لا يسع أهل علم القرآن** - أي آل محمد (ع) - **الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقاييس. أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه، وخصّهم به، ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها، وهم أهل الذكر**)[5]، [6].

* * *

1- الكافي: ج1 ص34، أمالي الصدوق : ص507، من لا يحضره الفقيه: ج4 ص401.

2- وسائل الشيعة: ج27 ص43، الفصول المهمة للعاملي: ج1 ص531 .

3- الكافي: ج1 ص56، وسائل الشيعة :27 ص40، الفصول المهمة للعاملي: ج1 ص126.

4- الحدائق الناضرة: ج10 ص62، مستدرك الوسائل: ج17 ص301، بحار الأنوار: ج2 ص84.

5- روى الشيخ الكليني وغيره: عن عبد الرحمن بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله (ع): (**اسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**) النحل : 43، قال: (**الذكر محمد (ص) ونحن أهله المسؤولون**، قال: قلت : قوله: (**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**) الزخرف : 44، قال : (**إيانا عنى، ونحن أهل الذكر ونحن المسؤولون**) الكافي: ج1 ص210.

6- الكافي : ج8 ص5، وسائل الشيعة : ج27 ص37، مستدرك الوسائل: ج7 ص34.

ثالثاً: الـعقـائـد

والخلاف فيها كبير بين علماء الإسلام السنة والشيعة وغيرهم. كما أنّ السنة افترقوا فيها إلى معتزلة وأشاعرة [1]، واختلف علماء كل فرقة فيما بينهم، ولعل الخلاف الرئيسي بين فرق المسلمين يدور حول الإمامة والقيادة الدينية والدنيوية بعد النبي ﷺ لهذه الأمة.

ثم جر هذا الخلاف خلافات عقائدية أخرى كان سببها أنّ الشيعة يرجعون في عقائدهم إلى أوصياء النبي ﷺ المعصومين عليهم السلام، والسنة يرجعون إلى استدلالات عقلية كما يدعون والتي تعارضها عقول قوم آخرين .

كما حصل في مسألة الجبر والتفويض، التي وقع الخلاف فيها بين الأشاعرة والمعتزلة فجاء جواب آل النبي عليهم السلام بأنه: (**لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين**) [2].

أو كقضية خلق القرآن، التي استغلها كفار بني العباس للخوض في دماء المسلمين وأعا م على ذلك بعض أئمة الضلال السامريين [3].

1- قيل أن سبب تسميتهم بهذا الاسم ـ معتزلة ـ هو: إنّ واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر، وقال آخرون بأنّهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر، فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين، وقال إنّ الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه، وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما معتزليون. لاحظ : أوائل المقالات للشيخ المفيد: ص146، وفيات الأعيان: ج6 ص8.

كما أنّ الأشاعرة سمّوا أشاعرة نسبة لأبي الحسن الأشعري المولود عام 260 ه، والمتوفى عام 324 ه، وهو من أحفاد أبي موسى الأشعري، فالأشاعرة هم اتباعه. ظلال التوحيد للسبحاني: ص101.

2- الكافي: ج1 ص160، الاعتقادات للصدوق: ص29، توحيد الصدوق: ص206، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج2 ص114، بحار الأنوار: ج5 ص12. والحديث عن الإمام الصادق عليه السلام.

3- من بين الأحداث المهمة التي عاصرها الإمام الرضا عليه السلام هي فتنة خلق القرآن، وهي مسألة عقائدية، نشأت في أواخر الدولة الأموية، وأول من أثارها هو الجعد بن درهم، معلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وأذاعها في دمشق فطلبته السلطة فهرب منها ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية.

ويقول ابن الأثير: إن هشام بن عبد الملك قبض على الجعد وأرسله مخفوراً إلى خالد القسري أمير العراق وأمره بقتله، فحبسه خالد ولم يقتله فبلغ الخبر هشاماً فكتب إليه يلومه ويعزم عليه بقتله، فأخرجه خالد من الحبس في وثاقه، فلما صلى العيد يوم الأضحى قال في آخر خطبته: انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم، فاني أريد أن أضحي اليوم بالجعد، فإنه يقول : ما كلم الله موسى، ولا اتخذ الله إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد، ثم نزل وذبحه الكامل في التاريخ: ج5 ص263.

وظلت هذه الفكرة بعد مقتل الجعد تحت الخفاء وفي طي الكتمان إلى دور هارون الرشيد، وعندما ظهر أمر المعتزلة، وانتشرت أفكارهم أعلنوا القول بخلق القرآن، ولما ولي الحكم المأمون نشطت الحركة وأخذت الفكرة بالنمو والاتساع وتبنى المأمون القول بخلق القرآن، وقرّب المأمون أبا هذيل محمد بن الهذيل العلاف وهو من أئمة المعتزلة، كما وقرّب أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وهو أيضاً أحد رؤوس المعتزلة المشهورين. وحمل المأمون الناس على القول بها فمن خالفها تعرض للنقمة والعذاب. حيث كتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب صاحب الشرطة يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن، وكان ممن تعرّض للأذى من المأمون هو أحمد بن حنبل، فقد سيق مكبلاً بالأغلال للمثول بين يدي المأمون بطوس، ولكن بلغه في الطريق موت المأمون. وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق سنة 220 هـ. ولم تكف الدولة عن إيذاء أحمد بن حنبل إلاّ في عهد المتوكل.

فجاء رد أهل القرآن آل النبي المصطفى بأنّ القران كلام الله لا غير [(1)]، ليدع الناس السفسطة والجدل الشيطاني الذي لا طائل وراءه إلاّ حب الظهور والعلو على الناس بلقب العالم.

كما وقع خلاف واسع في توحيد الخالق سبحانه وصفاته، أو ما سمي بـ (علم الكلام).

والحقيقة إنّ علم الكلام ما هو إلاّ شكل آخر من الفلسفة اليونانية المشائية أو الاستدلالية، فمن تتبع الفلسفة اليونانية القديمة يعلم أن فيها طريقين رئيسيين، وإنّ كليهما يبحث في الوجود:

الأول: الاستدلالي. أو ما يسمى بـ (المشائي)، ويعتمد على الأدلة العقلية.

والثاني: الإشراقي. ويعتمد على تصفية النفس من رذائل الأخلاق، وبالتالي يكون الإنسان أهلا لإشراق الحقائق في نفسه.

وقد تأثر علماء المسلمين بالفلسفة اليونانية المشائية بعد ترجمتها، وأعادوا كتابتها كل بحسب ما يعتقد. وبدأ يظهر ما يسمى بـ (الفلسفة الإسلامية المشائية) أو(الاستدلالية) التي اشتق منها علم الكلام، الذي يبحث في وجود الخالق وتوحيده وصفاته. وربما يلحق به مباحث العدل والمعاد والنبوة والإمامة وغيرها.

وإنّ ما سمي بـ (علم الكلام) كونه يبحث حول أشرف موجود سبحانه، فالألف واللام لاستغراق الصفات، فلعلهم أرادوا القول إنّ هذا العلم فيه أشرف كلام، والله اعلم.

وعندما حقق المأمون بعض أهدافه السياسية البعيدة المدى، وصفّى وجود المخالفين للحكم العباسي وغيرهم بهذه الحجة، ثم عاد إلى مذهب الآباء معتبراً الروافض والمعتزلة والخوارج من أعلام جهنم، ينقل ابن حجر في لسان الميزان: إنّ المأمون قال لحاجبه يوماً: انظر من بالباب من أصحاب الكلام ؟ فخرج وعاد إليه، فقال: بالباب أبو الهذيل العلاف، وهو معتزلي، وعبد الله بن أباض الأباضي، وهشام بن الكلبي الرافضي. فقال المأمون : ما بقي من أعلام جهنم أحد إلاّ حضر. قال ابن حجر : يعني أنّ الهذيل رأس المعتزلة، وهشاماً رأس الرافضة، وابن أباض رأس الخوارج. لسان الميزان لابن حجر : ج5 ص413.

وقد بيّن الإمام الرضا (عليه السلام) القول الفصل في هذه الفتنة، فقد روى الشيخ الصدوق : عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، قال : كتب علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) إلى بعض شيعته ببغداد : (**بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة، وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلاّ الله عز وجل، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون**) أمالي الصدوق : ص640، بحار الأنوار : ج89 ص118.

وعن سليمان بن جعفر الجعفري : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) : يا بن رسول الله، ما تقول في القرآن؟ فقد اختلف فيه من قبلنا، فقال قوم إنه مخلوق وقال قوم إنه غير مخلوق، فقال (عليه السلام) : (**أمّا أنا لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكني أقول إنّه كلام الله عزّ وجل**) أمالي الصدوق : ص647، بحار الأنوار : ج89 ص118.

1- لاحظ قول الإمام الرضا (عليه السلام) في الهامش السابق .

وكان لعلم الكلام أو لخوض علماء المسلمين في الفلسفة اليونانية دور كبير في تناحر فرق المسلمين، حتى وصل الأمر إلى تكفير بعضهم بعضاً، وأصبح علماء كل فرقة يتأولون آيات القرآن وفق أهوائهم لتوافق القواعد الفلسفية أو العقلية التي يعتقدو ا. فجعلوا أنفسهم أئمة الكتاب لا أنّ الكتاب إمامهم، وتقدموا الكتاب بعد أن تقدموا العترة [1]، فضلوا .

وأي ضلال بعد أن أعرضوا عن وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث الثقلين المشهور بأن لا يتقدموهما [2].

1- قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة طويلة: (... **وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله. وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر. فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته. فالكتاب يومئذ وأهله منفيان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو. فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا. فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلا اسمه، ولا يعرفون إلا خطه وزبره. ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة، وسموا صدقهم على الله فرية، وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة وإنما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيب آجالهم، حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة، وترفع عنه التوبة، وتحل معه القارعة والنقمة**) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص30، الكافي: ج8 ص388.

2- روى الطبراني في المعجم الكبير: عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (**إني لكم فرط وإنكم واردون علي الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين**. فقام رجل فقال : يا رسول الله وما الثقلان؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لن تزالوا ولا تضلوا، والأصغر عترتي وإنهم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وسألت لهما ذاك ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم**) المعجم الكبير: ج3ص65، ولاحظ كنز العمال: ج1 ص188.

وروى العياشي : عن أبي جميلة المفضل بن صالح عن بعض أصحابه قال : خطب رسول (صلى الله عليه وآله) يوم الجمعة بعد صلاة الظهر انصرف على الناس فقال: (**يا أيها الناس إني قد نبأني اللطيف الخبير انه لن يعمر من نبي إلا نصف عمر الذي يليه ممن قبله، واني لأظنني أوشك أن ادعى فأجيب، واني مسؤول وإنكم مسؤولون، فهل بلغتكم فما إذا أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد بأنك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله عنا خيراً، قال : **اللهم اشهد**، ثم قال : **يا أيها الناس ألم تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق من بعد الموت** قالوا: [اللهم] نعم، قال: **اللهم اشهد**، ثم قال : **يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ألا من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه**، ثم قال : **أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون على الحوض وحوضي اعرض ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة الأواني، سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما حتى تلقوني**، قالوا : وما الثقلان يا رسول الله؟ قال : **الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيدي الله وطرف في أيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تذلوا والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أن لا يتفرقا حتى يلقياني، وسئلت الله لهما ذلك فأعطانيه فلا تسبقوهم فتضلوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، فلا تعلموهم فهم اعلم منكم**) تفسير العياشي: ج1 ص4.

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي: عن رافع مولى أبي ذر، قال : صعد أبو ذر (رضي الله عنه) على درجة الكعبة حتى أخذ بحلقة الباب، ثم أسند ظهره إليه، فقال : أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (**إنما مثل أهل بيتي في هذه الأمة كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تركها هلك**)، وسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (**اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين**) أمالي الشيخ الطوسي: ص482، بحار الأنوار: ج23ص121.

لقد ضيع المسلمون الحق المبين واتبعوا من لم يزده علمه إلاّ خساراً بعدم رجوعهم إلى آل النبي عليهم السلام واعتمادهم على الأدلة العقلية والفلسفية اليونانية، أو علم الكلام المستند إليها والمشتق منها، مع أنّ في الفلسفة كثيراً من السفسطة والمغالطات وا ادلات، وقالوا وقلنا التي لا تنتهي، والتي لا يعدو كثير منها اللغو، وليس وراءه طائل ولا ثمرة علمية أو عملية.

والحق أنه ليس لنا - ونحن المغروسين في المادة، وليس لكثير منا حظ من العقل إلاّ ظلة - أن نتكلم عن الحي القيوم جل شأنه، إلاّ بحدود ما ورد في القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام، وهو عن الله سبحانه وتعالى وما هو إلاّ وحي يوحى، وقد صرح ذا المعنى الملا صدرا (رحمه الله) في الشواهد الربوبية.

وليعلم أولئك الذين يدعون الحجج العقلية وهم مختلفون، أ م لو كانوا عقلاء بالمعنى الحقيقي لما اختلفوا؛ لأنّ العقل واحد، وهو الحق المطلوب من ابن آدم الوصول إليه، ليعقل نفسه ويعرف ربه، وهو عالم كلي لا تنافي فيه. قال تعالى: **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** [(1)].

أما الذي يشترك فيه جميع بني آدم فهو ظل لذلك العقل، أو النفس الإنسانية لا العقل الحقيقي. وهذه النفس موجودة في عالم الملكوت وهو عالم متـنافيات تماماً كعالم الشهادة، إلاّ أنه مجرد من المادة.

قال المصطفى صلى الله عليه وآله ما معناه: (**لولا إنّ الشياطين يحومون حول قلب ابن آدم لنظر إلى ملكوت السماوات**) [(2)]، أي إنّ ابن آدم لو أخلص لله لنظر إلى ملكوت السماوات.

وبما أنّ اللّب الذي بين جنبينا هو ظل للعقل، فيكون الإنسان قادراً على إدراك كثير من قوانين عالم المادة، وربما شيئاً من عالم الملكوت ولكنه غير قادر على معرفة عالم العقل؛ لأنه فوقه إلاّ بالوصول إليه. ولا يصل إلاّ العبد المخلص لله ا يب لدعاء (أقبل) بعد أن أدبر وغرس في عالم المادة [(3)]، فإذا عرفنا هذا عرفنا خطأ من ادعى العقل ابتداءً لكل بني آدم، ثم جعل المشرع سبحانه

1- غافر : 67.

2- بحار الأنوار: ج56 ص163، مستدرك سفينة البحار: ج8 ص572، العلم في الكتاب والسنة: ص120.

3- يشير عليه السلام بهذه الكلمة لما روي عن أهل البيت عليهم السلام، فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: (**لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر . ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب، وإياك أثيب**) الكافي : ج1 ص10.

من جملة العقلاء جل شأنه خالقنا وخالق عالم العقل الذي لا يصله إلاّ المقربون، **كَلا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى** [1]، مع أنّ ما ادعاه عقلاً ما هو إلاّ ظل له وصورة له تختلف باختلاف المرآة التي انعكست عليها والنفس التي انطبعت فيها، ففي النفوس المنكوسة تنطبع الصورة معكوسة، قال أمير المؤمنين علي (ع): (**وسأجهد في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج الدرة من بين حب الحصيد**) [2].

ومن هنا فإن اتفق عشرة على أمرٍ معين خالفهم عشرة آخرون، ولو رجعوا إلى كنـز التوحيد محمد وعلي وآلهما (ع) وتدبروا كلامهم لأراحوا واستراحوا، فالصواب أن يكون علم الكلام في الإسلام مستنداً إلى القرآن والسنة الصحيحة عن النبي وآله الأطهار (ع). ولا بأس بالاستدلالات العقلية كسند ثانوي للعقائد الإسلامية المستقاة من القرآن والسنة الصحيحة.

روي أنّ الإمام الصادق (ع) قال ليونس بن يعقوب: (**وددت أنك يا يونس تحسن الكلام**. فقال له يونس: جعلت فداك، سمعتك تنهى عن الكلام وتقول ويل لأهل الكلام، يقول هذا ينقاد وهذا لا ينقاد وهذا ينساق وهذا لا ينساق وهذا نعقله وهذا لا نعقله. فقال أبو عبد الله (ع): **إنما قلت ويل لهم إذا تركوا قولي وصاروا إلى خلافه** ...) [3].

وقال الإمام الصادق (ع): (**حاجوا الناس بكلامي، فإن حجوكم فأنا المحجوج**) [4].

وقال الصادق (ع): (**من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال، ومن أخذ دينه من الكتاب والسنّة زالت الجبال ولم يزل**) [5].

وقال (ع): (**إياكم والتقليد، فإنّه من قلّد في دينه هلك، إنّ الله تعالى يقول: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ** [6]، **فلا والله ما صلوا لهم ولا صاموا ولكنهم أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً، وقلدوهم في ذلك فعبدوهم وهم لا يشعرون**) [7].

1- العلق : 6- 8.

2- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج3 ص73، بحار الأنوار: ج33 ص475.

3- تصحيح الاعتقاد للمفيد: ص70، الكافي: ج1 ص171، وفيه : أن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون. وكذا في وسائل الشيعة: ج16 ص197. الإرشاد: ج2 ص194، بحار الأنوار: ج23 ص9.

4- تصحيح الاعتقاد للمفيد: ص70، الاعتقادات في دين الإمامية للصدوق: ص43، وفيه : فإن حاجوكم كنت أنا المحجوج لا أنتم.

5- تصحيح الاعتقاد للمفيد: ص72، الفصول المهمة للعاملي: ج1 ص125، وفي الكافي: ج1 ص7 باختلاف يسير.

6- التوبة :31.

7- تصحيح الاعتقاد للمفيد: ص72، تفسير البرهان: ج10 ص120.

وقال عليه السلام: (**من أجاب ناطقاً فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله تعالى فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان**) [1].

أما العرفان في الإسلام، فقد أرجعه بعضهم إلى الفلسفة اليونانية الإشراقية، والعرفان عند الشيعة إلى السنة.

وقالوا: إنّ أول من بحث في العرفان هو (ابن عربي) أو غيره من علماء السنة.

والحقيقة إنّ هذا خطأ ومغالطة، لا تنطلي على من تفحص الأديان الإلهية والشرائع السماوية، حيث إنّ السلوك العرفاني أو العمل لمعرفة الله هو الذي جاء به الأنبياء، بل هو الفطرة التي فطر عليها الإنسان، قال تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾** [2]. وقال تعالى: **﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾** [3].

فالآيات في الأنفس لمن زكّاها، وفي الآفاق لمن أراد الاستدلال بالعقل ولمن زكّى نفسه. كما أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأوصياء عليهم السلام نبهوا المؤمنين في أحاديث كثيرة إلى هذا الطريق وضرورة سلوكه وعدم التواني في تطبيق الشريعة، واجبها و مستحبها و محرمها و مكروهها. والتي هي وهي فقط الطريق الموصل إلى الله لا الألفاظ ولا المصطلحات و تخرصات بعض الذين كتبوا في العرفان وما يسمونه بمجاهدات ما أنزل الله بها من سلطان.

فمعرفة الله إنما تتم بتزكية النفس، وتزكية النفس لا تتم إلاّ بتطبيق الشريعة والزهد في الدنيا، والإنفاق في سبيل الله، والتحلّي بمكارم الأخلاق، والحب في الله والبغض في الله، والشدة في ذات الله والغلظة مع الكافرين والمنافقين، والرحمة مع المؤمنين. قال تعالى: **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [4].

والحمد لله وحده، **﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾** [5].

1- تصحيح الاعتقاد للمفيد: ص73، الكافي: ج6 ص434 باختلاف يسير.
2- فصلت : 53.
3- الذاريات : 20 – 21.
4- النور : 35.
5- يونس :82.

رابعاً: الإعراض عن أوصياء النبي ﷺ

وهذا بين، فقد أعرض السنة عن الأئمة (عليهم السلام)، وتركوا الأخذ منهم والرجوع إليهم في المتشا ات.

أما بالنسبة للإمام المهدي (عليه السلام) فالأعراض عنه حاصل سواء في زمن الغيبة الصغرى أم في زمن الغيبة الكبرى، ويكاد الشيعة فضلاً عن غيرهم لا يذكرونه.

وسيأتي البحث في إعراض الأمة عن قائدها خاتم أوصياء النبي ﷺ المهدي (عليه السلام) .

* * *

خامساً: الإعراض عن القرآن والسنة

والإعراض، إما بقلة دراسة القرآن وتفسيره وتدبر معانيه والبحث في القرآن وسنة النبي وآله المعصومين ﷺ.

وأما بتفسير القرآن بعيداً عن روايات المعصومين (عليهم السلام) واعتماد القواعد النحوية والفلسفية في التفسير، والتي معظمها استقرائية وخلافية لم يتحرر ال اع فيها، ولن يتحرر.

وأما بتفسير القرآن وفق الأهواء الشخصية، فكل يحاول أن يحمل القرآن على هواه، فلأنّ نفسه انطوت على جبن وخضوع للطاغوت لا يجد في القرآن دعوة لجهاد الطواغيت المتسلطين على هذه الأمة، بل يجد أنّ طاعتهم واجبة وإنّ التقية بلا حدود. فالمهم أن يبقى هو حياً، وإن لم يبق من الإسلام إلاّ اسمه!! ولأنه عبد لشهوته لا يجد في القرآن دعوة للزهد في هذه الدنيا، بل يجد فيه دعوة لإشباع شهواته من أموال المسلمين التي ائتمنوه عليها، ويقول من حرم زينة الله ولا يقول إنّ كثيراً من الأحبار والرهبان أو العلماء غير العاملين وأعوا م ليأكلون أموال الناس بالباطل.

ولأنه تابع لإبليس إمام المتكبرين لا يجد في القرآن دعوة للتواضع، بل يجد فيه دعوة للتكبر على ضعفاء المؤمنين، واحتقارهم والاستخفاف م.

وهكذا فهم يحملون القرآن على أهوائهم، والهدى على الهوى، والقرآن على الرأي: (**كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه**) [1] كما روي عنهم (عليهم السلام).

1- مستدرك الوسائل: ج4 ص250، بحار الأنوار: ج89 ص184، وفيه: (**رب تال للقرآن والقرآن يلعنه**).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف حال القائم مع هذه الأمة وعلمائها عند ظهوره: (**يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القران إذا عطفوا القرآن على الرأي**) [1].

وقال الصادق (عليه السلام): (**ليس أبعد من عقول الرجال من القرآن**) [2].

وقال (عليه السلام): (**من فسر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر**) [3].

وقال (عليه السلام): (**ما من رجل ضرب القرآن بعضه ببعض إلاّ وكفر**) [4].

وقال (عليه السلام): (**المتشابه ما اشتبه على جاهله**) [5].

وقال أبو جعفر (عليه السلام): (**نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله**) [6].

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): (**من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، فإن أخطأ كان إثمه عليه**)[7].

وقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) في حديث مع قتادة، وقد أخطأ قتادة في تفسير آية فقال (عليه السلام): (**ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به**) [8].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (**إياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء** - أي الأئمة (عليهم السلام) - **فإنّه رب تنزيل يشبّه بكلام البشر وهو كلام الله وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيئاً من خلقه يشبهه كذلك، لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئاً من أفعال البشر، ولا يشبه شيء من كلامه لكلام البشر، وكلام الله تبارك وتعالى صفته، وكلام البشر أفعالهم، فلا تشبّه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضل**) [9].

1- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص21، بحار الأنوار: ج31 ص549.
2- تفسير العياشي: ج1 ص18، مستدرك الوسائل: ج17 ص335، بحار الأنوار: ج89 ص111.
3- تفسير العياشي: ج1 ص18، وسائل الشيعة: ج27 ص60، بحار الأنوار: ج89 ص111.
4- ثواب الأعمال: ص280، بحار الأنوار: ج89 ص390.
5- تفسير العياشي: ج1 ص12،بحار الأنوار: ج66 ص93، ميزان الحكمة: ج3 ص2534.
6- بصائر الدرجات: ص224، الكافي: ج1 ص213، ورواه عن الصادق (عليه السلام) . وكذا في وسائل الشيعة:ج27 ص179 عنه (عليه السلام)، بحار الأنوار: ج23 ص199.
7- تفسير العياشي: ج1 ص17، مستدرك الوسائل: ج17 ص337، بحار الأنوار: ج89 ص110.
8- الكافي: ج8 ص312، وسائل الشيعة: ج27 ص185، بحار الأنوار: ج24 ص238.
9- التوحيد للصدوق: ص265، مستدرك الوسائل: ج17 ص326، مصباح البلاغة: ج3 ص69، بحار الأنوار: ج8 ص107.

وعن الإمام الحسين عليه السلام في كتابه لأهل البصرة، قال: (**بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**)[1].

والمقصود بالعلم من الله كما هو للمعصومين عليهم السلام أو ما أخذ منهم .

وعن الإمام الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله جل جلاله: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلقي، وما على ديني من استعمل القياس في ديني**)[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**إنما أتخوف على أمتي بعدي ثلاث خصال؛ أن يتأول القرآن على غير تأويله، أو يتبعوا زلّة العالم، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا وبطروا، وسأنبئكم المخرج من ذلك، أمّا القرآن فأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابه، وأمّا العالم فانظروا فيه ولا تتبعوا زلته، وأمّا المال فإنّ المخرج شكر النعمة وأداء حقه**)[3].

وتأويل القرآن أو تفسيره لا يعلمه إلاّ الله والراسخون في العلم، وهم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله. وقد صرح القرآن بذلك، فالآيات المتشا ة تحكم بحديثهم ويعرف المراد ا منهم، وقد ورد عنهم عليهم السلام تفسير للقرآن الكريم فيجب الرجوع إلى حديثهم. وقد رسموا عليهم السلام جادة وصراطاً مستقيماً لمن تدبر آيات الكتاب الكريم. فعلى المفسر أو المتدبر أن لا يتجاوز هذا الصراط فتزل قدمه ويهوي في الجحيم، بل عليه أن لا يتعرض للتفسير ما لم يطهر نفسه. قال تعالى: **لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ**[4].

أما زلّة العالم؛ فلأنه إذا ضل يضل أمة تتبعه كما أضل السامري بني إسرائيل.

وأما المال؛ فلأن الإنسان الغني مادياً عادة يقل توجهه إلى الله لطلب الحوائج، **كَلا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى* أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى**[5]. فالفقر والبلاء عادة داعي إلى التوجه إلى الله والرجوع إليه.

1- التوحيد للصدوق: 50، وسائل الشيعة: ج27 ص189، بحار الأنوار: ج3 ص223.
2- أمالي الصدوق: ص55، وسائل الشيعة: ج27 ص45، الاحتجاج: ج2 ص191، بحار الأنوار: ج2 ص297.
3- الخصال للصدوق: ص164، بحار الأنوار : ج2 ص42، معدن الجواهر للكراجكي: ص31.
4- الواقعة : 79.
5- العلق : 6 - 7.

أما العلاج المصفّى الذي أرشد إليه المصطفى صلى الله عليه وآله، فهو بالنسبة لمتشابه القرآن الإيمان به، وإنه نزل من الله ويجب الرجوع في تأويله إلى آل محمد صلى الله عليه وآله. فمتشابه الكتاب من أعظم الأدلة الدالة على إمامتهم وحاجة الأمة إليهم، ولعل اشتباه كثير من الأحكام اليوم وعدم معرفة الحلال من الحرام؛ لبيان الحاجة إلى خاتم الأوصياء المهدي عليه السلام.

وبالنسبة إلى العلماء، فالنظر فيهم وفي أحوالهم فهم غير معصومين، وربما كان فيهم سامريون وأئمة ضلال. وإياك أن تكون مقلداً أعمى فتتبع من يحل لك الحرام ويحرم عليك الحلال، فتكون عابداً له لا لله.

وقد حذّروا عليهم السلام من علماء غير عاملين يحطمون روايا م عليهم السلام ويذرو ا ذرو الريح للهشيم[1].

وبالنسبة للمال فبشكر النعمة، وأداء حقه، أي: بالتوجه إلى الله بالعبادة والطاعة، وباستعمال هذا المال لنصرة الدين، وإعلاء كلمة لا إله إلاّ الله، ومواساة الفقراء.

هذه هي أهم الانحرافات في الأمة الإسلامية وبشكل مجمل. ومن الطبيعي أن يكون بعضها بل ربما جميعها بفعل فاعل قاصد أن يضل الناس. ومن الطبيعي أن يكون من شياطين الأنس وعبد من عبيد إبليس، وربما كان بعض هؤلاء الأئمة الذين يدعون إلى النار يظن أنه يحسن صنعاً.

* * *

1- يشير عليه السلام إلى ما روي عن جده أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى الشيخ الكليني : عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (**إن من أبغض الخلق إلى الله عز وجل لرجلين، رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته. ورجل قمش رجلا في جهال الناس، عان بأغباش الفتنة، قد سماه أشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما، بكر فاستكثر، ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره، وإن خالف قاضيا سبقه، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكر، ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهبا، إن قاس شيئا بشئ لم يكذب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، لكيلا يقال له : لا يعلم، ثم جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات، ركاب شبهات، خباط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لا ملئ بإصدار ما عليه ورد، ولا هو أهل لما منه فرط، من ادعائه علم الحق**) الكافي ج1 ص55، وقد ذكره عليه السلام في بحث الأدلة على وجوب التوقف في الفتوى في ص36.

المحرّفـون

وهم الحكام والمتظاهرون بالإسلام، وعلماء السوء غير العاملين.

أما الحكام، فداعيهم إلى تحريف الشريعة هـو الملك لا غير. فكل معتقد أو حكم شرعي يتعارض وبقاءهم على كرسي الحكم يجب أن يحرف بحسب نظرهم الفاسد، بأي صورة كانت سواء بوضع أحاديث وإلصاقها بالرسول ﷺ، أم بحذف آيات أو سور من القرآن لو أمكن، أو بمنع رواية الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ، أو بمنع قراءة القرآن كما أُنزل وتأويله كما يريد الله، أو بشراء مرتزقة يسمو م علماء يحرفون القرآن ويؤولونه ويفسرونه على هوى الحكّام الظلمة.

وطبعاً لو أمكنهم وضع تشريعات وقوانين مخالفة لشريعة الله، ولكنها تساعد على بقائهم في السلطة مدة أطول لسارعوا إلى وضعها، خصوصاً إذا أعانتهم ظروف الجهل الديني في ا تمع الإسلامي ووجود علماء سوء غير عاملين، كما هو حال البلاد الإسلامية اليوم.

وأما علماء السوء، فهم أخطر من الحكّام الظلمة؛ لأنّ الحاكم الجائر يدلك كثير من تصرفاته وأعماله العلنية في محاربة أولياء الله على خروجه عن الشريعة ومحاربتها، أما العالم غير العامل فربما يتسربل بلباس العابد الناسك، فتجده مثلاً متماوتاً في مشيته، خاضعاً في كلمته، ولعله يظهر التذلل والخضوع ليصطاد الأتباع. ولكنك إذا سبرت غوره وجدته فاسداً متكبراً، يتصنع الصلاح والتواضع، بل إنّ ظاهره يدلك على باطنه، فتصدر منه كثير من الفلتات التي تفضح باطنه الأسود، فـ (الإناء ينضح بالذي فيه).

وخطر علماء السوء يمتد حتى بعد مو م، فتبقى مذاهبهم ومعتقدا م الفاسدة وفتواهم غير الصحيحة، ويبقى لهم أتباع كما أ م يمتازون بالنفاق وإخفاء بواطنهم الفاسدة، ودواعي هؤلاء للتحريف كثيرة، منها: طلب القيادة الدينية، وإرضاء الأهواء النفسية.

ومنها: إ م يأنفون من قول (لا أعلم)، ولهذا يدعون معرفة كتاب الله والعلم بالتـ يل والتأويل والمحكم والمتشابه، وإنّ لديهم فتوى لكل مسألة شرعية، وحل لكل معضلة عقائدية. وربما يأخذ التكبر منهم كل مأخذ، فيرون أنفسهم علماء وسواهم جهلاء. وإ م خير من الجميع وأعلم من الجميع.

وربما كان من دواعيهم إلى التحريف الخوف من الطاغوت الحاكم، فيفتون إرضاء له وتجنباً للاصطدام معه مثلاً بجواز الانخراط في صفوف قواته المسلحة، التي مهمتها الأساسية هي ضرب الشعوب الإسلامية، وإضعاف دين الله في أرضه والقضاء عليه إذا أمكن.

وربما كان بعضهم أخس من ذلك، فيكون داعيهم للتحريف إضافة إلى الجبن الدنيا والمال، فيداهنون الطاغوت، ويضلون المسلمين ويحرفون الشريعة.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (**إذا رأيتم العالم محبّاً للدنيا فاتموه على دينكم، فإنّ كل محب يحوط ما أحب**) [1].

وقال (عليه السلام): (**أوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام)، لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيضلك عن طريق محبتي، فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم إن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم**) [2].

ومن كلام عيسى (عليه السلام): (**إنّكم علماء السوء، الأجر تأخذون والعمل تضيعون، يوشك رب العمل إن يطلب عمله، وتوشكون إن تخرجوا من الدنيا العريضة إلى ظلمة القبر وضيقه**) [3].

وكلاهما - أي علماء السوء غير العاملين، والحكّام الطواغيت الذين يحكمون البلاد الإسلامية اليوم - أخطر من الكافر الحربي كالصهاينة على الإسلام؛ وذلك لأنّ بقاء علماء السوء يعني بقاء الحكّام الظلمة متسلطين على المسلمين، وبقاء الحكّام الظلمة يعني بقاء الصهاينة يحتلون أرض المسلمين، وبقاء الأمريكان متسلطين على المسلمين يجرعو م الويل والثبور؛ لأنّ هؤلاء الحكّام هم خدم للطاغوت الأمريكي سواء بعلمهم أم برعونتهم وتخبطهم الأهوج، كما أنّ الصهاينة وطيلة أشهر من الانتفاضة المباركة في أرض فلسطين لا يقتلون إلاّ مائة شخص أو أكثر بقليل. أما هؤلاء الحكّام الطواغيت فهم يقتلون في يوم واحد المئات، بل وآلاف المسلمين. كما أنّ الصهاينة يقتلون المسلمين ليحتفظوا بالأرض التي اغتصبوها، أما هؤلاء الحكّام الظلمة وأعوا م فيقتلون المؤمنين؛ لأ م يتلذذون بسفك الدماء. فهؤلاء الطواغيت وأعوا م مسوخ شيطانية منكوسون لا يعرفون شيئاً من الخير، **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ** [4].

1- علل الشرايع: ج2 ص394، مشكاة الأنوار: ص245، بحار الأنوار: ج2 ص107.

2- علل الشرايع: ج2 ص394 ، مشكاة الأنوار: ص245، ورواه في الكافي: ج1 ص46 عن النبي (صلى الله عليه وآله).

3- منية المريد: ص141، بحار الأنوار: ج2 ص39، سنن الدارمي: ج1 ص103، تاريخ دمشق: ج47 ص464.

4- البقرة : 18.

ومعركة الإصلاح يجب إن تبدأ مع علماء السوء غير العاملين، ثم تنتقل إلى الطواغيت المتسلطين على البلاد الإسلامية، ثم من يليهم من الطواغيت المتسلطين على العالم، بل وقبل كل ذلك يجب أن نبدأ مع أنفسنا ونطهرها من جنود الشيطان. فرسول الله صلى الله عليه وآله بدأ حركته الإصلاحية في أم القرى في مكة، المدينة التي تمثل المرجعية الدينية للأحناف والمدينة التي يحج إليها الأحناف، ثم انتقل إلى ما حولها من القرى في الجزيرة العربية، ثم انتقل إلى الإمبراطوريات المحيطة به صلوات الله عليه وعلى آله.

ومن الطبيعي أنّ مواجهة التيارات الجاهلية جميعها ومواجهة قاد ا صعبة تحتاج إلى شدة في ذات الله، وعزم وصبر على الملمات.

وربما لن يقوى على القيام ا إلاّ معصوم مؤيد من الله سبحانه وتعالى وهو المهدي عليه السلام، فواجبنا اليوم هو التهيئة لدولته عليه السلام، إصلاح الانحرافات الموجودة ما أمكن أو على الأقل تعريفها للناس، لا أن نقف مكتوفي الأيدي ونقول لا حول ولا وقوة إلاّ بالله.

نعم، لا حول ولا قوة إلاّ بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولكن الله خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً. وأسألوا الله إن يعجل فرج مولانا المهدي عليه السلام ويمن علينا بفضله وعطائه الابتداء وجوده وكرمه بظهوره و قيامه، ليأخذ بأيدينا إلى الصراط المستقيم، ويخرجنا من الظلمات إلى النور، ويرينا مناسكنا والأحكام الشرعية الصحيحة.

* * *

المصلح المنتظر (عليه السلام)

قال تعالى: **إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** [1].

الإمام المهدي (عليه السلام) الوصي الثاني عشر من أوصياء النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله)، الإمام خامل الذكر لسنين طويلة حتى بين شيعته الذين يقولون بإمامته وخلافته لله في أرضه. هو المصلح الذي تنتظره البشرية جمعاء، المسلمون وغيرهم، شيعته وأعداؤه. أناس ينتظرون ظهوره لنصرته، وآخرون يتربصون به الدوائر للقضاء عليه حال ظهوره وقيامه، ويظنون أ م قادرون على تغيير سنة الله.

مؤمنون يهيئون لظهوره وآخرون يتهيئون لظهوره، وبعض المسلمين غافلين لا يكادون يعرفون عنه شيئاً، وبعض شيعته أو من يسميهم الناس بشيعته لا يعرفونه إلاّ كرمز، يئسوا من ظهوره وقيامه وهذا اليأس ظاهر من أعمالهم، وإن لم يصرحوا به بأقوالهم.

وفي هذه اللحظات الحاسمة التي نقترب فيها من ساعة الصفر، نلاحظ أناساً بعيدين عن الحق بدؤوا يقتربون منه شيئاً فشيئاً حتى كأ م دخلوا فيه، وآخرون في قلب دائرة الحق بدؤوا يبتعدون عنه شيئاً فشيئاً حتى كأ م خرجوا منه. وهكذا أناساً في هوة الوادي بدؤوا يرتقون الجبل شيئاً فشيئاً، وآخرون وجدوا أنفسهم في القمة بدؤوا ينحدرون عنها حتى كأ م قد سقطوا في الهاوية.

وبعبارة أخرى: دنيا وآخرة، ولكل أبناؤها، فمن أختار الحق احتضن الموت وسار إلى الآخرة، فلا يبالي سواء وقع على الموت أو وقع الموت عليه. ومن اختار الباطل حرص على الحياة وعبد الدنيا. وبين الفريقين قوم يترنحون كالسكارى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فهم يعرفون الحق ولا ينصرونه، ويكرهون الباطل ولا يعادونه. خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً** [2].

* * *

1- القصص : 4 - 6.

2- النساء : 97.

المهدي ﵇ في الأديان الإلهية

الإمام المهدي ﵇ كمصلح منتظر، وكمنقذ لشريعة الله في أرضه موجود تقريباً في جميع الأديان الإلهية السابقة للإسلام، كاليهودية والنصرانية.

ففي التوراة، مرة تجده في (سفر دانيال في رؤيا بختنصر)، التي يعبرها دانيال ﵇ بعد أن يراها. ومرة تجده في (رؤيا دانيال للممالك والإمبراطوريات الكبرى) التي تقوم على الأرض من بعده﵇، وتجده كذلك في غير هذا السفر من التوراة المتداولة اليوم.

أما في الإنجيل، فهو (قديم الأيام) المصلح المنتظر الذي ي ل معه عيسى ﵇ من السماء، فتجده في الإنجيل وفي (رؤيا يوحنا اللاهوتي). كما أنك تجد عيسى ﵇ يذكر في الإنجيل علامات لعودته إلى الأرض، هي بعينها العلامات التي ذكرها النبي ﷺ والأئمة الأطهار ﵈ لظهور المهدي ﵇ وقيامه، كخسوف القمر وكسوف الشمس، والحروب وأخبار الحروب. وذلك؛ لأنّ عيسى ﵇ ي ل من السماء في زمن ظهور المهدي ﵇، وزيراً له ومؤيداً لحقّه.

أما عند المسلمين، فالمهدي ﵇ من ضروريات الدين ومنكره منكر لنبوة محمد ﷺ، فقد جاء ذكره متواتراً عن النبي ﷺ، سواء عن طريق السنة أو الشيعة. ولكن السنة لما أعرضوا عن أوصياء النبي ﷺ وتركوا حديثهم وقعوا في شبهة، أنه سيولد في آخر الزمان، وإن اعترفوا أنه من ولد علي وفاطمة ﵈.

ثم جاء من علماء السنة في الغيبة الكبرى من اعترف بأنّ الإمام المهدي ﵇ هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ﵈، وإنه حي وغائب عن الأبصار كالخضر ﵇.

ومن هؤلاء، الشافعي في كتابه (مطالب السؤول)، حيث عقد فصلاً في اية كتابه المشار إليه للدفاع عن اعتقاده، إنّ الإمام المهدي هو محمد بن الحسن العسكري ﵇.

أما الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، فقد كانوا يرجعون إلى أوصياء النبي ﷺ من بعده وتابعوهم إمام تلو إمام، حتى وصلت الإمامة وخلافة النبي وخلافة الله في أرضه إلى خاتم الأوصياء الإمام محمد بن الحسن المهدي ﵇، ومع أنه كان غائباً عن أنظار العامة ويتصل مع شيعته عن طريق أحد خلّص المؤمنين، إلاّ إنّ الشيعة تقبلوا هذا الوضع؛ لأنّ النبي ﷺ والأئمة ﵈ من بعده مهدوا لغيبته ﵇ وذكروها في أحاديثهم.

وحياة الإمام المهدي عليه السلام قبل الغيبة تقريباً بخمس سنوات قضاها مع والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فهو عليه السلام ولد يوم 15 شعبان سنة 255 هـ . ق على بعض الروايات، وبدأت غيبته مع أول يوم من إمامته، وهو يوم تسعة ربيع الأول 260 هـ . ق.

وفي هذه السنوات الخمس لم يعرف ولادته ولم يره إلاّ الخلّص من الشيعة. ربما أربعون أو أقل أو أكثر، فهو عليه السلام محجوب عن الناس منذ ولادته للحفاظ على حياته، وهذا لأنّ أئمة الجور والضلال من العباسيين (لعنهم الله) كانوا يترقبون ولادته للقضاء عليه وقتله، كما كان فرعون (لعنه الله) يترقب ولادة موسى عليه السلام لقتله، وكما أراد الحاكم الروماني قتل عيسى عليه السلام عندما علم بولادته، وكانوا يريدون إن يطفئوا نور الله بأفواههم العفنة، ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الأمويون والعباسيون وأئمة الضلال والطواغيت الذين يحكمون الأمة الإسلامية.

ومن عظيم شأن هذا الإمام عليه السلام أنه قد جاء في أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله في كتب السنة والشيعة، إنّ عيسى عليه السلام يصلي خلفه ويكون وزيراً له. ثم إنّ هذا العبد الصالح مدخر لإقامة القسط والعدل في الأرض وحمل كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل الأرض جميعهم. وقد اصطفاه الله سبحانه من جميع بني آدم لهذا الأمر، كما روي إنّ أول من يبايعه على هذا الأمر عند قيامه جبرائيل عليه السلام، وإنه عند قيامه يحفّه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله.

عن سالم الأشل، قال: سمعت أبا جعفر يقول: (**نظر موسى بن عمران في السفر الأول بما يعطى قائم آل محمد من التمكين والفضل، فقال موسى: ربي اجعلني قائم آل محمد، فقيل له: إنّ ذاك من ذرية أحمد. ثم نظر في السفر الثاني فوجد فيه مثل ذلك، فقال مثله، فقيل له مثل ذلك. ثم نظر في السفر الثالث فرأى مثله، فقال مثله، فقيل له مثله**) [1].

وعن محمد بن علي عليه السلام، قال: (**كان عصا موسى عليه السلام لآدم عليه السلام، فصارت إلى شعيب، ثم صارت إلى موسى بن عمران، وإنا لعندنا، وإنّ عهدي بها آنفاً، وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرها، وإنا لتنطق إذا استنطقت، أعدّت لقائمنا، يصنع كما كان موسى يصنع بها، وإنا لتروع وتلقف ما يأفكون، وتصنع كما تؤمر، وإنا حيث أقبلت تلقف ما يأفكون، لها**

1- غيبة النعماني: ص246، بحار الأنوار: ج51 ص77، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص246.

شفتان [1]**، أحداهما في الأرض والأخرى في السقف، وبينهما أربعين ذراعاً، وتلقف ما يأفكون بلسانا)** [2].

وعن جابر الأنصاري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (**إنّ ذي القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة على عباده، فدعا قومه إلى الله عزّ وجل وأمرهم بتقواه، فضربوه على قرنه، فغاب عنهم زماناً حتى قيل مات أو هلك بأي وادٍ سلك؟ ثم ظهر ورجع إلى قومه فضربوه على قرنه، ألا وفيكم من هو على سنته، وإنّ الله عزّ وجل مكن له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً، وبلغ المشرق والمغرب، وإنّ الله تبارك وتعالى سيجري سنته في القائم من ولدي ويبلغه شرق الأرض وغربا، حتى لا يبقى سهل ولا موضع من سهل ولا جبل وطئه ذي القرنين إلاّ وطئه، ويظهر الله له كنوز الأرض ومعادنه، و ينصره بالرعب، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)** [3].

وسئل أبو عبد الله عليه السلام: هل ولد القائم؟ فقال: (**لا، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي**) [4].

فصلوات الله على من يقول فيه إمام معصوم: لو أدركته لخدمته أيام حياتي.

* * *

1- في بعض نسخ الكافي: شعبتان.

2- الكافي: ج1 ص231، بحار الأنوار: ج26 ص219، و: ج52 ص318، ورواه كما هو الآن في المتن عن بصائر الدرجات، بينما رواه في بصائر الدرجات: ص203، وفي الإمامة والتبصرة: ص116، وفي كمال الدين: ص674، باختلاف في آخر الرواية . وقد ذكرت الزيادة في هامش مختصر بصائر الدرجات وأنها عن نسخة البحار.

3- كمال الدين: ص393، بحار الأنوار: ج52 ص323، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج1 ص256.

4- غيبة النعماني: ص252، بحار الأنوار: ج15 ص148، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص385.

الغيبة

عن أبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**لابد للغلام من غيبة**. فقيل: ولم يا رسول الله؟ قال: **يخاف القتل**) [1].

وقال أبو جعفر عليه السلام: (**إنّ الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم**) [2].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: (**للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصة مواليه**) [3].

الإمام المهدي عليه السلام ليس بدعاً من الرسل والأنبياء الذين سبقوه، فقد غاب موسى عليه السلام عن قومه عشر سنين قضاها في مدين يرعى الأغنام لنبي الله شعيب عليه السلام، وغاب يوسف عليه السلام وغيرهم من الأنبياء. فغيبة الإمام عليه السلام عن أبصار الناس والطواغيت أمر طبيعي حصل للأنبياء السابقين عليهم السلام.

أما حول عمره الشريف ، فهو ليس بأطول من عمر الخضر عليه السلام.

وفي بداية غيبة الإمام عليه السلام كان له نواب أو سفراء أو أبواب سمهم ما شئت، المهم أ م جماعة من خلّص المؤمنين، كانت مهمتهم إيصال كتب المؤمنين ومسائلهم الشرعية للإمام عليه السلام، وإيصال أجوبة الإمام عليه السلام عليها، وإيصال توجيهاته إلى المؤمنين. وسفراؤه هم:

- عثمان بن سعيد [4].
- ومحمد بن عثمان [5].
- والحسين بن روح [1].

1- علل الشرائع: ج1 ص243، بحار الأنوار: ج52 ص90، ميزان الحكمة: ج1 ص184.

2- علل الشرايع: ج1 ص224، بحار الأنوار: ج52 ص90.

3- الكافي: ج1 ص340، بحار الأنوار: ج52 ص155.

4- عثمان بن سعيد العمري، يكنى أبا عمرو السمّان ويقال له الزيّات الأسدي، وهو جليل القدر، له منزلة عظيمة عند الأئمة عليهم السلام، فحظي برضى الأئمة وتوثيقهم له عند توكيله من قبلهم عليهم السلام. والسمّان: قيل إنّه كان يتّجر بالسمن تغطية على الأمر؛ لأنّه كان ينقل الأسئلة من الشيعة ويوصلها للائمة عليهم السلام ويأتيهم بأجوبة الرسائل توجيهات أئمتهم عليهم السلام، فكان الشيعة يرسلون رسائلهم وغيرها عبر عثمان بن سعيد، وهو يخفيها في جراب السمن، ويحمله إلى أبي محمد عليه السلام تقية وخوفاً. وقد توكل للأئمة الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام، وقام بدور الواسطة بينهم وبين قواعدهم الشعبية الموالية. وقبره على ما جاء في غيبة الشيخ الطوسي بالجانب الغربي من مدينة السلام - يعني بغداد - وهو يزار ويقع في منطقة الميدان في أول الموضع المعروف بدرب جبلة ببغداد. ومدة سفارته للإمام المهدي عليه السلام حوالي خمس سنوات، توفي سنة 266 هـ. راجع غيبة الشيخ الطوسي : ص353 وما بعدها.

5- محمد بن عثمان بن سعيد العمري: يكنّى أبا جعفر، له منزلة جليلة بعد أبيه عند الإمام المهدي عليه السلام. حيث استلم الشيخ العمري السفارة بعد وفاة أبيه و قام مقامه بناءً على كتاب التعزية والتولية الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام. ومدة سفارته حوالي الخمسين سنة، توفي سنة 305 ه . وقبره عند والدته في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه. راجع غيبة الطوسي : ص366 .

- وعلي بن محمد [2].

وانقطعت السفارة واتصال المؤمنين بالإمام (عليه السلام) بموت علي بن محمد السمري(رحمه الله)، ووقعت الغيبة التامة.

* * *

أسباب الغيبة

الإمام (عليه السلام) لطف إلهي بالمؤمنين، ووجوده ظاهراً بينهم فيه حثّ كبير لهم على الالتزام الديني، فإذا امتنع ظهوره لخوف القتل مثلاً، فإنّ وجود سفير له (عليه السلام) أفضل بكثير من غيبته التامة؛ لأنّ السفير هو القائد البديل للإمام (عليه السلام) الذي ينقل أوامره (عليه السلام)، فوجوده - أي السفير - كذلك لطف إلهي؛ لأنّ وجوده شبه وجود المعصوم، حيث بوجود السفير يمكن الاتصال بالإمام ومعرفة الأحكام الشرعية الصحيحة، وخصوصاً ما يستجد منها مع مرور الزمن، وإذا كان الأمر كذلك فما هو سبب الغيبة التامة؟!

وللإجابة هناك عدة فروض منها:

1- الخوف من اغتياله من قبل الطواغيت:

وهذا يمكن أن يكون صحيحاً إذا كان الإمام ظاهراً للجميع، أما إذا كان غائباً غيبة غير تامة، أي بوجود سفير فيكون الإمام (عليه السلام) بعيد عن أعين الطواغيت ومكرهم السيئ، خصوصاً أنه (عليه السلام) مؤيد من الله. وفي نفس الوقت يتصل بالمؤمنين ويوصل إليهم الأحكام الشرعية والتوجيهات التي يحتاجو ا، إذن للتخلّص من خطر الطواغيت يكفي الغيبة غير التامة مع السفارة، فلا داعي للغيبة التامة، والله أعلم.

1- أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي: توفي الحسين بن روح في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمئة ه، وله قبر يزار في النوبختية في الدرب الذي كانت فيه دار على بن أحمد النوبختي النافذ إلى التل، منطقة سوق الشورجة بجانب الرصافة ببغداد، الحسين بن روح النوبخت، ومدة سفارته حوالي الواحد وعشرين عاماً، توفي 326 ه . راجع ترجمته في غيبة الشيخ الطوسي : ص367 وما بعدها.

2- علي بن محمد السمري: يكنّى بأبي الحسن، تولى السفارة من حين وفاة أبي القاسم بن روح عام 326 إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام 329 في النصف من شعبان، فتكون مدة سفارته ثلاثة أعوام، وقبره يزار في منطقة سوق السراي في جانب الرصافة ببغداد. راجع غيبة الطوسي :ص393 وما بعدها.

2- عدم وجود شخص مؤهل للسفارة والنيابة الخاصة عن الإمام عليه السلام:

حيث إنّ السفير عند الإمام يجب أن يتمتع بكثير من صفات الإمام عليه السلام، فلا أقل من درجة عالية من الزهد والتقوى والورع ومخافة الله والمقدرة على إدارة شؤون الأمة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وأن يكون فقيهاً، أي: إنه على دراية بحديث المعصومين عليهم السلام، لا أن يكون فقيهاً بالمعنى المتعارف اليوم.

فالسفير لا يقوم باستنباط الأحكام الشرعية، بل هو مؤمن مخلص يقوم بنقل الأحكام الشرعية من الإمام عليه السلام إلى الأمة، كما أنه مع وجود سفير للإمام عليه السلام لا يجوز لأحد استنباط حكم فقهي برأيه، وإن كان فقيهاً جامعاً للشرائط المتعارفة اليوم.

وهذا يمكن أن يكون سبباً للغيبة التامة، ولكن عدم وجود شخص واحد مؤهل للسفارة أمر بعيد، هذا وقد ورد في حديثهم عليهم السلام ما معناه: إنّ الإمام لا يستوحش من وحدته عليه السلام في زمن الغيبة مع وجود ثلاثين مؤمن من الصالحين [1].

3- إعراض الأمة عن الإمام عليه السلام:

وعدم الاستفادة منه استفادة حقيقية، وعدم التفاعل معه كقائد للأمة، فتكون الغيبة التامة عقوبة للأمة، وربما يكون من أهدافها إصلاح الأمة بعد تعرضها لنكبات ومآسي بسبب غياب القائد المعصوم. فتكون الغيبة الكبرى شبيهة بتيه بني إسرائيل في صحراء سيناء، أي: إ ا عقوبة إصلاحية، الهدف منها خروج جيل من هذه الأمة مؤهل لحمل الرسالة الإلهية إلى أهل الأرض، جيل لا يرضى إلاّ بالمعصوم قائداً، ولا يرضى إلاّ بالقرآن دستوراً وشعاراً ومنهاجاً للحياة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف إعراض هذه الأمة عن الإمام والقرآن: (**وإنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله!! وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيءٌ أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حُملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذٍ وأهله منفيان طريدان وصاحبان**

1- روى الشيخ الكليني: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولابد له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة، وما بثلاثين من وحشة**) الكافي: ج1 ص340، غيبة النعماني: ص 194، غيبة الطوسي: ص 162. وما في غيبة الطوسي فيه اختلاف يسير.

مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤو!! فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم؛ لأنّ الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم! فلم يبق عندهم منه إلاّ اسمه، ولا يعرفون إلاّ خطه وزبره!! ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثله، وسمّوا صدقهم على الله فرية، وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة) [1].

والدال على أنّ سبب الغيبة التامة هو إعراض الأمة عدة أمور، منها:

أ- التوقيعات الصادرة عنه (عليه السلام) عن طريق سفرائه قليلة جداً، مما يدل على أنّ الأسئلة الموجهة إليه قليلة أيضاً.

ولعل قائل يقول: إنّ التوقيعات كثيرة، ولكن لم يصل لنا منها إلاّ هذا العدد الضئيل.

والحق: إنّ هذا الاعتراض لا ينطلي على من تدبر قليلاً، فلو كانت التوقيعات كثيرة لوصل لنا منها الكثير وإن ضاع منها شيء، فحتماً أنّ أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام الصادق والإمام الرضا (عليهما السلام) لم تصل لنا جميعها، ولكن وصل لنا منها الكثير، وأحاديث الإمام (عليه السلام) ليست ببدع من أحاديث الأئمة (عليهم السلام)، والظروف التي أحاطت ا ليست بأعظم من الظروف التي أحاطت بخطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى وصل لنا منها كتاب ج البلاغة.

كما أنّ علماء الشيعة في زمن الغيبة الصغرى كانوا يهتمون في كتابة أحاديث الأئمة (عليهم السلام)، وعرض كتبهم على الإمام (عليه السلام) عن طريق السفراء، ومن هذه الكتب الكافي للكليني (رحمه الله)، فلماذا لم يهتم أحد منهم بكتابة التوقيعات الصادرة منه (عليه السلام) ؟!

والحقيقة أ م اهتموا بكتابتها، ولكنها قليلة.

ويدل على إعراض الناس عن العلم والإمام ما قدم الكليني في كتابه الكافي. هذا والكليني عاش في زمن الغيبة الصغرى، ومات في اية أيامها على الأصح، فقد مات في شعبان سنة 329 هـ ق، أي في نفس الشهر والسنة التي مات ا علي بن محمد السمري، آخر السفراء الأربعة.

قال الكليني(رحمه الله): (أما بعد، فقد فهمت ما شكوت اصطلاح أهل دهرنا على الجهالة، وتوازرهم وسعيهم في عمارة طرقها، ومباينتهم العلم وأصوله، حتى كاد العلم معهم إن يأزر كلّه، وينقطع مواده، لما قد رضوا إن يستندوا إلى الجهل، ويضيعوا العلم وأهله) [2].

1- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص 31، بحار الأنوار: ج34 ص233.

2- الكافي: ج1 ص5.

وقال: (فمن أراد الله توفيقه وأن يكون إيمانه ثابتاً مستقراً سبب له الأسباب التي تؤديه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله بعلم يقين وبصيرة، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرواسي، ومن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معاراً مستودعاً - نعوذ بالله منه - سبب له الأسباب للاستحسان والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة، فذاك في مشيئة الله إن شاء الله تبارك وتعالى أتم إيمانه وإن شاء سلبه إياه، ولا يؤمن عليه إن يصبح مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً؛ لأنه كلما رأى كبيراً من الكبراء مال معه، وكلما رأى شيئاً استحسن ظاهره قبله. وقد قال العالم عليه السلام [(1)]: (**إنّ الله عزّ وجل خلق النبيين على النبوة فلا يكونون إلاّ أنبياء، وخلق الأوصياء على الوصية فلا يكونون إلاّ أوصياء، وأعار قوماً الإيمان فإن شاء أتمه لهم، وإن شاء سلبهم إياه،** قال: **وفيهم جرى قوله:** **﴿فَمُسْتَقَرٌ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾**) [(2)].

فاعلم يا أخي أرشدك الله أنه لا يسع أحد تمييز شيء مما اختلف الرواية فيه عن العلماء عليهم السلام برأيه، إلاّ على ما أطلقه العالم بقوله: (**اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عزّ وجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه**)، وقوله عليه السلام: (**دعوا ما وافق القوم، فإنّ الرشد في خلافهم**)، وقوله عليه السلام: (**خذوا با مع عليه فإنّ ا مع عليه لا ريب فيه**). ونحن لا نعرف من جميع ذلك إلاّ قلة، ولا نجد شيئاً أحوط ولا أوسع من رد علم ذلك كلّه إلى العالم عليه السلام [(3)]، وقبول ما أوسع من الأمر فيه بقوله: (**بأيهما أخذتم من باب التسليم وسعكم**) [(4)].

ب- ورد عنهم عليهم السلام إنه مظلوم، وإنه أخملهم ذكراً:

قال الباقر عليه السلام: (**الأمر في أصغرنا سناً، وأخملنا ذكراً**) [(5)].

فخمول ذكره بين الشيعة دال على أعراضهم عنه عليه السلام.

ج - خرج منه عليه السلام توقيع إلى سفيره العمري، جاء فيه: (... **وأمّا علة ما وقع من الغيبة، فإنّ الله عزّ وجل قال:** **﴿يَا أيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَسْألوا عَنْ أشْيَاءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾** [(6)]) [(7)].

وربما يفهم من هذا الحديث أنكم سبب من أسباب الغيبة، والحر تكفيه الإشارة.

1- المقصود به الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، فهذا أحد ألقابه .
2- الأنعام : 98.
3- أي الإمام صاحب الأمر ، منه عليه السلام.
4- الكافي: ج1 ص8 .
5- غيبة النعماني: ص191، بحار الأنوار: ج51 ص43.
6- المائدة : 101.
7- كمال الدين: ص485، غيبة الطوسي: ص292، الاحتجاج: ج2 ص284، بحار الأنوار: ج52 ص92.

وبعد جوابه على مسائل الحميري التي سألها، قال (عليه السلام): (**بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون ولا من أوليائه تقبلون، ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾**[1]**، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**)[2].

ولا يخفى ما في كلامه (عليه السلام) من ألم سببه إعراض هذه الأمة عن الحق وعنه (عليه السلام)، ونحن أيها الأحبة لو كنا موقنين أنه حجة الله علينا لعملنا ليلاً و ا راً لتعجيل فرجه، ولقدمناه على النفس والمال والولد.

د- ركون الأمة للطاغوت وإعانته بأي شكل كان ولو بالأعمال المدنية التي يعتقد الناس إباحتها، وهذا بيِّنٌ لمن تصفّح التاريخ وخصوصاً في زمن الغيبة الكبرى. فقد أعان الطاغوت كثير من العلماء والجهلاء على السواء، مع أنّ الإمام الكاظم (عليه السلام) اعترض على صفوان (رضي الله عنه)؛ لأنه أجر جماله للطاغوت العباسي هارون ليذهب ا إلى الحج.

قال تعالى: **﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾**[3].

قال الشيخ محمد رضا المظفر (رحمه الله): (هذا هو أدب القرآن الكريم وهو أدب آل البيت(عليهم السلام)، وقد ورد عنهم ما يبلغ الغاية من التنفير عن الركون إلى الظالمين الاتصال م ومشاركتهم في أي عمل كان ومعاونتهم ولو بشق تمرة، ولا شك أن أعظم ما مني به الإسلام والمسلمون هو التساهل مع أهل الجور والتغاضي عن مساوئهم والتعامل معهم، فضلاً عن ممالئتهم ومناصر م وإعانتهم على ظلمهم، وما جر الويلات على الجامعة الإسلامية إلا ذلك الانحراف عن جدد الصواب والحق، حتى ضعف الدين بمرور الأيام فتلاشت قوته ووصل إلى ما عليه اليوم فعاد غريباً وأصبح المسلمون أو ما يسمون أنفسهم بالمسلمين وما لهم من دون الله أولياء، ثم لا ينصرون حتى على أضعف أعدائهم وأرذل ا ترئين عليهم كاليهود الأذلاء فضلاً عن الصليبيين الأقوياء.

لقد جاهد الأئمة (عليهم السلام) في إبعاد من يتصل م عن التعاون مع الظالمين، وشددوا على أوليائهم في مسايرة أهل الظلم والجور وممالئتهم، ولا يحصى ما ورد عنهم في هذا الباب ومن ذلك ما كتبه الإمام زين العابدين إلى محمد بن مسلم الزهري بعد أن حذره عن إعانة الظلمة على ظلمهم: (**أو**

1- القمر : 5.
2- الاحتجاج: ج2 ص316، بحار الأنوار: ج91 ص2، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) : ج4 ص349.
3- هود : 113.

ليس بدعائهم إياك حين دعوك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم وسلماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيهم سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دونما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أقل ما أعطوك في قدر ما اخذوا منك، وما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر إليها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول) [1].

وقال: (وأبلغ من ذلك في تصوير حرمة معاونة الظالمين حديث صفوان الجمال مع الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وقد كان من شيعته ورواة حديثه الموثوقين، قال - حسب رواية الكشي في رجاله - بترجمة صفوان، دخلت عليه فقال لي: (يا صفوان كل شيء منك حسن جميل خلا شيئاً واحداً، قلت: جعلت فداك أي شيء؟ قال عليه السلام: **إكراك جمالك من هذا الرجل** – يعني هارون – قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق – يعني مكة – ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني، قال: **يا صفوان أيقع كراك عليهم؟** قلت: نعم، جعلت فداك. قال عليه السلام: **أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟** قلت: نعم، قال عليه السلام: **فمن أحب بقائهم فهو منهم، ومن كان منهم فهو كان ورد النار**، قال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن أخرها) [2].

فإذا كان نفس حب حياة الظالمين وبقائهم بهذه المنـزلة! فكيف حال من يدخل في زمرهم أو يعمل بأعمالهم أو يواكب قافلتهم أو يأتمر بأمرهم. إذا كان معاونة الظالمين لو بشق تمرة بل حب بقائهم من أشد ما حذر عنه الأئمة عليهم السلام، فما حال الاشتراك معهم في الحكم والدخول في وظائفهم وولايتهم، بل ما حال من يكون من جملة المؤسسين لدولتهم، أو من كان من أركان سلطانهم والمنغمسين في تشييد حكمهم (وذلك إن ولاية الجائر دروس الحق كله وإحياء الباطل كله وإظهار الظلم والجور والفساد كما جاء في حديث تحف العقول) [3].

إنّ العمل في الدوائر المدنية فضلاً عن الحربية في دولة الطاغوت إعانة للطاغوت على البقاء في الحكم، وبالتالي فهي إعانة لأعداء الإمام المهدي عليه السلام، ولا تستهينوا بهذا الأمر ففي الدول التي

1- عقائد الإمامية: ص113.
2- اختيار معرفة الرجال: ج2 ص470، وسائل الشيعة: ج17 ص182.
3- عقائد الأمامية: ص114.

تتمتع شعو ا بشيء من الحرية إذا أراد جماعة معينة الضغط على حكومة ذلك البلد لتحقيق مطالب معينة أعلنوا إضراباً عن العمل.

فالحكومات الطاغوتية متقومة بكم أيها العمال والمهندسون والموظفون، أنتم العمود الرئيسي الذي يرتكز عليه الطاغوت.

ولعل بعضكم يقول: ماذا نفعل؟ والحال اليوم أ م متسلطون على رقابنا.

أقول: إ م متسلطون على رقابنا منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لا لعيب في الأوصياء – الإمام علي وولده عليهم السلام - ، ولكن العيب فينا نحن إننا دائماً متخاذلون عن نصرة الحق، وربما عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيقول كثيرون هذا ليس المهدي عليه السلام؛ ليعطوا أنفسهم عذراً لتركهم نصرة الإمام المهدي عليه السلام كما فعل أهل مكة واليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم في خلقه العظيم وأمانته وصدقه وتنـزهه عن الكذب في أمور الدنيا، فكيف يكذب على الله سبحانه؟! كما أنهم عرفوه بالآيات والمعجزات التي أيده الله ا، ولكنهم وجدوه يمثل جبهة الحق التي تصطدم بمصالحهم، ووجدوه يدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله مما يعرض حيا م للخطر، فخذلوه ونصره الله سبحانه. وسيخذل كثيرون الإمام المهدي عليه السلام وسينصره الله سبحانه.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: (**لينصرن الله هذا الأمر بمن لا خلاق له، ولو قد جاء أمرنا لقد خرج منه من هو اليوم مقيم على عبادة الأوثان**) [(1)].

وعبادة الأوثان، أي طاعة الطواغيت ومساير م، بل واتباع الهوى.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (**إذا خرج القائم، خرج من هذا الأمر من كان يُرى أنّه من أهله، ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر**) [(2)]، أي: يخرج من نصرة الإمام عليه السلام بعض الذين يدعون التشيع ويرون أ م من أنصار الإمام المهدي عليه السلام، ويدخل في صفوف أنصاره قوم من غير الشيعة، بل لعلهم من غير المسلمين بعد أن يعرفوا الحق ويشايعوا آل محمد عليهم السلام. قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشقةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [(3)].

1- غيبة الطوسي: ص450، بحار الأنوار: ج52 ص329، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص423.
2- غيبة النعماني: ص332، بحار الأنوار: ج52 ص364، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص501.
3- التوبة :42.

وفي واقعة كربلاء وقف عمر بن سعد (لعنه الله) بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام) يعتذر عن بقائه مع الطاغوت، بأنه يخاف القتل ويخاف أن تهدم داره ويخاف أن تسبى نساؤه ويخاف ... ويخاف ... ويخاف.

فلنحذر جميعاً أن نكون اليوم وغداً كعمر بن سعد (لعنه الله)، نخذل الحق ونعتذر بأعذار قبيحة وحجج واهية.

وأكتفي بهذا القدر، على أن سبب الغيبة هو: تقصير الأمة، وإلاّ فالأدلة أكثر مما ذكرت. فإذا عرفنا أنّ أهم أسباب الغيبة التامة هو إعراض الأمة عن الإمام (عليه السلام) أصبح واجبنا جميعاً العمل لظهوره ورفع أسباب غيبته التامة، بإعلاء ذكره وإظهار حقّه وتهيئة الأمة للاستعداد لنصرته عند ظهوره وقيامه، ونشر الدين وطمس معالم الضلال والشرك، والقضاء على الطواغيت وأعوانهم، الذين يمثلون أهم أعداء الأمام المهدي (عليه السلام) [1].

* * *

1- عن مروان الأنباري قال: خرج من أبي جعفر (عليه السلام): **(إن الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم)** علل الشرائع: ج1 ص244.

العمل لتعجيل فرج الإمام المهدي (عليه السلام)

قال تعالى: **إنا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** [(1)].

عن الفضل بن قرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: (**أوحى الله إلى إبراهيم (عليه السلام) أنه سيولد لكَ، فقال لسارة، فقالت: ألد وأنا عجوز؟ فأوحى الله إليه أنا ستلد ويعذب أولادها أربعمائة سنة بردها الكلام عليّ.** قال: **فلما طال على بني إسرائيل العذاب ضجوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى موسى وهارون يخلصهم من فرعون فحط عنهم سبعين ومائة سنة.** قال: فقال أبو عبد الله (عليه السلام): **هكذا أنتم لو فعلتم لفرج الله عنا، فأمّا إذ لم تكونوا فإنّ الأمر ينتهي إلى منتهاه**) [(2)].

وهذا العمل مسؤولية الجميع، علماء الدين والشعوب الإسلامية المستضعفة، فعلماء الدين قدموا أنفسهم في موضع قيادة الأمة سواء صرحوا بذلك أم لا؛ لأنهم تصدوا أمام الله سبحانه وتعالى ووقفوا في باب ملكوته متمثلين بالأنبياء والمرسلين. فعليهم إن يسيروا بسير م ويعملوا، فمن لم يكن منهم أهلاً لذلك كان عليه إن لا يضع نفسه في هذا الموضع الخطير فيكون من قطاع طريق الله سبحانه وتعالى، فيؤول به الأمر إلى خسران الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، إذن فعالم الدين قائد للأمة ومصلح الأمة **وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ** [(3)]، وهو سائر في طريق الله سبحانه وداعٍ إلى الله بأذنه فلا يطلب الدعة والراحة في هذا الطريق، وإذا وجدها في يوم من الأيام قبل دولة الحق فليتهم نفسه وليراجع مسيرته.

قال الإمام علي (عليه السلام): (**لو أحبني جبل لتهافت**) [(4)]، فعالم الدين يجب إن يفكر ويعمل ليلاً و اراً للتهيئة لإقامة دولة الحق، وللنصح لقائد هذه الدولة الوصي الخاتم (عليه السلام).

أما الشعوب الإسلامية المستضعفة فعليها العودة إلى الإسلام والقرآن بعد أن انسلخت منه ولم يبق فيها من الإسلام إلاّ اسمه، ومن القرآن إلاّ رسمه. فهي مكلفة بعملية التهيئة لدولة الحق أفراداً

1- الأحزاب : 72.

2- تفسير العياشي: ج2 ص154، بحار الأنوار: ج4 ص118، مستدرك الوسائل: ج5 ص239.

3- قال تعالى: (**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**) التوبة :122.

4- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج4 ص26، بحار الأنوار: ج4 ص284، ميزان الحكمة: ج1 ص520.

وجماعات وخصوصاً النخبة المؤمنة المثقفة فيها، حيث يقع على عاتقهم جزء كبير من عملية إصلاح الأمة و يئتها لنصرة الحق وأهله، ومقارعة الباطل ورموزه الشيطانية من الأنس والجن.

والحمد لله الذي من علينا بمحمد وآل محمد ﷺ قادة نقتفي أثرهم. فهم عليهم السلام نصروا الحق وقارعوا الباطل، وكانوا يعملون ليلاً و اراً لنشر كلمة لا إله إلاّ الله، مرة بالإعلام وبسيوف من الكلام كان لها أثرها الواضح في القضاء على دولتي بني أمية وبني العباس، ولا تزال إلى اليوم تأخذ أثرها في النفوس كسلاح قوي لهدم دولة الطاغوت والقضاء عليه، كما فعل الإمام الحسن عليه السلام.

ومرة أخرى عندما تتوفر الظروف الملائمة يجاهد آل محمد عليهم السلام بالثورة المسلحة، وبالسيف وإراقة الدماء في سبيل الدين، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام. وهكذا كانوا عليهم السلام أعلاماً للجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتدي م الثائرون، فلم يهنوا ولم ينكلوا في مقارعة الطواغيت حتى قضوا بين مسموم ومقطّع بالسيوف، فعلينا جميعا اليوم أن نقتفي أثرهم عليهم السلام في نشر الدين ومقارعة الظالمين والقضاء عليهم والتهيئة لدولة الحق، وإعلاء كلمة لا إله إلاّ الله في الأرض، ونشر عبادة العباد لخالقهم، والقضاء على عبادة العباد للعباد وما يرافقها من الفساد.

كما يجب فضح أئمة الفساد الذين يسمون أنفسهم علماء، الذين يحاولون فصل الحسن عن الحسين (عليهما السلام)، ويقولون إنّ الإمام الحسن عليه السلام صامت ويدعون أ م يتابعون سيرته، فتعساً لهم. ولو كان آل محمد عليهم السلام صامتين لما قطعت السموم أحشاءهم!! إنّ آل محمد عليهم السلام قوم القتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة، وما منهم إلاّ مقتول كما ورد عنهم عليهم السلام [(1)]، فلا ألفين خسيساً يحمل جبنه عليهم ليعتذر عن خذلانه للحق، و والله إني لأستعظم تقريع الجبناء.

* * *

1- روي عن رسول الله ﷺ: **(ما منّا إلاّ مقتول أو مسموم)** كفاية الأثر: ص163، بحار الأنوار: ج27 ص217، ميزان الحكمة: ج2 ص1518.

أهم الأعمال لتعجيل فرج الإمام عليه السلام

أما أهم الأعمال لتعجيل فرج الإمام فهي:

1 - التفقه في الدين:

ويشمل:

أ- قراءة القرآن وتفسيره:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (**أيها الناس إنكم في زمان هدنة، وأنتم على ظهر سفر والسير بكم سريع، فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدّوا الجهاز لبعد المفاز.** فقام المقداد، فقال: يا رسول الله ما دار الهدنة؟ قال: **دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفع وماحل** [(1)] **مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، له ظهر وبطن ، فظاهره حكمة، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم** [(2)]**، لا تحصى عجائبه، ولا يبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعروف لمن عرفه**) [(3)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (**سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أتاني جبرائيل فقال: يا محمد سيكون في أمتك فتنة. فقلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله، فيه بيان ما قبلكم من خبر وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من وليه من جبار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغه** [(4)] **الأهوية، ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق على الرد** [(5)]**، ولا ينقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء، وهو الذي لم تكنه** [(6)] **الجن إذ سمعه إذ قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدي إلى صراط**

1- يقال : محل به إلى السلطان محلاً، أي : كاده بسعاية إليه. فالقرآن ماحل مصدَّق إذا سعى برجل إلى الله صدّقه عزّ وجل.

2- الأنيق: هو الحسن. والتخوم جمع تخم بالفتح، وهو : منتهى الشيء.

3- تفسير العياشي: ج1 ص3، بحار الأنوار: ج89 ص17.

4- في بعض نسخ تفسير العياشي: لا تذيقه.

5- في بعض نسخ تفسير العياشي: عن كثرة الرد.

6- في بعض نسخ تفسير العياشي: تلبث . وفي بعضها : تناه.

مستقيم، هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [(1)].

وورد في الحديث أنّ ثلاثة يشتكون إلى الله يوم القيام للحساب، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال: (يجيء يوم القيامة ثلاثة يشتكون: المصحف والمسجد والعترة. يقول المصحف: يا رب حرّفوني ومزقوني. ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني. وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا. فأجثوا للركبتين في الخصومة، فيقول الله جل جلاله لي: أنا أولى بذلك) [(2)].

القرآن والعترة والمسجد. فهل أنتم أيها الأخوة مستعدون لمواجهة هؤلاء الخصوم الثلاثة بين يدي الله عز وجل؟.

والأول: هو كتاب الله الماحل المصدق. والثاني: هو خليفة الله في أرضه. والثالث: هو بيت الله.

والحق أنّ أهل الأرض جميعاً لا يقوون على هذه المواجهة، فإذا كان الأمر كذلك فلنعمل جميعاً للنصح لهؤلاء الثلاثة، لنلتقي بهم يوم القيامة وهم راضون عنا، فلنعيد للمسجد مكانته الحقيقية ونبث فيه ومنه علوم القرآن وحديث أهل البيت عليهم السلام، ولنتذكر الإمام صاحب الزمان عليه السلام في كل الأحوال، وهو الذي يمثل العترة اليوم، ولنقدم قضيته على جميع القضايا، ولنقرأ القرآن ولا أعني الألفاظ فحسب، بل تدبر معانيها واستقراء مداليلها والعمل بها، والتخلق بأخلاق القرآن، ونشرها في المجتمع بعد العمل بها، فالذي يأمر الناس بمكارم الأخلاق ولا يطبقها لا يكون له أي تأثير فيهم، بل ربما تكون النتيجة عكسية. وقد ورد عنهم عليهم السلام ما معناه: (كونوا لنا دعاة صامتين) [(3)]، أي: بالعلم والعمل والسيرة الحسنة بين الناس لا بالقول فقط الذي هو أداة التعبير والدعوة الأساسية، وجاء في الكتاب الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [(4)].

1- تفسير العياشي: ج1 ص3، بحار الأنوار: ج89 ص24.

2- الخصال للشيخ الصدوق: ص175، بحار الأنوار: ج7 ص223، وسائل الشيعة (طبعة آل البيت): ج5 ص202 وفيه: أولى بذلك منك.

3- دعائم الإسلام: ج1 ص57، شرح الأخبار: ج3 ص506، مستدرك الوسائل: ج1 ص116. والحديث عن الإمام الصادق عليه السلام.

4- الصف: 2 - 3.

وأخلاق القرآن تؤخذ من القرآن ومن أهل القرآن محمد وآل محمد ﷺ. والحمد لله ورد عنهم في الحديث والدعاء والتفسير كثير جداً، وهو ثروة أخلاقية لا تنضب، ومع الأسف القرآن اليوم مهجور وميت في الحوزة العلمية في النجف الأشرف فضلاً عن غيرها، فالبحث يدور في المساجد التي أنشأها القرآن حول الكتب المنطقية والفلسفية والكلامية والنحوية، التي يدعون دراستها وتدريسها لفهم القرآن والسنة، في حين أنك لا تجد من يهتم بدراسة كتاب الله والبحث في تفسيره، وإذا وجد مثل هذا الاهتمام من قبل بعض المؤمنين فهو قليل يكاد لا يذكر!

قال تعالى: **﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾**[1]. وقال رسول الله ﷺ في وصف حالنا اليوم: (**مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى**)[2]، أي عامرة بالناس ولكنهم ليسوا على الطريق الذي رسمه القرآن ومحمد وآل محمد ﷺ.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف معظم أهل العلم في زماننا هذا: (**نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته**)[3]، أي المفروض أنهم حملته وحفظته، وهم طلبة العلوم الدينية والعلماء.

هذا، وإن وجِد بحث في الكتاب الكريم فهو يدور حول آراء المفسرين التي لا يعدو كثير منها محاولات لصب آيات القرآن ضمن مجال القواعد النحوية والفلسفية وغيرها، مع أنّ كثيراً منها استقرائية تحتمل الخطأ وكثيراً منها خلافية لم يتحرر الـ اع فيها. ولو أنهم فسروا الكتاب على ما ورد في روايات أهل بيت العصمة ولم يتعدوا الصراط المستقيم الذي رسمه أهل البيت عليهم السلام لتدبر القرآن وتفسير آياته لكان خيراً لهم وأقرب للتقوى. ولكن أنى لهم ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف حال أهل هذا الزمان مع القرآن: (**وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه**)[4].

ويجب الالتفات إلى أنّ معرفة تفسير كتاب الله غير مقتصرة على طلبة الحوزة العلمية فقط، بل على كل مسلم معرفة تفسير كتاب الله ما أمكن. ومهمة طلبة الحوزة هي تعلم التفسير الصحيح وتعليمه للناس في المساجد وفي غيرها، ويجب أن تفتح دورات لتعليم تفسير كتاب الله في كل مكان.

1- الفرقان : 30.
2- الكافي: ج8 ص308، ثواب الأعمال: ص253، بحار الأنوار: ج2 ص109.
3- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص31، الكافي: ج8 ص387، بحار الأنوار: ج34 ص233.
4- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص30، الكافي: ج8 ص378 باختلاف يسير، بحار الأنوار: ج34 ص233.

فالعقائد الإسلامية الصحيحة كلّها في كتاب الله ومعرفة تفسيره وتأويله الصحيح ومباحثة كتاب الله باستمرار، وإدراك معانيه ومفرداته ينكشف للمجتمع الإسلامي كله مغالطات أئمة الضلال، أمثال ابن تيميه، وابن عبد الوهاب، وا اما م الباطلة للمسلمين بالشرك،كما وينكشف الطواغيت وأعوا م وخططهم الشيطانية التي يهدفون من ورائها تضليل ا تمع الإسلامي.

ب - العقائد الإسلامية الصحيحة تعلمها وتعليمها:

وهي العقائد المستقاة من الآيات القرآنية المحكمة والسنة. أما الآيات القرآنية المتشا ة فيجب إحكامها ومعرفة تفسيرها وتأويلها من الروايات التي وردت عن النبي وآله الأطهار ﷺ، لا أن يؤولها كل واه ويعتقد ما يشاء.

ونصيحتي لإخواني المؤمنين:

تحصيل العقائد من القرآن المفسر بروايات أهل البيت عليهم السلام وبثها في ا تمع الإسلامي؛ ليكون مجتمعاً دينياً عقائدياً تزول الجبال ولا يزول عن عقائده القرآنية الصحيحة؛ ليكون بذلك ا تمع الإسلامي مستعداً لاستقبال ونصرة الإمام المهدي عليه السلام.

ج- الأحكام الشرعية:

وتعلّمها واجب على كل مسلم؛ لأنه مبتلى ا في حياته كمعاملات ومكلّف بأدائها كعبادات، بل إنّ واجب كل مسلم بعد أن يتعلّمها أو يتعلّم بعضها أن يعلم إخوانه المسلمين.

والحقيقة أنّ الموجود في معظم كتب الفقه اليوم هو فتاوى وأحكام شرعية كلية تنطبق على مصاديق كثيرة في الخارج، أي: في مجتمعنا الإسلامي وتطبيقها على مصاديقها ليس بأقل أهمية منها، بل دون تطبيقها على مصاديقها لا تكون لها أي فائدة عملية، فواجب طلبة الحوزة العلمية العاملين حفظهم الله من كل سوء هو تطبيق هذه الأحكام الكلية على مصاديقها في مجتمعهم الإسلامي، وتنبيه الناس إلى المحرمات الكثيرة التي استهانوا ا، بل على بعض طلبة الحوزة العاملين أن يتصدوا لكتابة تطبيق الأحكام الشرعية على مصاديقها في ا تمع الإسلامي، وهذا واجب كفائي ربما يأثم بتركه الجميع.

2- العمل بالشريعة الإسلامية المقدسة:

وطبعاً المهم من الشريعة هو العمل بها، حيث بدونه تكون معطّلة. والعمل مرة يختص بالفرد، ومرة يختص بعلاقته بالمجتمع. فعلى كل مسلم بعد أن يعرف ما له وما عليه بالشريعة المقدسة أن يؤدي ما عليه ويطالب بما له دون زيادة. وله أن يعف ويتسامح مع الناس في حقوقه، طلباً لرضا الله سبحانه.

والعاقل لا يضيع حظّه من هذه الدنيا وفرصته فيها من السير إلى الله، ولا أعني فقط بأداء الواجبات، بل المستحبات وأهمّها الدعاء وصلاة الليل، بل النوافل اليومية جميعها، والصيام وزيارة الأنبياء والأئمة (ع) والصالحين والشهداء والاعتبار بأعمالهم واقتفاء آثارهم، وقضاء حوائج المؤمنين والنصح لهم وإرشادهم والرحمة والرأفة بهم، وبغض الطواغيت وأعوانهم ومزايلتهم، فهم ينصبون العداء لآل محمد (ع) وخصوصاً لخاتمهم المهدي (ع). وأفعال هؤلاء الطواغيت وأعوانهم دالة على أنهم نواصب فيجب إجراء أحكام النواصب عليهم، فليس العمل بالشريعة هو العبادة فقط، بل المعاملة الحسنة مع الناس وليست المعاملة الحسنة باللين والرحمة فقط، بل وبالشدة والغلظة أحياناً ولكل أهل، فمع المؤمنين يتعامل المؤمن بالرحمة واللين، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكلْ عَلَى اللهِ إِن اللهَ يُحِب الْمُتَوَكِلِينَ﴾[1]. ومع الطواغيت وأعوانهم يتعامل بالشدة والغلظة، قال تعالى: ﴿يَا أَيهَا النبِي جَاهِدِ الْكُفارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2].

وفي الكافي عن أبي عبد الله (ع)، قال: (قال رسول الله (ص) لأصحابه: أي عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله (ص): لكل ما قلتم فضل، ولكن ليس به. ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، وتولي أولياء الله، والتبري من أعداء الله)[3].

1- آل عمران : 59.
2- التوبة : 73.
3- الكافي: ج2 ص125، المحاسن: ج1 ص264، وسائل الشيعة: ج16 ص177، بحار الأنوار: ج66 ص242.

وعن علي بن الحسين قال: (**إذا جمع الله ﷻ الأولين والآخرين قام مناد فنادي ليسمع الناس، فيقول: أين المتحابّون في الله، يقوم عنق من الناس. فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب، فيقول الملائكة: فأي ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله.**

قال: **فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله. فيقولون: نِعم أجر العاملين**) [1].

وعن أبى جعفر(عليه السلام)، قال: (**قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ألا ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله، فهو من أصفياء الله**)[2].

وليست الشريعة الإلهية داعية للتميع أو دافعة للتخنث. فباسم الدين تجد من يتماوت في مشيته ويخفض صوته حتى لا يكاد يسمع. وباسم العرفان والأخلاق تجد من يسمي نفسه عالماً أو يسميه الجهال عالماً وهو تارك لأهم واجب في الإسلام الذي به تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعجيب أمر هؤلاء!! والأعجب أمر من يحترم هذه النماذج السلبية ويقدسها!! والحال إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين شديداً مع الكافرين، حتى ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ما معناه أ م يحتمون به في المعارك [3].

ثم إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يصفه بأنه كالطبيب الدوار بأدويته [4]، أي: إنه شديد الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبتبليغ الناس. فأي عرفان هذا، وأي أخلاق هذه التي تأمر صاحبها أن يسير عكس مسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

1- الكافي: ج2 ص126، المحاسن: ج1/ص263، وسائل الشيعة: ج16 ص167، بحار الأنوار: ج66 ص245.

2- الكافي: ج2 ص125، المحاسن: ج1 ص263، وسائل الشيعة: ج16 ص166، بحار الأنوار: ج66 ص240.

3- يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (**كنا إذا اشتد البأس لذنا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)**) الرسالة السعدية للعلامة الحلي: هامش ص78، وروى أحمد في مسنده : عن علي (عليه السلام) قال: (**لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً**) مسند أحمد: ج1 ص86، مجمع الزوائد: ج9 ص12، وروى الطبري، قال: قال أبو جعفر: (**فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فو الله لقد صدقني اليوم، وناولها على بن أبي طالب سيفه، فقال: وهذا أيضا فاغسلي عنه دمه فو الله لقد صدقني اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه سلم: لئن كنت صدقت القتال، لقد صدق سهل بن حنيف وأبو دجانة**) تاريخ الطبري: ج2 ص210. وروى ابن سعد: (عن جابر عن محمد بن علي قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شديد البطش) الطبقات الكبرى: ج1ص419.

4- قال أمير المؤمنين (عليه السلام) واصفاً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (**طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، وآذان صم، وألسنة بكم. متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة**) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج1ص 207.

أيها المؤمنون والمؤمنات: إنّ إبراهيم ﴿عليه السلام﴾ حمل فأساً وكسر الأصنام فتابعوا هذه المسيرة المشرفة، مسيرة الأنبياء والمرسلين التي تقرؤو ا في القرآن. وإياكم ومسيرة أمثال السامري وبلعم بن باعوراء.

احملوا الفؤوس وحطّموا الأصنام والعجول [1]، وليبدأ كلٌ منا بنفسه، وبالناس المحيطين به. ولا تخافوا فأنتم الأعلون أن كنتم مؤمنين: **أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ** [2].

وعلى طلبة الحوزة أن يعوا أنّ تكليف العالم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص وأكبر من غيره؛ لأسباب كثيرة، منها: إنه وضع نفسه في مكان الأنبياء والمرسلين، ووقف في باب الملكوت، وادعى أنه من إدلاء الطريق إلى الله بلسان الحال، وإن لم يصرح بالمقال.

فالعالم يجب أن ينهى عن المنكر الذي يحاول الطواغيت وأتباعهم نشره في ا تمع الإسلامي، وبكل الوسائل المتاحة له. ويجب عليه مراقبة ا تمع الإسلامي وتقويم الانحرافات فيه، وإلاّ فهو يصبح قاطعاً لطريق الله سبحانه وتعالى وجندياً من جنود إبليس. فالطواغيت ينشرون المنكر بأيديهم وألسنتهم، والأئمة والعلماء غير العاملين ينشرون المنكر بترك النهي عنه بإهمالهم توجيه ا تمع الإسلامي وإصلاحه. فمثلهم كمثل الذي تصدى لعمل معين ولم يؤده فلا هو قائم به ولم يترك غيره يقوم به.

كما يجب الالتفات إلى أنّ هناك تقصيراً كبيراً في ا تمعات الإسلامية، وخصوصاً النخبة المؤمنة المثقفة فيها. فهؤلاء يجب أن يتصدوا للنهي عن المنكر كل حسب علمه وتكليفه، كما يجب الالتفاف حول العلماء العاملين المخلصين لله الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر وا اهدين في سبيل الله والدفاع عنهم. فليس من المعقول أن ينهض هؤلاء العلماء العاملون بعبء المسؤولية، وا تمعات الإسلامية لاهية في متابعة الطواغيت وعلماء السوء غير العاملين.

1- العجول التي تعبد من دون الله، كعجل السامري.

2- الزمر : 36 - 40.

وليحذر أفراد المجتمع الإسلامي، فإنهم يوم القيامة مسؤولون عن العالم العامل ومدى تجاوبهم معه، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجل، مسجد خراب لا يصلّى فيه، وعالم بين جهّال، ومصحف معلّق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه**) [1].

نعم أيها الأحبة، أيها المؤمنون والمؤمنات إنّ واجبكم نصرة العالم العامل المخلص لله المجاهد في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلاّ الله، لا الابتعاد عنه وخذلانه وتركه في النهاية يذهب إلى ربه مقهوراً مظلوماً متشحطاً بدمه يشكو إلى الله خذلان الناصر بعد أن كان دليلاً إلى صراط الله المستقيم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (**إنّ الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله عزّت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة، يذكّرون بأيام الله ويُخوفون مقامه، بمنزلة الأدلة في الفلوات، من أخذ القصد حمدوا إليه الطريق وبشّروه بالنجاة، ومن أخذ يميناً وشمالاً ذمّوا إليه الطريق وحذّروه من الهلكة، وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات، وأدلّة تلك الشبهات، وإنّ للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به أيام الحياة، ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين، ويأمرون بالقسط و يأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه، فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك، فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه، وحققت القيامة عليهم عِداتها، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، حتى إنم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون** ...) [2].

ومع الأسف هناك من يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا الواجب العظيم بحجة التقية، فلم أجد بداً من توضيحها قليلاً.

التـقـيـة:

التقية هي: تجنب الضرر المادي. والحيوانات تتجنب الضرر عادةً فضلاً عن الإنسان، وعادةً معظم بني آدم يميلون عن الحق إلى الباطل إذا كانت متابعة الحق تسبب لهم ضرراً اقتصادياً أو بدنياً

1- الكافي: ج2 ص613، الخصال: ص142، وسائل الشيعة: ج5 ص202، بحار الأنوار: ج2 ص41.

2- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص 211، بحار الأنوار: ج66 ص325.

ولو كان يسيراً، وهذه مسيرة الإنسانية بين يديك في كتب التاريخ تصفّحها ستجد أنّ قلّة هم الذين تحملوا تلف أموالهم وأنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الحق.

إذاً فمعظم الناس يمارسون التقية، بل وبإفراط وبشكل دائم، فإذا انتقلنا إلى المسلمين وجدناهم فرقتين، فرقة صامتة وموافقة أو مداهنة للطواغيت الذين يحكمون البلاد الإسلامية، مع أنهم يحكمون بالقوة الغاشمة ويستخفون بالشريعة والقرآن وجميع النواميس الإلهية ويحكمون بغير ما أنزل الله ويستحلون دماء المؤمنين، فضلاً عن اغتصا م قيادة الأمة من المعصومين ﷺ.

وهذه الفرقة هي معظم أهل السنة، إذاً فهؤلاء يمارسون التقية وبشكل مفرط، إلا أن يقولوا إنّ مذاهبهم توجب طاعة الحاكم الجائر وإن عطّل الشريعة وسفك الدم الحرام، وقام بحركة إعلامية عظيمة لطمس الإسلام، ونشر الخمور والفجور والملاهي والأغاني وما يعرضه تلفزيون الدول الإسلامية من فساد وإفساد للمجتمع [1].

ولا أظن أنّ من علماء السنة اليوم من يقول هذا، وإلاّ لكان ذا القول محارباً لمحمد ﷺ وشريعته وناصراً لكفار قريش وأشياعهم اليوم.

1- وإليك كلام بعضهم: قال النووي في شرحه على صحيح مسلم باب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية: قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين : لا ينعزل الخليفة بالفسق والظلم وتعطيل الحدود وتضييع الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك. شرح صحيح مسلم: ج12 ص229.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: إن قال قائل ما الذي يوجب خلعه الإمام عندكم قيل له: يوجب ذلك أمور، منها كفر بعد الإيمان، ومنها تركه إقامة الصلاة والدعاء إلى ذلك، ومنها عند كثير من الناس فسقه وظلمه بغصب الأموال وضرب الأبشار وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود . وقال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع بهذه الأمور ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله. واحتجوا في ذلك بأخبار كثيرة متظاهرة عن النبي ﷺ وعن أصحابه في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال وأنه قال ﷺ: (**اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع ولو لعبد حبشي، وصلوا وراء كل بر وفاجر**)، وروي أنه قال: (**أطعهم وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك، وأطيعوهم ما أقاموا الصلاة**) في أخبار كثيرة وردت في هذا الباب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل : ص 478.

والمقصود بالأخبار والروايات التي ذكرها النووي والباقلاني هو ما رواه البيهقي ومسلم وغيرهما، وإليك بعضاً مما رووه في المقام:

روى البيهقي: عن يزيد بن سلمة الجعفي أنه قال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم، ويمنعوننا حقنا، فما تأمرنا؟ فقال ﷺ: (**اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم**) السنن الكبرى: ج8 ص158.

وروى مسلم : عن حذيفة بن اليمان، قال: قلت: (يا رسول الله، إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال ﷺ: **نعم**. قلت: كيف؟ قال ﷺ: **يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**، قال حذيفة : قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: **تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع**) صحيح مسلم: ج6 ص20، السنن الكبرى للبيهقي: ج8 ص157، المعجم الأوسط للطبراني: ج3 ص190. وللقارئ الكريم أن يطلع على ما ذكرناه وغيره في مظانه.

إذن، فبما أ م لا يقولون بوجوب طاعة الحاكم الجائر، بل ما أظنه أنّ كل مسلم يحرم طاعة الحاكم الجائر؛ لأنه محارب لله ولرسوله، وبما أنهم لا يثورون على الحكّام الظلمة، بل ويداهنو م في الغالب، فبماذا نصف حالهم هذا غير أنهم يمارسون التقية وبشكل مفرط وليسمو ا ما يشاؤون، فالمهم المعنى لا اللفظ.

وطبعاً هناك قلّة من علماء السنة لا يمارسون التقية بشكل مفرط، بل وقفوا يقارعون الطواغيت والحكّام الظلمة، ومن هؤلاء سيد قطب. ولا بأس أن نستعرض بعض كلامه في قصة أصحاب الأخدود، يقول: (إنها قصة فئة آمنت بر ا واستعلنت حقيقة إيما ا، ثم تعرضت للفتنة من أعداء جبارين بطاشين مستهترين لحق الإنسان في حرية الاعتقاد بالحق والإيمان بالله العزيز الحميد، وبكرامة الإنسان عند الله عن أن يكون لعبة يتسلّى الطغاة بآلام تعذيبها ويتلهون بمنظرها في أثناء التعذيب بالحريق! وقد ارتفع الإيمان ذه القلوب على الفتنة وانتصرت فيها العقيدة على الحياة، فلم ترضخ لتهديد الجبارين الطغاة ولم تفتن عن دينها وهي تحرق بالنار حتى الموت ... ثم يقول: إنّ الناس جميعاً يموتون وتختلف الأسباب ولكن الناس جميعاً لا ينتصرون هذا الانتصار ولا يرتفعون هذا الارتفاع ولا يتحررون هذا التحرر ولا ينطلقون هذا الانطلاق إلى هذه الآفاق، إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده؛ لتشارك الناس في الموت، وتنفرد دون الناس في ا د، ا د في الملأ الأعلى وفي دنيا الناس أيضاً. إذا نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال، لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجو بحيا م في مقابل الهزيمة لإيما م، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم، وكم كانت البشرية كلها تخسر، كم كانوا يخسرون وهم يقتلون؟ هذا المعنى الكبير، معنى زهادة الحياة بلا عقيدة وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطر م على الأجساد، إنه معنى كريم جداً ومعنى كبير جداً، هذا الذي ربحوه وهم بعد في الأرض، ربحوه وهم يجدون مس النار فتحترق أجسادهم الفانية، وينتصر هذا المعنى الكريم الذي تزكيه النار!) [1].

ويقول : (وتتبدل الأحوال، ويقف المسلم موقف المغلوب ا رد من القوة المادية، فلا يفارقه شعوره بأنه الأعلى، وينظر إلى غالبه من علٍ مادام مؤمناً، ويستيقن أ ا فترة وتمضي، وإنّ للإيمان كرة لا مفر منها، وهبها كانت القاضية فإنه لا يحني له رأساً. إنّ الناس كلهم يموتون، أما هو

1- معالم في الطريق: ص232 - 236.

فيستشهد وهو يغادر هذه الأرض إلى الجنة وغالبه يغادرها إلى النار، وشتان شتان، وهو يسمع نداء ربه الكريم: **﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾** (1).

ثم يقول: وقديماً قص علينا القرآن الكريم قول الكافرين للمؤمنين: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾** (2). أي الفريقين؟ الكبراء الذي لا يؤمنون بمحمد، أم الفقراء الذين يلتفون حوله؟ أي الفريقين، النظر بن الحارث وعمرو بن هشام والوليد ابن المغيرة وأبو سفيان بن حر، أم بلال وعمار وصهيب وخباب؟ أ فلو كان ما يدعو إليه محمد خيراً أفكان أتباعه يكونون هم هؤلاء النفر الذين لا سلطان لهم في قريش ولا خطر؟ وهم يجتمعون في بيت متواضع كدار الأرقم، ويكون معارضوه هم أولئك أصحاب الندوة الفخمة الضخمة و ا د والجاه والسلطان؟!

إنه منطق الأرض، منطق المحجوبين عن الآفاق العليا في كل زمان ومكان، وإنها لحكمة الله أن تقف العقيدة مجردة من الزينة والطلاء، عاطلة من عوامل الإغراء، لا قربى من حاكم ولا اعتزاز بسلطان، ولا هتاف بلذّة، ولا دغدغة لغريزة، إنما هو الجهد والمشقة والجهاد والاستشهاد ... ليقبل عليها من يقبل وهو على يقين من نفسه إنه يريدها لذا ا خالصة لله من دون الناس، ومن دون ما تواضعوا عليه من قيم ومغريات، ولينصرف عنها من يبتغي المطامع والمنافع، ومن يشتهي الزينة والأبهة، ومن يطلب المال والمتاع، ومن يقيم لاعتبارات الناس وزناً حين تخف في ميزان الله.

إنّ المؤمن لا يستمد قيمه وتصوراته وموازينه من الناس حتى يأسى على تقدير الناس. إنما يستمدها من رب الناس وهو حسبه وكافيه. إنه لا يستمدها من شهوات الخلق حتى لا يتأرجح مع شهوات الخلق، إنه يستمدها من ميزان الحق الثابت الذي لا يتأرجح ولا يميل. إنه لا يتلقاها من هذا العالم الفاني المحدود، إنما تنبثق في ضميره من ينابيع الوجود. فأنى يجد في نفسه وهناً أو يجد في قلبه حزناً، وهو موصول برب الناس وميزان الحق وينابيع الوجود؟

إنه على الحق، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال. وليكن للضلال سلطانه، وليكن له هيله وهيلمانه، ولتكن معه جموعه وجماهيره، إنّ هذا لا يغير من الحق شيئاً، إنه على الحق وليس بعد الحق إلاّ

1- آل عمران :196 - 198.

2- مريم : 73.

الضلال، ولن يختار مؤمن الضلال على الحق - وهو مؤمن -، ولن يعدل بالحق الضلال كائنة ما كانت الملابسات والأحوال ...) [1].

أما الفرقة الأخرى من المسلمين، فمنهم الذين رفضوا حكم الطواغيت ولم يقبلوا تسلطهم على الحكم واستيلائهم على دفّة القيادة، ورفضوا حكمهم بغير ما أنزل الله وإفسادهم في الأرض، حتى سماهم الناس رافضة وهذا الاسم فخر لهم ووسام شرف يميزهم، وهم معظم الشيعة.

ومن الطبيعي أنّ هؤلاء وهم الثلّة المؤمنة التي تمثّل دين الله في أرضه، إذا لم يضع لهم أئمتهم عليهم السلام قوانين تضمن بقاءهم وبقاء مذهبهم الحق فإ م سيستأصلون ويستأصل دين الله في أرضه، ويكون مصيرهم كمصير أصحاب الأخدود وهو مصير مشرف. ولكن المسألة إنّ هذه الأمة أراد الله بقاءها حتى آخر الزمان؛ لتحمل كلمة التوحيد لأهل الأرض جميعاً، ولهذا أكد أهل البيت عليهم السلام على ممارسة التقية وتجنب الضرر لكن ليس بشكل سلبي وترك العمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل العمل وتجنب الضرر معاً، كمن يحترق بيته فهو لا يتركه يحترق و لا يلقي نفسه في النار، ولكن يطفئ النار ويتجنب ضررها ما أمكن، هذه هي التقية التي أرادها أهل البيت وتدل عليه سير م وحديثهم وتوجيههم لأصحا م، وهذه هي التقية في القرآن في سورة غافر، رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه عن فرعون تقية، وفي نفس الوقت يدعو إلى دين الله والإيمان بموسى والكفر بفرعون وحزبه الشيطاني.

أما خضوع بعض العلماء غير العاملين ومن يتبعهم للطاغوت وصمتهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو تصرف شخصي وليس من التقية في شيء. وإنما هو جبن انطوت عليه نفوسهم، وحب للحياة والدنيا اكتظّت به صدورهم، حتى أصبحوا يسيرون في طريق معاكس لطريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ومخالف للصراط المستقيم الذي يرسمه القرآن، وأمسوا أئمة ضلال يعلمون الناس الخضوع والمداهنة والركون للطاغوت حتى ظهرت غلبة الجهال ودول الضلال، ولولا رحمة الله ووجود بعض العلماء العاملين لما أبقى الطاغوت من الدين اسماً ولا رسماً.

* * *

1- معالم في الطريق : ص226 - 230 .

3- معرفة الإمام المهدي عليه السلام:

وهي إضافة إلى معرفة اسمه وولادته وغيبته الصغرى وسفرائه فيها وغيبته الكبرى إلى يومنا هذا، أو أحاديثه وأحاديث آبائه التي وردت فيه وفي غيبته وظهوره وقيامه، تشمل معرفة علامات ظهوره وسيرته بعد ظهوره. فبمعرفة علامات ظهوره نعرف قرب زمان ظهوره فنستعد لنصرته.

ومعرفة سيرته بعد ظهوره عليه السلام نستعد لتقبلها، فلا نكون - والعياذ بالله - ممن يلتوون عليه ويعترضون على سياسته وقراراته، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: (**إذا خرج القائم خرج من هذا الأمر من كان يرى أنه من أهله**)[1].

فعلى المؤمنين الالتفاف حول العلماء العاملين السائرين على ج الأنبياء والمرسلين والأئمة عليهم السلام. والحذر من متابعة علماء السوء غير العاملين، الذين لا يغضبون لغضب الله عندما يهان كتابه القرآن الكريم[2]، والذين سيقف كثير منهم ضد الإمام المهدي عليه السلام، وربما سيقاتلونه.

- روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: (**سيأتي زمان على أمتي لا يبقى من القرآن إلاّ رسمه، ولا من الإسلام إلاّ اسمه، يسمّون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة واليهم تعود**)[3].

- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في المعراج، قال: (... **قلت إلهي فمتى يكون ذلك ؟ فأوحى إلّي عزّ وجلّ: يكون ذلك إذا رفع العلم وظهر الجهل، وكثر القرّاء وقل العمل وكثر الفتك، وقل الفقهاء الهادون وكثر فقهاء الضلالة الخونة وكثر الشعراء، واتخذ أمتك قبورهم مساجد، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وكثر الجور** ...)[4].

- وعن الباقر عليه السلام: (**إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة ألف نفس يدعون البترية عليهم السلاح، فيقولون له: إرجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة!! فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم، ثم يدخل الكوفة فيقتل با كل منافق مرتاب ويهدم**

1- غيبة النعماني: ص332، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص501، ميزان الحكمة: ج1 ص186.

2- يشير عليه السلام إلى ما فعله الطاغية صدام من تنجيسه للقرآن، وتخاذل الحوزة العلمية عن نصرة القرآن والدفاع عنه، وقد تقدّم في الهامش توضيح ذلك في الجزء الأول من الكتاب فراجع.

3- الكافي: ج8 ص801، ثواب الأعمال: ص253، الفصول المهمة في اصول الأئمة: ج1 ص610، بحار الأنوار: ج2 ص109.

4- مختصر البصائر: ص248، بحار الأنوار: ج51 ص70،غاية المرام: ج2 ص73، تفسير نور الثقلين: ج3 ص124.

قصورها ويقتل مقاتليها حتى يرضى الله عزّ وعلا) [1].

- وعن الباقر (عليه السلام): (**يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له، ويدخل حتى يأتي المنبر ويخطب** ...) [2].

- وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (**يا مالك بن ضمرة، كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا؟** وشبك أصابعه وادخل بعضها في بعض، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما عند ذلك من خير. قال (عليه السلام): **الخير كله عند ذلك، يقوم قائمنا فيقدم عليه سبعون، فيقدّم سبعين رجلاً يكذبون على الله ورسوله فيقتلهم، فيجمع الله الناس على أمر واحد)** [3].

ويقدم سبعين رجلاً يكذبون على الله ورسوله، أي: علماء غير عاملين. وربما يفتون الناس بغير ما أنزل الله على رسوله وفق تخرصا م العقلية وأهوائهم الشخصية.

- وعن أبي جعفر (عليه السلام)، أنه قال: (**لتمخضن يا معشر الشيعة، شيعة آل محمد كمخيض الكحل في العين؛ لأنّ صاحب الكحل يعلم متى يقع في العين ولا يعلم متى يذهب، فيصبح أحدكم وهو يرى أنّه على شريعة من أمرنا فيمسي وقد خرج منها، ويمسي وهو على شريعة من أمرنا فيصبح وقد خرج منها)** [4].

- وعن أبي عبد الله (عليه السلام): (**كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم يرى، يبرأ بعضكم من بعض، فعند ذلك تميزون وتمحصون وتغربلون، وعند ذلك اختلاف السنين** [5]**، وأمارة من أول النهار وقتل وقطع في آخر النهار)** [6].

- وعن البيزنطي، قال: سألت الرضا (عليه السلام) عن مسألة الرؤيا، فأمسك ثم قال (عليه السلام): (**إنا لو أعطيناكم ما تريدون لكان شرّاً لكم، وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر.** وقال: **وأنتم في العراق تروون أعمال هؤلاء الفراعنة وما أمهل لهم بتقوى الله، ولا تغرّنكم الدنيا ولا تغتروا بمن أمهل له، فكأن الأمر قد وصل إليكم)** [7].

1- الارشاد: ج2 ص384، الصراط المستقيم: ج2 ص254، بحار الأنوار: ج51 ص338، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) : ج3 ص308.

2- الارشاد: ج2 ص380، غيبة الطوسي: ص468، الصراط المستقيم: ج2 ص251، بحار الأنوار: ج52 ص331.

3- غيبة النعماني: ص214، بحار الأنوار: ج52 ص115، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ج3 ص30.

4- غيبة الطوسي: ص339، بحار الأنوار: ج52 ص101.

5- أي جدب وقحط، منه (عليه السلام).

6- كمال الدين: ص348، بحار الأنوار: ج52 ص 212، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) : ج3 ص422 .

7- الكافي: ج1 ص255، بصائر الدرجات: ص105، بحار الأنوار: ج52 ص110.

أ-علامات ظهوره وقيامه عليه السلام:

نظراً لتحقق معظم العلامات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، ولم يبق منها إلاّ العلامات القريبة جداً من سنة ظهوره وقيامه أو العلامات الدالة عليه بعد ظهوره عليه السلام.

ومراعاة للاختصار؛ ولأنه لا توجد فائدة كبيرة من ذكر العلامات التي تحققت، فسأقتصر على العلامات القريبة من ظهوره المبارك عليه السلام :

ومنها: أن تمنع السماء قطرها، وحر شديد، واختلاف الشيعة، فعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام: (**لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، و يتفل بعضكم في وجه بعض، وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض.** قلت: ما في ذلك خير، قال: **الخير كله في ذلك، يقوم قائمنا فيرفع ذلك كلّه**)[1].

ومنها: موت كثير من الفقهاء، وانتشار الفساد بشكل علني والتجاهر بالمعاصي، كالزنا وشرب الخمور وسماع الأغاني، وغلبت وسائل الفساد كالتلفزيون في الوقت الحاضر. والاستخفاف بالمساجد وبحرمتها، فبدل أن تبقى وسيلة للانقطاع إلى الله ببساطتها وخلوها من المظاهر الدنيوية يحولها الناس إلى قاعات مليئة بالزخرفة والألوان والمظاهر التي تشد الداخل فيها إلى الدنيا، وهكذا تعطّل، ويجعلو ا مكان للأكل في بعض المناسبات كالمحرم ورمضان.

ومنها: انتشار وسائل التجميل كالملابس الجميلة المظهر، ولكنها تغلف أناساً قلو م قلوب الشياطين.

ومنها: الاستخفاف بحرمة العلماء العاملين ا اهدين، وربما الاستهزاء م وا امهم با امات باطلة. ويكثر سفك دمائهم؛ وذلك لأنهم يتبعون سيرة أئمتهم عليهم السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيلاقون من الطواغيت المتسلطين على الأمة اليوم ما لاقاه الأئمة عليهم السلام من طواغيت بني أمية وبني العباس لعنهم الله.

عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: (**إذا وقع الموت في الفقهاء، وضيعت أمة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله الصلاة واتبعت الشهوات، وقلت الأمانات، وكثرت الخيانات، وشربوا القهوات**[2]**، وأشعروا شتم الآباء والأمهات، ورفعوا الصلاة من المساجد بالخصومات وجعلوها مجالس**

1- غيبة النعماني: ص213،غيبة الشيخ الطوسي: ص438، الخرائج والجوارح: ج3 ص1153، بحار الأنوار: ج52 ص211.

2- أي: الخمور، (منه عليه السلام).

للطعامات، وأكثروا من السيئات وقللوا من الحسنات، وعوصرت السماوات [(1)]، فحين إذن تكون السنة كالشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم واليوم كالساعة. ويكون المطر قيظاً، والولد غيضاً. ويكون أهل ذلك الزمان لهم وجوه جميلة، وضمائر ردية. من رآهم أعجبوه، ومن عاملهم ظلموه. وجوههم وجوه الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين ... ويعار على العلماء ويكثر ما بينهم سفك الدماء ... وتحج الناس ثلاث وجوه: الأغنياء للنزهة، والأوساط للتجارة، والفقراء للمسألة) [(2)].

ومنها: منع أهل العراق من الحج، فلا يذهب منهم إلى الحج إلاّ عدد قليل ، وحالهم ما تقدم في الحديث، فعن الإمام الصادق عليه السلام - وعنده جماعة من أهل الكوفة فأقبل عليهم وقال لهم - : (**حجوا قبل أن لا تحجوا، قبل أن تمنع البرجانية (الرومية)** - أي أمريكا والغرب اليوم - **حجوا قبل هدم مسجد بالعراق بين نخل وأنهار، حجوا قبل أن تقطع سدرة بالزوراء على عروق النخلة التي اجتنت** [(3)] **منها مريم عليها السلام رطباً جنياً، فعند ذلك تمنعون الحج وينقص الثمار ويجدب البلاء** [(4)] **وتبتلون بغلاء الأسعار وجور السلطان، ويظهر فيكم الظلم والعدوان مع البلاء والوباء والجوع، وتظلكم الفتن من جميع الآفاق**) [(5)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال - وأشار إلى أصحاب المهدي عليه السلام بقوله -: (**ألا بابي وأمي هم من عدة أسماؤهم في السماء معروفة وفي الأرض مجهولة، ألا فتوقعوا من إدبار أموركم وانقطاع وصلكم** (انقطاع الحج) [(6)]**، واستعمال صغاركم، ذاك حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من درهم من حله، ذلك حيث يكون المعطى أعظم من المعطي، حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم، وتحلفون من غير اضطرار، وتكذبون من غير إحراج، ذاك أذا عضكم البلاء كما يعضّ القتب غارب البعير، ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء**) [(7)].

1- أي قل المطر. منه عليه السلام.

2- إلزام الناصب: ج2 ص161، وروي باختلاف عما في المتن في مستدرك الوسائل: ج11 ص377، جامع احاديث الشيعة: ج13 ص375.

3- في أمالي المفيد (اجتنت).

4- في أمالي المفيد (وتجدب البلاد).

5- بشارة الإسلام للسيد مصطفى الكاظمي: ص173.

6- انقطاع الحج، (منه عليه السلام).

7- شرح نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص126، بحار الأنوار: ج34 ص212، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام : ج3 ص13.

ومنها: ابتلاء أهل العراق بجور السلطان وغلاء الأسعار، فعن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام، قال: (**إنّ قدّام القائم عليه السلام بلوى من الله**، قلت: وما هو جعلت فداك؟ فقرأ عليه السلام: **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** [1]، ثم قال عليه السلام: **الخوف من ملوك بني فلان**[2]**، والجوع من غلاء الأسعار، ونقص من الأموال من كساد التجارات، وقلة الفضل فيها ونقص الأنفس بالموت الذريع، ونقص الثمرات بقلة ريع الزرع وقلة بركة الثمار،** ثم قال عليه السلام: **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ عند ذلك بتعجيل خروج القائم عليه السلام**) [3].

ومنها: إنّ حاكم العراق معروف بأنه يمارس الكهانة، أي: تحضير الجن والسحر الأسود، وإنه ابن بغي، أي: زانية. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (**وأمير الناس**[4] **جبار عنيد، يقال له الكاهن الساحر**) [5]. وقال الصادق عليه السلام: (**أمّا إنّ إمارتكم يومئذٍ لا تكون إلاّ لأولاد البغايا** [6]) [7].

ومنها: اختلاف حكّام العراق فيما بينهم، وهلاكهم على يد جيوش السفياني التي تأتي من بلاد الشام والتي تدخل العراق للقضاء على حاكم العراق. والسفياني مجند من الغرب أو أمريكا حسب ما ورد في الروايات.

وفي التوراة سفر دانيال: السفياني عميل للمملكة الحديدية أو أمريكا، للقضاء على ثلاثة عملاء سابقين لأمريكا في المنطقة أحدهم حاكم العراق. ثم إنّ ما يبقى من أعوان ومرتزقة حاكم العراق تقضي عليه قوات الخراساني بقيادة شعيب بن صالح، والتي تدخل العراق لطرد قوات السفياني، وتطهير العراق من الأراذل والمسوخ الشيطانية.

1- البقرة : 155.

2- قال عليه السلام تعليقاً على لفظ بني فلان،أي بني: (العباس). وعبّر عن حكام العراق بالعباسيين؛ لأنهم يحكمون في عاصمتهم ويسيرون بسيرتهم.

3- الإرشاد للمفيد: ج2 ص377، كمال الدين: ص649، بحار الأنوار: ج52 ص203.

4- أي حاكم العراق، (منه عليه السلام).

5- مختصر بصائر الدرجات: ص199، بحار الأنوار: ج53 ص83، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج5 ص255.

6- أي الزانيات، (منه عليه السلام).

7- غيبة الطوسي: ص450، بحار الأنوار: ج52 ص215، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص481.

فعن الباقر (عليه السلام) : (... ثم قال: **إذا اختلف بنو فلان [1] فيما بينهم فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلاّ باختلاف بني فلان ... حتى يخرج عليهم الخرساني والسفياني، هذا من المشرق وهذا من المغرب، يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان ... آما إّنهم لا يبقون منهم أحداً**) [2].

ومنها: خسوف القمر وكسوف الشمس في رمضان، وصيحة جبرائيل في أول النهار.

ومنها: ظهور كوكب مذنب في السماء يضيء كما يضيء القمر، ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه.

ومنها: السفياني، وهو أهم الفتن قبل قيام القائم (عليه السلام)، وخروجه حتمي في بلاد الشام. والأرجح في الأردن في الوادي اليابس، ثم يحتل سوريا وجزء من فلسطين، ثم يدخل إلى العراق، ويظهر في بداية ظهوره العدل حتى يتوهم الناس أنه عادل، ويكذّب الجهال آل محمد (عليهم السلام).

- عن أبي حمزة الثمالي، عن الباقر (عليه السلام)، قلت: (خروج السفياني من المحتوم؟ قال: **نعم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من مغربا من المحتوم، واختلاف بني العباس في الدولة محتوم، وقتل النفس الزكية محتوم، وخروج القائم من آل محمد (عليهم السلام) محتوم.** قلت: وكيف يكون النداء؟ قال: **ينادي من السماء أول النهار ألا إنّ الحق مع علي وشيعته، ثم ينادي إبليس آخر النهار من الأرض ألا إنّ الحق مع عثمان وشيعته، وعند ذلك يرتاب المبطلون**) [3].
- عن الباقر (عليه السلام): (**آيتان تكونان قبل القائم، كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره**) [4].

وعلى الشيعة عند ظهور السفياني الذهاب إلى مكة، لنصرة الإمام المهدي (عليه السلام)؛ لأنّ ظهوره وقيامه في مكة بعد هذه العلامة أكيد وقريب جداً، بل يكاد يتداخل معها، وقد أمرهم أئمتهم (عليهم السلام) بذلك.

1- العباس ، (منه (عليه السلام)).

2- غيبة النعماني: ص264، بحار الأنوار: ج52 ص231، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ج3 ص254.

3- الإرشاد للمفيد: ص371، كمال الدين: ص328،غيبة الطوسي: ص435، بحار الأنوار: ج52ص206، والنص للأول، وفي ما عداه اختلاف يسير.

4- الإرشاد للمفيد: ج2 ص374، الكافي: ج2 ص212، غيبة الطوسي: ص444، الخرائج والجرائح: ج3/ص1158، بحار الأنوار: ج52 ص214، والنص للأول، وفي غيره مما ذكر اختلاف يسير..

• عن الصادق عليه السلام: (... **لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السفياني، فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا**. يقولها ثلاثاً، **وهو من المحتوم**) [1].

• وعن الصادق عليه السلام: (**يا سدير، ألزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه، وأسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغ أن السفياني قد خرج فادخل إلينا ولو على رجلك**. قلت: جعلت فداك هل قبل ذلك شيء ؟ قال: **نعم**، وأشار بيده بثلاث أصابعه إلى الشام، وقال: **ثلاث رايات، راية حسنية، وراية أموية، وراية قيسية. فبينما هم إذ خرج السفياني فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط**) [2].

• وعن الباقر عليه السلام : (... **مع أنّ الفاسق** [3] **لو قد خرج لمكثتم شهراً أو شهرين لم يكن عليكم بأس حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم**، قال بعض أصحابه: فكيف نصنع بالعيال إذا كان ذلك؟ قال: **يتغيب الرجل منكم عنه فأن حنقه وشرّه فإنما هي على شيعتنا، وأمّا النساء فليس عليهن بأس إن شاء الله تعالى**، قيل: فإلى أين يخرج الرجال ويهربون منه، من أراد منهم أن يخرج إلى المدينة أم إلى مكة أو إلى بعض البلدان؟ قال: **ما تصنعون بالمدينة، وإنما يقصد جيش الفاسق إليها، ولكن عليكم بمكة فأنا مجمعكم، فإنما فتنته حمل امرأة تسعة أشهر لا يجوزها إن شاء الله**)[4].

ولكن للأسف لن ينفر إلى مكة لنصرة المهدي عليه السلام إلاّ عشرة آلاف كما ورد في الروايات، وهم أول أنصاره مع أصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر [5].

1- الكافي: ج8 ص274، بحار الأنوار: ج47 ص297، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص464.

2- بحار الأنوار: ج52 ص 271، عصر الظهور: ص103، ورواه في الكافي إلى قوله: رجلك، ج8 ص265، وكذا في وسائل الشيعة: ج15 ص51.

3- السفياني. منه عليه السلام.

4- غيبة النعماني: ص 311، بحار الأنوار: ج52 ص141، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص271.

5- روى الطبرسي في الاحتجاج: عن عبد العظيم الحسني رضي الله عنه، عنه قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: (يا مولاي أني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فقال عليه السلام : **ما منا إلاّ قائم بأمر الله، وهاد إلى دين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، هو الذي يخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله وكنيه، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذل له كل صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر (ثلاثمائة وثلاثة عشر)، رجلاً من أقاصي الأرض وذلك قول الله : (أين ما تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو (عشرة آلاف) رجل خرج بإذن الله، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى عز وجل**) الاحتجاج: ج2 ص 249.

وروى المجلسي في البحار: عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال: (**يقول القائم عليه السلام لأصحابه: يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني، ولكني مرسل إليهم لاحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم. فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له:**

هذه هي بعض علامات ظهوره وقيامه القريبة.

وربما كانت له (ع) فترة ظهور تسبق قيامه في مكة، ربما عن طريق سفراء كما في الغيبة الصغرى. وهذا الاحتمال تقويه بعض الروايات عنهم (ع) [1]، وربما كانت بداية بعثه وظهوره في أم القرى في هذا الزمان وهي النجف الأشرف اقتفاء بسيرة جده المصطفى (ص) الذي بعث في أم القرى في زمانه، وهي مكة، والله أعلم وأحكم وما أوتينا من العلم إلاّ قليلاً.

ب -أعماله بعد ظهوره وقيامه (ع):

قبل أن نتعرض لإعماله بعد ظهوره (ع)، لابد لنا من الاطلاع على بعض الأحاديث التي تكشف واقعاً مريراً نلمسه نحن اليوم، سواء في بعض العلماء غير العاملين أم من بعض من يسمون أنفسهم شيعة لأهل البيت (ع)، أو موالين لهم (ع). وهم في نفس الوقت لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ويداهنون الطواغيت ويخضعون لهم ويتحاكمون عندهم، بل ومع الأسف الشديد يساعدو م في كثير من الأحيان خوفاً أو طمعاً، دون أن يلتفتوا إلى حرمة هذا العمل وبشاعته، بل أصبحوا يرونه مباحاً بعد أن نكسوا ومسخوا وأمسوا يرون المقاييس مقلوبة والمنكر معروفاً، واعتادوا عبادة العجول والأصنام والأوثان ضلالة وخوفاً وطمعاً.

ولم أجد كلاماً أصف به حال الإمام المهدي (ع) مع هؤلاء أفضل من القرآن الكريم وحديث المعصومين (ع):

قال تعالى: **﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ *﴾**

امض إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين، وإنا قد ظلمنا واضطهدنا، وقهرنا وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا فنحن نستنصركم فانصرونا. فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية، فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا، فلا يدعونه حتى يخرج فيهبط من عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر حتى يأتي المسجد الحرام، فيصلي فيه عند مقام إبراهيم أربع ركعات، ويسند ظهره إلى الحجر الأسود، ثم يحمد الله ويثني عليه، ويذكر النبي (ص) ويصلي عليه ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس. فيكون أول من يضرب على يده ويبايعه جبرئيل وميكائيل، ويقوم معهما رسول الله وأمير المؤمنين فيدفعان إليه كتاباً جديداً هو على العرب شديد بخاتم رطب، فيقولون له : اعمل بما فيه، ويبايعه الثلاثمائة وقليل من أهل مكة . ثم يخرج من مكة حتى يكون في مثل الحلقة قلت: وما الحلقة؟ قال: عشرة آلاف رجل ...) بحار الأنوار: ج52 ص 307.

1- وهي الروايات التي تذكر اليماني (ع) باعتباره ممهد رئيسي للإمام محمد بن الحسن العسكري المهدي (ع)، ورسول منه (ع) إلى الناس، وكذالك الروايات التي تشير لإرسال المهدي(ع) للنفس الزكية، وقد تقدمت في الهامش السابق.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً [1].

وأرجع وأعيد حديثين مرا في البحث للتذكير والتأكيد.

• قال الإمام الصادق (عليه السلام): (**لينصرن الله هذا الأمر بمن لا خلاق له، ولو قد جاء أمرنا لقد خرج منه من هو اليوم مقيم على عبادة الأوثان**) [2].

أي: إنّ الله ينصر القائم بقوم من غير الشيعة، بل لعلهم من غير المسلمين بعد أن يؤمنوا بحركته الإسلامية الإصلاحية المحمدية الأصيلة ويشايعوه، في حين أنّ قوماً من الشيعة لا ينصرونه (عليه السلام)!!

ويؤيد هذا المعنى ما روي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: (**إذا خرج القائم خرج من هذا الأمر من كان يرى أنّه من أهله، ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر**) [3].

أيها الأخوة: إذا كنا شيعة فعلينا أن نتمسك بسير م وحديثهم و جهم (عليهم السلام)، لا أن نحمل أوزاراً من زينة القوم ونصنع منها عجلاً ونعبده، ونقول نحن شيعة.

• فعن الباقر (عليه السلام): (... **انظروا أمرنا وما جاءكم عنا، فأن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده وردّوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا. وإذا كنتم كما أوصيناكملم تعدوا إلى غيره، فمات منكم ميت قبل**

1- طـه : 86 - 98.

2- غيبة الطوسي: ص450، بحار الأنوار: ج52 ص329 .

3- غيبة النعماني: ص332، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ج3 ص501.

أن يخرج قائمنا كان شهيداً، ومن أدرك منكم قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين، ومن قتل بين يديه عدواً لنا كان له أجر عشرين شهيداً) [1].

• وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة على منبر الكوفة يصف الإمام المهدي عليه السلام وقلّة من يتمسكون بالحق قبل قيامه عليه السلام: **(اللهم وإني لأعلم أنّ العلم لا يأزر كلّه، ولا ينقطع موارده، وأنّك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك ظاهر ليس بمطاع أو خائفاً مغمور، كيلا تبطل حجتك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم بل أين هم وكم ؟ أولئك الأقلون عدداً والأعظمون عند الله جل ذكره قدراً)** [2].

• وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتدٍ به قبل قيامه، يتولى وليه ويتبرأ من عدوه، ويتولى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفاقي وذوو ودي ومودتي وأكرم أمتي عليّ. قال رفاعة: وأكرم خلق الله عليّ)** [3].

• وعن الصادق عليه السلام قال: **(قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: سيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم . قالوا: يا رسول الله نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن!! فقال صلى الله عليه وآله: إنّكم لو تحملوا لما حملوا لم تصبروا صبرهم)** [4].

وعلينا أن لا نميل مع كل ناعق، بل نعرف صاحب هذا الأمر بما وصفه أهل بيت النبوة عليهم السلام.

• عن الحارث بن المغيرة النصري، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (بأي شيء يعرف الإمام القائم عليه السلام، قال عليه السلام: **بالسكينة والوقار**. قلت: وبأي شيء؟ قال: **وتعرفه بالحلال والحرام، وبحاجة الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله**. قلت: أيكون وصياً ابن وصي؟ قال: **لا يكون إلاّ وصياً وابن وصي)** [5].

• وعن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **(لصاحب هذا الأمر غيبتان أحدهما يرجع منها إلى أهله، والأخرى يقال هلك في أي واد سلك**. قلت: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: **إذا ادعاها مدّعٍ فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله)** [6].

1-أمالي الطوسي: ص232، بحار الأنوار: ج2 ص236، و: ج52 ص123، وسائل الشيعة: ج27 ص120.
2 - الكافي: ج1 ص335، مصباح البلاغة: ج2 ص213، تفسير نور الثقلين: ج2 ص498.
3- غيبة الطوسي ص456، بحار الأنوار : ج52/ص130،
4- غيبة الطوسي : ص456، الخرائج والجرائح :ج3/ص1149،بحار الأنوار : ج52/ص130.
5- غيبة النعماني : ص249،بحار الأنوار : ج25/ص156.
6- الكافي : ج1 ص340،غيبة النعماني : ص178،بحار الأنوار : ج52 ص157.

* * *

أعمال القائم عليه السلام بعد قيامه

أما بعض أعماله بعد ظهوره وقيامه عليه السلام فهي:

- عن أبي عبد الله عليه السلام: (**ما تستعجلون بخروج القائم، فو الله ما لباسه إلاّ الغليظ، ولا طعامه إلاّ الجشب، وما هو إلاّ السيف والموت تحت ظل السيف**) [(1)].

- وقال أبو جعفر عليه السلام: (**يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد على العرب شديد. ليس شأنه إلاّ السيف، لا يستتيب أحداً ولا يأخذه في الله لوْمة لائم**) [(2)].

والسيف إشارة إلى السلاح الموجود في زمانه عليه السلام.

- روي عن الصادق عليه السلام قال: (**كأني أنظر إلى القائم على ظهر النجف، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرساً أدهم أبلق**) [(3)].

والأبلق: المبقع. الشمراخ: العمود الطويل. فيكون معنى الحديث: أنه يركب دبابة، والله أعلم.

وكيف كان فإنّ الأحاديث تشير إلى أنه يخوض حروباً طاحنة مع أعداء الدين وأعدائه عليه السلام، يستشهد فيها كثير من أنصاره [(4)]، بل ربما يستفاد من بعض الروايات أنّ الإمام عليه السلام يتعرض للإصابة والجرح في هذه الحروب [(5)]، والله أعلم.

- عن الباقر عليه السلام، قال: (**إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**) [(6)].

1- غيبة النعماني: ص239، غيبة الطوسي: ص460.

2- غيبة النعماني: ص238، بحار الأنوار: ج52 ص354.

3- كمال الدين: ص673، غيبة النعماني: ص322 بإضافة على ما في المتن، بحار الأنوار: ج52 ص325.

4- تقدمت الإشارة منه عليه السلام إلى بعض هذه الروايات قبل قليل، فراجع.

5- وربما يستفاد ذلك من الروايات الآتية:

عن بشير النبال، قال: (قدمت المدينة وذكر مثل الحديث المتقدم، إلا أنه قال: لما قدمت المدينة قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنهم يقولون: إن المهدي لو قام لاستقامت له الأمور عفواً، ولا يهريق محجمة دم، فقال: **كلا، والذي نفسي بيده لو استقامت لأحد عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أدميت رباعيته، وشج في وجهه، كلا، والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق**، ثم مسح جبهته كتاب الغيبة للنعماني: ص294 - 295.

وعن بشير بن أبي أراكة النبال، ولفظ الحديث على رواية ابن عقدة قال: (...... قلت: إنهم يقولون: إنه إذا كان ذلك استقامت له الأمور، فلا يهريق محجمة دم، فقال: **كلا، والذي نفسي بيده حتى نمسح وأنتم العرق والعلق**، وأومأ بيده إلى جبهته) كتاب الغيبة للنعماني: ص293 - 294.

6- غيبة النعماني: ص336، بحار الأنوار: ج52 ص366.

• وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع)، قال: (**الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**، فقلت: اشرح لي هذا أصلحك الله. فقال (ع): **يستأنف الداعي منّا دعاء جديداً كما دعا رسول الله (ص)**)[1].

• عن أبي عبد الله (ع)، قال: (**يصنع ما صنع رسول الله (ص)، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله (ص) أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً**)[2].

• وعن ابن عطا، قال: سألت أبا جعفر الباقر (ع)، فقلت: (**إذا قام القائم (ع) بأي سيرة يسير في الناس؟ فقال (ع): يهدم ما قبله كما صنع رسول الله (ص)، ويستأنف الإسلام جديداً**)[3].

وقد مر الحديث عن رسول الله (ص) إنّ في آخر الزمان لا يبقى من الإسلام إلاّ اسمه، ومن القرآن إلاّ رسمه، والمساجد عامرة بالناس ولكنها خالية من الهدى - أي هدى آل محمد (ع) -، وهذا هو حالنا اليوم فالمساجد مزخرفة والمصاحف محلاّة وملونة، والمسلمون أبعد ما يكونوا عن الإسلام.

• عن أبي عبد الله (ع)، قال: (**أما إنّ قائمنا لو قد قام لقد أخذ بني شيبه وقطع أيديهم، وطاف بم وقال هؤلاء سرّاق الله**)[4].

• وعن أبي عبد الله (ع)، قال: (.. **وقطع أيدي بني شيبة السرّاق وعلقها على الكعبة**)[5].
[5].

• وعنه (ع): (... **وقطع أيدي بني شيبة وعلقها على الكعبة وكتب عليها هؤلاء سرّاق الكعبة**)[6].

وبنو شيبة هم خدم الكعبة في زمن الإمام الباقر (ع)، فالحديث يشير إلى خدم العتبات المقدسة جميعها اليوم، وإنّ الإمام يقطع أيديهم ويشهر م؛ لأ م يقومون بسرقة العتبات المقدسة، فهم في

1- غيبة النعماني: ص336، بحار الأنوار: ج8 ص12، و: ج52 ص366 .
2- غيبة النعماني: ص336، بحار الأنوار: ج52 ص352 .
3- بحار الأنوار: ج52 ص352، غيبة النعماني رواه عن الباقر (ع): ص236.
4- الكافي: ج1 ص243، علل الشرائع: ج2 ص409، بحار الأنوار: ج52 ص373.
5- غيبة الطوسي: ص472، بحار الأنوار: ج52 ص332.
6- الإرشاد: ج2 ص383، إعلام الورى: ج2/ص289، بحار الأنوار: ج52 ص338 .

الغالب عبيد للطاغوت ولكن ليس جميعهم، فمنهم من يرجى إصلاحه ولعل منهم بعض الأفراد المؤمنين.

- عن الصادق عليه السلام، قال: (**دمّان في الإسلام حلال من الله عز وجل لا يقضي فيهما أحد بحكم الله عز وجل حتى يبعث الله القائم من أهل البيت، فيحكم فيهما بحكم الله عز وجل، لا يريد فيه بينة، الزاني المحصن يرجمه، ومانع الزكاة يضرب رقبته**) (1).
- عن الصادق عليه السلام، قال: (**لن تذهب الدنيا حتى يخرج رجل منّا أهل البيت، يحكم بحكم داود وآل داود، لا يسأل الناس بينة**) (2).

وهذا يعني أنّ الله سبحانه يطلع الإمام المهدي عليه السلام على بواطن الأمور، ويأذن له أن يحكم على الباطن، كما فعل الخضر عندما خرق السفينة وقتل الغلام، وكما روى عن داود عليه السلام أبو حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (**إنّ داود عليه السلام سأل ربّه أن يريه قضية من قضايا الآخرة، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: لقد سألت ربّك شيئاً ما سأله غيرك نبي من أنبيائه (صلوات الله عليهم)، يا داود إنّ الذي سألت لم يُطلع الله عليه أحداً من خلقه ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيره، فقد أجاب الله دعوتك وأعطاك ما سألت، إنّ أول خصمين يردان عليك غداً القضية فيهما من قضايا الآخرة.**

فلما أصبح داود وجلس في مجلس القضاء أتى شيخ متعلّق بشاب ومع الشاب عنقود من عنب. فقال الشيخ: إنّ هذا الشاب دخل بستاني، وخرب كرمي وأكل منه بغير أذني. قال: فقال داود للشاب: ما تقول؟ قال: فأقر الشاب أنّه قد فعل ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إن كشفت لك من قضايا الآخرة فقضيت بها بين الشيخ والغلام لم يحتملها قلبك، ولا يرضى بها قومك يا داود. إنّ هذا الشيخ أقتحم على والد هذا الشاب في بستانه فقتله وغصبه بستانه وأخذ منه أربعين ألف درهم فدفنها في جانب بستانه، فادفع إلى الشاب سيفاً ومره أن يضرب عنق الشيخ، وأدفع إليه البستان ومره أن يحفر في موضع كذا من البستان فيأخذ ماله. قال: ففزع داود عليه السلام من ذلك، وجمع علماء أصحابه وأخبرهم بالخبر، وأمضى القضية على ما أوحى الله إليه) (3).

1- الكافي: ج1 ص503، كمال الدين: ص571، بحار الأنوار: ج52 ص371.
2- شرح الأخبار: ج3 ص561، بحار الأنوار: ج52 ص319 .
3- الكافي: ج7 ص421، الجواهر السنية: ص85، بحار الأنوار: ج14 ص6.

• عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (**أوّل ما يظهر القائم من العدل، أن ينادي مناديه أن يسلم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجر والطواف**)[1].

وهذا يعني إنّ الذي يحج الحج الواجب في زمن الإمام يمنع من الحج المستحب، حتى يحج المسلمون الذين لم يحجوا الحج الواجب، وظاهرة الحج المستحب اليوم منتشرة بين الأغنياء في حين أنّ الفقراء يكاد ييأسون من الوصول إلى بيت الله الحرام ليحجوا حجة واجبة.

فهؤلاء الأغنياء لو كانوا يريدون وجه الله سبحانه لأنفقوا هذه الأموال على الفقراء الذين يتضورون جوعاً ويموت كثير منهم؛ لأنهم لا يجدون الدواء. ولو كانوا يريدون وجه الله لأرسلوا فقيراً يحج بيت الله بهذه الأموال.

والحقيقة التي يحاولون تدليسها إنهم يذهبون للنزهة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام[2]، والطامة الكبرى أنّ بعضهم يدعون أنهم علماء! ولو كانوا كذلك لكانوا أسوة لمتأسي.

فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**سيد الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى بشيء إلاّ رضيت لهم مثله، ومواساتك الأخ في المال، وذكر الله على كل حال**)[3].

• عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: (**لما أسري بي أوحى إلي ربي جل جلاله** ... إلى أن قال: **فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة بن الحسن (القائم) في وسطهم كأنه كوكب درّي. قلت: يا ربِ من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم يحلل حلالي ويحرم حرامي، وبه انتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزّى طريين فيحرقهما. فلفتنة الناس بهما يومئذٍ أشدّ من فتنة العجل و السامري**)[4].

• عن بشر النبال، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (**هل تدري أوّل ما يبدأ به القائم عليه السلام** ؟ قلت: لا. قال: **يخرج هذين رطبين غضين فيحرقهما ويذرّهما في الريح، ويكسر المسجد**. ثم

1- الكافي: ج4 ص427، وسائل الشيعة: ج13 ص328، بحار الأنوار: ج52 ص374.

2- قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبة: (... **وتحج الناس ثلاث وجوه: الأغنياء للنزهة، والأوساط للتجارة، والفقراء للمسألة**) إلزام الناصب: ج2 ص161، وروي باختلاف عمّا في المتن في مستدرك الوسائل: ج11 ص377، جامع أحاديث الشيعة: ج13 ص375.

3- الكافي: ج2/ص144، أمالي الطوسي: ص577، بحار الأنوار: ج66 ص404.

4- كمال الدين: ص252،عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج2 ص61، باختلاف يسير، بحار الأنوار: ج52 ص379 .

قال(عليه السلام): **إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: عريش كعريش موسى (عليه السلام)**، وذكر إنّ مقدم مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان طيناً، وجانبه جريد النخل)[1].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (**إذا قدم القائم (عليه السلام) وثب أن يكسر الحائط الذي على القبر فيبعث الله ريحاً شديدة وصواعق ورعوداً، حتى يقول الناس إنما ذا لذا. فيتفرق أصحابه عنه حتى لا يبقى معه أحد فيأخذ المعول بيده فيكون أول من يضرب بالمعول، ثم يرجع إليه أصحابه إذا رأوه يضرب بالمعول بيده، فيكون ذلك اليوم فضل بعضهم على بعض بقدر سبقهم إليه. فيهدمون الحائط ثم يخرجهما غضين رطبين، فيلعنهما ويتبرأ منهما ويصلبهما، ثم ينزلهما ويحرقهما ثم يذرهما في الريح**)[2].

- قال رجل عن دور العباسين: أراناها الله خراباً أو خربها بأيدينا، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): (**لا تقل هكذا، بل يكون مساكن القائم وأصحابه، أما سمعت الله يقول: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾**)[3].

- عن ابن بكير، قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قوله: (**﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾**[4]، قال (عليه السلام): **أنزلت في القائم (عليه السلام) إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردّة والكفار في شرق الأرض وغربها، فعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة وما يؤمر به المسلم، ويجب لله عليه. ومن لم يسلم ضرب عنقه، حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلاّ وحد الله**. قلت له: جعلت فداك إنّ الخلق أكثر من ذلك؟ فقال: **إنّ الله إذا أراد أمراً قلل الكثير وكثر القليل**)[5].

- عن الصادق (عليه السلام)، قال: (**العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين. فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً، فبثها في الناس وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبع وعشرين حرفاً**)[6].

1- بحار الأنوار: ج52 ص386 .

2- بحار الأنوار: ج52 ص386.

3- تفسير العياشي: ج2 ص235، بحار الأنوار: ج52 ص347، إلزام الناصب: ج2/ص64.

4- آل عمران : 83.

5- تفسير العياشي: ج1 ص183، تفسير نور الثقلين: ج1/ص362، بحار الأنوار: ج52 ص340، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) : ج5 ص60.

6- مختصر بصائر الدرجات: ص117، بحار الأنوار: ج52 ص336 ، مستدرك سفينة البحار: ج2 ص258.

أي إنّ الإمام المهدي عليه السلام يبث علوماً إلهيةً جديدة بين الناس، ولعل منها أسرار القرآن التي لا نكاد نعرف منها شيئاً. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً﴾[1].

- وروي أنّ أصحاب الإمام عليه السلام يمشون على الماء [2]، وإنّ أحدهم لو قاتل الجبال بإيمانه لهدها.
- وروي أنه عليه السلام يرقى في أسباب السماوات [3]، والله أعلم.

وربما يرافق هذا التقدم في العلوم الإلهية والروحية تقدم في العلوم المادية، بل ما أظنه إنّ التقدم المادي يرافق التوجه والتقدم الروحي حتماً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾[5].

وروي أنّ العالم الفيزياوي اينشتاين اليهودي الديانة استقى نظريته النسبية، والعلاقة بين الطاقة والمادة، وتحول كل منهما إلى الأخرى من نظرية وحدة الوجود الدينية الفلسفية.

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: (**كأني أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة قد ضربوا الفساطيط يعلمون الناس القرآن كما أنزل، أما أن قائمنا إذا قام كسره وسوّى قبلته**) [6].

1- الرعد : 31.

2- عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، قال: (**إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلا يقول: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها، قال: ويبعث جندا إلى القسطنطينية، فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئا ومشوا على الماء، فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء، فكيف هو ؟! فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها فيحكمون فيها ما يريدون**) كتاب الغيبة للنعماني: ص334 - 335.

3- قال رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث المعراج عن الله جل جلاله - : (... **وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلين بهم كلمتي، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأذللن له الرقاب الصعاب ولأرقينه في الأسباب، ولأنصرنه بجندي، ولأمدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي، ثم لأديمن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة** ...) كمال الدين وتمام النعمة: ص254 - 256.

وعن عبد الرحيم أنه قال: ابتدأني أبو جعفر عليه السلام فقال: (**أما إن ذا القرنين قد خير السحابين فاختار الذلول وذخر لصاحبكم الصعب**. قلت: وما الصعب؟ قال: **ما كان من سحاب فيه رعد وبرق وصاعقة فصاحبكم يركبه، أما انه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع خمسة عوامر واثنين خراب**) بصائر الدرجات للصفار: ص428 - 429.

4- الأعراف : 96

5- الجن : 16.

6- غيبة النعماني: ص333، بحار الأنوار: ج52 ص364، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام : ج3 ص126.

• وعن الصادق عليه السلام، قال: (**كأني بشيعة علي في أيديهم المثاني يعلمون الناس المستأنف**) [1].

• عن الأصبغ بن نباته: سمعت علياً عليه السلام يقول: (**كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة، يعلمون الناس القرآن كما أنزل**. قلت: يا أمير المؤمنين أو ليس هو كما أنزل؟ فقال: **لا، محي منه سبعون، من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وما ترك أبو لهب إلاّ إزراء على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه عمه**) [2].

• وعن الصادق عليه السلام، قال: (**كيف أنتم لو ضرب أصحاب القائم الفساطيط في مسجد كوفان، ثم يخرجوا إليهم المثال المستأنف أمر جديد على العرب شديد**) [3].

• وعن أبي جعفر، قال: (**إذا قام قائم آل محمد عليه السلام ضرب فساطيط لمن يعلم القرآن على ما أنزل الله جل جلاله فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم؛ لأنه يخالف فيه التأليف**) [4].

• وعن الصادق عليه السلام: (**كأني أنظر إلى القائم على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدّة أهل بدر وهم أصحاب الألوية، وهم حكّام الله في أرضه على خلقه، حتى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب عهد معهود من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيجفلون عنة إجفال الغنم البكم، فلا يبقى منهم إلاّ الوزير وأحد عشر نقيباً، كما بقوا مع موسى بن عمران عليه السلام، فيجولون في الأرض فلا يجدون عنه مذهباً فيرجعون إليه. وإني لأعرف الكلام الذي يقوله لهم فيكفرون به**) [5].

• وعن بن أبي يعفور، قال: (**دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعند نفر من أصحابه، فقال لي: يابن أبي يعفور هل قرأت القرآن؟** قال: قلت: نعم هذه القراءة. قال عليه السلام: **عنها سألتك ليس عن غيرها**. قال: فقلت: نعم، جعلت فداك، ولم؟ قال عليه السلام: لأنّ موسى عليه السلام حدث قومه بحديث لم يحتملوه عنه فخرجوا عليه بمصر فقاتلوه فقاتلهم فقتلهم، ولأنّ عيسى عليه السلام حدث قومه بحديث فلم يحتملوه عنه فخرجوا عليه بتكريت فقاتلوه فقاتلهم وقتلهم، وهو قول الله عز وجل: **فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا**

1- غيبة النعماني: ص333، بحار الأنوار: ج52 ص364.
2- غيبة النعماني: ص333، بحار الأنوار: ج52 ص364، إلزام الناصب: ج1 ص421.
3- غيبة النعماني: ص334، بحار الأنوار: ج52 ص365، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام : ج4 ص47.
4- الإرشاد للمفيد: ج2 ص386، بحار الأنوار: ج52 ص339، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام : ج3 ص331.
5- كمال الدين: ص672، بحار الأنوار: ج52 ص326، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام : ج4 ص20.

﴿ظَاهِرِينَ﴾ [1]. **وإن أول قائم يقوم منا أهل البيت يحدثكم بحديث لا تحتملونه، فتخرجون عليه برميلة الدسكرة، فتقاتلونه فيقاتلكم فيقتلكم. وهي آخر خارجة تكون** ... الخبر) [2].

بيان من المجلسي(رحمه الله): (قوله - ولم - أي ولم لمْ تسألني غير تلك القراءة، وهي المسألة التي ينبغي أن يعلم، فأجاب عليه السلام: **بأنّ القوم لا يحتملون تغير القرآن ولا يقبلونه**، وأستشهد بما ذكر) [3].

- وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (**يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى. ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي**) [4].
- وعن الصادق عليه السلام: (**إنّ أصحاب موسى ابتلوا بنهر، وهو قول الله عز وجل:** ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ **وإنّ أصحاب القائم يبتلون بمثل ذلك**) [5].
- عن الصادق عليه السلام قال: (**القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه، وأقامه على أساسه وقطع أيدي بني شيبة السرّاق وعلقها على الكعبة**) [6].
- وعن أبي بصير في حديث اختصره الشيخ الطوسي، قال: (**إذا قام القائم عليه السلام دخل الكوفة وأمر بهدم المساجد الأربعة، حتى يبلغ أساسها ويصيرها عريش كعريش موسى عليه السلام، وتكون المساجد كلها جماء لا شرف لها كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله** ...) [7].
- وعن أبي محمد العسكري عليه السلام، قال: (**إذا قام القائم أمر بهدم المنار والمقاصير** [8] **التي في المساجد.** فقلت في نفسي: لأي معنى هذا ؟ فاقبل علي فقال عليه السلام: **معنى هذا أنها محدثة مبتدعة،**

1- الصف : 14 .
2- بحار الأنوار: ج52 ص375 .
3- بحار الأنوار: ج52 ص375.
4- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ج2 ص21، بحار الأنوار: ج31 ص549، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص127.
5- غيبة الطوسي: ص472، بحار الأنوار: ج52 ص332، مكيال المكارم: ج1 ص185.
6- غيبة الطوسي: ص472، بحار الأنوار: ج52 ص332، جامع أحاديث الشيعة: ج25 ص595.
7- غيبة الطوسي: ص475، بحار الأنوار: ج52 ص333، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص312.
8- المقاصير: هي المحاريب الداخلة . قال العلامة المجلسي: تبيين المشهور بين الأصحاب كراهة تطويل المنارة أزيد من سطح المسجد لئلا يشرف المؤذنون على الجيران، والمنارات الطويلة من بدع عمر، والمراد بالمقاصير المحاريب الداخلة كما مر . بحار الأنوار: ج80 ص376.

لم يبنها نبي ولا حجة) (1).

• وعن الصادق عليه السلام: (إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، وحوّل المقام إلى الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي بني شيبه وعلقها على الكعبة وكتب عليها: هؤلاء سرّاق الكعبة) (2).

• عن الأصبغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له حتى انتهى إلى مسجد الكوفة وكان مبنياً بخزف ودنان وطين، فقال: (ويل لمن هدمك، وويل لمن سهل هدمك، وويل لبانيك بالمطبوخ المغير قبلة نوح. طوبى لمن شهد هدمك مع قائم أهل بيتي، أولئك خيار الأمة مع أبرار العترة) (3).

• وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن المساجد المظللة: أيكره الصلاة فيها ؟ فقال: (نعم، ولكن لا يضركم اليوم، ولو قد كان العدل لرأيتم كيف يصنع في ذلك) (4).

• وعن عمرو بن جميع، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الصلاة في المساجد المصورة. فقال عليه السلام: (أكره ذلك، ولكن لا يضركم اليوم، ولو قد قام العدل لرأيتم كيف يصنع في ذلك) (5).

والأحاديث تشير إلى أنّ الإمام المهدي عليه السلام يعيد المساجد إلى بساطتها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، لتشد الناس إلى الانقطاع إلى الله. فيرفع الزخرفة والصور منها، وربما يفتح سقوفها إلى السماء. فالذي يهم أهل الدنيا الزخرفة والزينة والراحة والتبريد والتدفئة والترف، والذي يهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام التوجه إلى الله والانقطاع إلى الله لا إلى الدنيا وزخرفها مع اهتمام الأنبياء والأوصياء بإعمار الأرض وترفيه الناس اقتصادياً.

عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إنّ قائمنا إذا قام استقبل من جهلة الناس أشد مما استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله من جهّال الجاهلية. فقلت: وكيف ذلك؟ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة، وإنّ

1- غيبة الطوسي: ص206، الخرائج والجرائح: ص1 ص453، بحار الأنوار: ج52 ص323.
2- الإرشاد: ج2 ص383، إعلام الورى: ج2 ص289، بحار الأنوار: ج52 ص338 .
3- غيبة الطوسي: ص473، بحار الأنوار: ج52 ص332، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج3 ص111.
4- الكافي: ج3 ص 368، تهذيب الأحكام: ج3 ص253، وسائل الشيعة: ج5 ص207، بحار الأنوار: ج52 ص374.
5- الكافي: ج3 ص 369، وسائل الشيعة: ج5 ص215، بحار الأنوار: ج52 ص374.

قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله ويحتج عليه به. ثم قال (عليه السلام): **أما والله ليدخلن عليهم عدله، أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقر)** [1].

الذين يتأولون علية القرآن ليس عامة الناس قطعاً ولكن هؤلاء علماء غير عاملين يظنون أنهم بتحصيلهم للقواعد الاستقرائية والعقلية قد أحاطوا بالعلم كلّه، فهم لا يرون شيئاً من العلم عند من سواهم. وهذا التكبر يمنعهم من الانقياد للإمام المعصوم (عليه السلام) وقبول علومه الإلهية، فيردون عليه ويتأولون القرآن عليه، ويتهمونه بالجهل وربما بالسحر والجنون. التهمتان اللتان لا تكادان تفارقان نبياً من الأنبياء (عليهم السلام).

ومن هنا فإنّ علم الإمام (عليه السلام) وحده لا يعالج فتنة هؤلاء العلماء غير العاملين؛ لأنهم لا يسلّمون له ولا يقبلون علومه، كما هو واضح في الرواية. فيكون العلاج هو فضح هؤلاء العلماء غير العاملين على رؤوس الأشهاد وبين عامة الناس كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعيسى (عليه السلام) مع علماء اليهود. وعندما يرى الناس عدالة الإمام (عليه السلام) سواء في الأمور المالية كقسمة أموال الصدقات بين الفقراء بالسوية وزهده (عليه السلام) في ملبسه ومأكله ومشربه، أم باهتمامه بأحوال ا تمع الإسلامي وإخلاصه في العمل لله سبحانه، ثم يقارن الناس سيرة هذا الإمام العادل المهدي (عليه السلام) بسيرة أولئك العلماء غير العاملين، فهم على سبيل المثال يأتيهم مسكين أطفاله جياع ثيا م مقطعة يطلب منهم دراهم ليسد رمقه فيقولون له: ائتنا بمعرف لكي نعطيك! بربكم هل سمعتم أو قرأتم أنّ محمداً (صلى الله عليه وآله) أو علياً (عليه السلام) أو أحد الأئمة قال لفقير ائتني بمعرف لكي أعطيك ؟!

ثم أين هم هؤلاء المعرفون ؟ وكم هم ؟ ومن أين لهذا المسكين بأحدهم ؟! والحال أنّ طلبة الحوزة العلمية يحتاجون إلى سلسلة معرفين، بل إنّ المتقي من طلبة الحوزة لا يهتدي إلى سبيل ليعرف نفسه عنده؛ لأنّ معظم المعرفين متكبرون وفسقة ومستأثرون، ومن اتصل م بأموال الصدقات. والضلالة لا تجتمع مع الهدى، فلا يهتدي في الغالب إلى هؤلاء المعرفين إلاّ متملق أو خسيس طالب دنيا، والطيور على أشكالها تقع. فبربكم كيف أمسى الخسيس الوضيع يعرف التقي الشريف؟ وكيف أمسى الذئب راعياً للغنم؟ وكيف أمسى ابن آوى المؤتمن؟ وكيف أمسى الجاهل السفيه يعرف العالم الفقيه ؟! أ الله أذن لكم ذا أم على الله تفترون ؟!

1- غيبة النعماني: ص307، بحار الأنوار: ج52 ص362. والقر: هو البرد.

بربكم هذه هي سيرة السجاد (عليه السلام)، الذي كان يحمل الطعام في ظلام الليل ويدسه تحت رأس المؤالف والمخالف، أم هي سيرة محمد (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) الذين كانوا يعطون حتى المؤلفة قلو م وكانوا يرحمون الفقراء واليتامى، وربما سقطت الدمعة من عيني علي (عليه السلام) قبل أن تسقط من عين أرملة أو يتيم، وربما خرجت الزفرة والحسرة من صدر محمد (صلى الله عليه وآله) قبل صدر الفقير.كان محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) والأئمة يجوعون ليشبع الفقراء، ويعطون البعيد قبل القريب.

لقد انتشر الإسلام بأخلاق هؤلاء القادة العظام لا بالمصطلحات الفلسفية. عندما جاءت الخلافة للإمام علي (عليه السلام) أول ما قام به هو التسوية في العطاء، وإلقاء دواوين التمييز التي أجراها من كان قبله، ولهذا ثارت ثائرة القوم عليه وانتفض طلحة والزبير وأشباههما.

أما أنتم اليوم فقد أعدتم دواوين التمييز، وأعدتموها عثمانية تغدقون على من يعبدكم من دون الله، وآثرتم هذا بزعمكم لعلمه وفضلتم فلان بادعائكم لفضله، وهذا وفلان لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر. ومن جهة أخرى تمنعون الأرملة؛ لأ ا مجهولة الحال، واليتيم لأنه بلا معرف وتقترون على معظم طلبة الحوزة، بل وتمنعون من لا يواكب مسيرتكم المخزية سواء العلمية أم العملية التي من أجلى مظاهر انحرافها هو الابتعاد عن كتاب الله ودراسته ومدارسته. وإهمالكم إرشاد الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واستسلامكم للدعة والراحة حتى أمسيتم قوماً مترفين لا تتحملون حرارة الشمس فضلاً عن شظف العيش، وأذى الطواغيت في سبيل إعلاء كلمة لا اله إلاّ الله.

ورد في بعض الروايات التي تصف معركة يخوضها المهدي (عليه السلام) لفتح مدينة النجف وتطهيرها من المنافقين الذين سيقفون ضده ويقاتلونه، أنّ أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) يحوطون به وثيا م ممزقة ! نعم ممزقة؛ لأنهم لا يشترون ثياباً بأموال الأرملة واليتيم والمريض.

- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال في قول الله (عز وجل): **﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾**[1]. قال (عليه السلام): (**هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم** ثم **خالفوه** إلى **غيره**)[2].
- وعن خيثمة، قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): (**أبلغ شيعتنا أن لن ينال ما عند الله إلاّ بعمل، وأبلغ شيعتنا إنّ أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً** ثم **يخالفه** إلى **غيره**)[3].

1- الشعراء : 94.

2- الكافي: ج1 ص47، بحار الأنوار: ج2 ص35.

3- الكافي: ج2 ص300، وسائل الشيعة: ج1 ص93.

- وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**أتقوا الله واعدلوا فأنكم تعيبون على قوم لا يعدلون**) [(1)].
- وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (**ألا إنّه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلاّ عزّاً**)[(2)].

بربكم بقي شيء نميزكم به عن الطواغيت المتسلطين على الأمة الإسلامية؟ أنتم وهم تغدقون على من يعبدكم من دون الله ويبيع آخرته بدنياكم وتتركون الفقراء والمساكين يتضورون جوعاً، والمرضى يعانون الآلام حتى الموت. أنتم وهم تأمرون بالمنكر فهم المطرقة وأنتم السندان، هم يهينون كتاب الله وأنتم تستقبلون فعلتهم الشنيعة بصمت وهدوء خبيث [(3)].

فالويل لكم، تدعون أنكم شيعة علي عليه السلام وتخالفونه، كلا ثم كلا. أنتم شيعة عثمان؛ لأنكم توافقونه، وعلي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين، ويكفيكم هذا التفاوت، وكل أناء بالذي فيه ينضح.

أنتم قادة عميان، أجل أنتم قادة عميان، وأعمى منكم من يسير خلفكم، وحسبنا الله ونعم الوكيل وإلى الله المشتكى. فليس كلما يعرف يقال، وليس كل ما يقال حان وقته، وليس كل ما حان وقته حضر أهله.

قال أبي الحسن الثالث عليه السلام: (**إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقعوا الفرج من تحت أقدامكم**) [(4)].

فالفرج قريب إنّ شاء الله، والحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين.

والحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظالمين، مدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين.

الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكا ا، وترجف الأرض وعمارها، وتموج الجبال ومن يسبح في غمرا ا.

1- الكافي: ج2 ص147، وسائل الشيعة: ج15 ص293.

2- الكافي: ج2 ص144، وسائل الشيعة: ج15 ص283.

3- يشير عليه السلام إلى ما فعله طاغية العراق صدام من تنجيسه للقرآن الكريم، وقد تقدمت الإشارة في الهامش في الجزء الأول من هذا الكتاب فراجع.

4- الكافي: ج1 ص341، كمال الدين: ص381،غيبة النعماني: ص193، بحار الأنوار: ج51 ص155.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ [(1)].

* * *

1- الأنبياء : 59 - 63.

الفهرس

الجزء الأول

الجزء الثاني

والحمد لله رب العالمين